

مقارنتي

الأديان

(٢)

المسيحية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

استاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة

والحائز لوسام الجمهورية "وسام العلوم والفنون" من الطبقة الأولى



مكتبة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصغاريها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدني باشا بالقاهرة

مقارنة الأديان

٢

المسيحية

اقرأ في هذه الطبعة الموضوعات الخطيرة التالية :

- ١ - قضية الألوهية كنموذج للمقارنة بين قضايا الأديان .
- ٢ - قضية رفع السيد المسيح الى السماء .
- ٣ - ماذا يقول القسيس والمفكرون عن الحياة في الأديرة .
- ٤ - أسطورة نقل رفات القديس مرقس من البندقية الى القاهرة .
- ٥ - خرافة ظهور السيدة العذراء في كنيسة الزيتون والمعادى ...

تأليف

الدكتور أحمد شبلي

دكتوراه من جامعة كمبرج
استاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الطبعة العاشرة ١٩٩٨

مع زيادات واسعة وتحقيقات مهمة



الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عيسى
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن
إلا الذين ظلموا منهم

وقولوا آمنا بالذي أنزل علينا وأنزل إليكم ،
والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون ...

قرآن كريم

(سورة المنكيات الآية ٤٦)

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامي

دراسة تحليلية شاملة في عشرة اجزاء لتاريخ العالم الاسلامي كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التي اسهم بها المسلمون في ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشري :

١ - الجزء الأول : (الطبعة الثانية عشرة)

- مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامي - تفسير التاريخ - هل التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ - فائدة التاريخ - مراحل تدوين التاريخ - قضية الالتزام في كتبة التاريخ الاسلامي - علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...
- تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر - حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

- السيرة النبوية المطهرة : جوانب من السيرة تدون لأول مرة - الدعوة الاسلامية وفلسفتها - عصر الخلفاء الراشدين

٢ - الجزء الثاني : (الطبعة السابعة)

الدولة الاموية والحركات الفكرية والثورية في عهدها .

٣ - الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسي الاول ، وبدور المسلمين خلاله في خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ - الجزء الرابع : (الطبعة السابعة)

- الاندلس الاسلامية ، وانتقال الحضارة الاسلامية الى اوربا عن طريقها .

- المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا (من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر) .

- السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ - الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

- مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .
(تدوين جديد لتاريخ مصر) .

- الحروب الصليبية : دوافعها - ادوارها - نتائجها .
- الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ - الجزء السادس : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها
الاسلام حتى الآن :

- دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :
- مراكز الشمال - هجرات عربية وغير عربية - التجار - الطرق
- الصوفية - مراكز داخلية .
- الدول الاسلامية قبل الاستعمار الاوربي :
- فانلة - مالي - صغنى - دول انهوسا - بزنو - باجرمى -
- واداى - الفونج - ممتشو - مملكة الزنج .
- الدول الاسلامية الحالية :
- موريتانيا - السنغال - جامبيا - غينيا - مالي - النيجر -
- نيجيريا - تشاد - السودان - الصومال - جيبوتى .

٧ - الجزء السابع : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

- دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :
- المملكة العربية السعودية - اليمن - جمهورية اليمن الجنوبية -
- عمان - دولة الامارات العربية - قطر - البحرين - الكويت .
- العراق من مطلع الاسلام حتى الآن .

٨ - الجزء الثامن : (الطبعة الثانية)

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى
الآن :

- ايران - أفغانستان - الباكستان - بنجلاديش - ماليزيا - اندونيسيا
- الاقليات الاسلامية في الهند والصين وروسيا والفلبين ، .

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ - الجزء التاسع : (الطبعة الثالثة)

ثورة ٢٢ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد نجيب - عصر جمال
عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ - الجزء العاشر :

ثورة ٢٢ يوليو من يوم الى يوم ، عصر انور السادات . (عصر النجاح
في الشؤون الخارجية والفشل في الشؤون الداخلية) .
(ترجمت اكثر اجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة في عشرة اجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الاسلام لهداية البشرية في شئون المعقّدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، والتشريعية والقضائية ، كما تبرز جهود المسلمين في الحضارة التجريبية ،

ولجزاؤها هي :

١١ - الجزء الاول : تاريخ المناهج الاسلامية (الطبعة الرابعة)

مناهج التعليم في صدر الاسلام - انحرافاتنا في عصور الظلام -
وجوب تصحيحها .

١٢ - الجزء الثاني : الفكر الاسلامي : منابعه واثاره (الطبعة السابعة)

١٣ - الجزء الثالث : السياسة (الطبعة السادسة)

في الفكر الاسلامي

مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

١٤ - الجزء الرابع : الاقتصاد (الطبعة السادسة)

في الفكر الاسلامي

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة ، ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

- ١ - الاسلام والمسلمون في مواجهة المشكلة الاقتصادية .
- ٢ - مبادئ الاسلام الاقتصادية .
- ٣ - الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة (شهادات الاستثمار ...) .
- ٤ - من تاريخ الاقتصاد في الاسلام (بيت المال : موارده ومصارنه ...) .
- ٥ - النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامي فيها .

١٥ — الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة الثامنة)
نظمها — تاريخها — فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولناهج التعليم وامكانته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ — الجزء السادس : المجتمع الاسلامى (الطبعة السابعة)
اسس تكوينه .. اسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ — الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)
في الفكر الاسلامى

— في نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المرأة ...
— وفي نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والفناء ...

١٨ — الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة الثالثة)
وتاريخ النظم القضائية في الاسلام

مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع
ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ — الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)
في الفكر الاسلامى (العلاقات الدولية)

بحث علمى يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الاسلام في مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، وأخلاق المجاهد ، والخديعة في الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ..

٢٠ — الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)
تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب للمؤلف

خامسا : المكتبة الاسلامية لكل الاعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ، ومن التاريخ ، والحضارة ،
وقصص القرآن : للأولاد والشباب والسيدات والرجال
ظهر منها الاجزاء التالية :

المجموعة الاولى : السيرة النبوية العطرة : (١٦ جزءا)

- | | |
|---|------|
| محمد قبل البعثة | ج ١ |
| من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام في مكة) | ج ٢ |
| الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات . | ج ٣ |
| الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها | ج ٤ |
| الرسول الداعية ومربي الدعوة | ج ٥ |
| الرسول في بيته : أزواجه — اولاده واحفاده — خدمه | ج ٦ |
| الرسول في بيته : مشكلات الحياة في بيت الرسول وكيف
عالجها | ج ٧ |
| الرسول بين أصحابه — الرسول يربي الفرد المسلم —
الرسول يربي المجتمع الاسلامي . | ج ٨ |
| الرسول يربي القضاة ، ويربي القوة العسكرية ، ويربي
الولاء والحكام | ج ٩ |
| الرسول والشباب — الرسول والعمل | ج ١٠ |
| توجيهات طيبة يقدمها الرسول — مكرمات للرسول —
الرسول والمنافقون | ج ١١ |
| الرسول والنصارى — الرسول واليهود | ج ١٢ |
| الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدموعه —
غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — أهم أحداث غزوة بدر | ج ١٣ |
| غزوة أحد والهزيمة التي أخافت المنتصر — غزوة الاحزاب
وكلمة عن سلمان الفارسي | ج ١٤ |
| صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء — غزوة
مؤتة وبدء الصراع ضد الروم . | ج ١٥ |
| فتح مكة — غزوة حنين والطائف — غزوة تبوك —
الفترة الأخيرة في حياة الرسول | ج ١٦ |

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة : (٧ اجزاء)

- ج ١٧ (١) أبو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التي واجهها
ج ١٨ (٢) عمر بن الخطاب والتوسع في عهده — عمر باني الدولة
الاسلامية
ج ١٩ (٣) عثمان بن عفان : حياته واخلاقه والفتنة في عهده
ج ٢٠ (٤) علي بن ابي طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التي
واجهها
ج ٢١ (٥) طلحة بن عبيد الله (٦) الزبير بن العوام
ج ٢٢ (٧) سعد بن ابي وقاص (٨) ابو عبيدة بن الجراح
ج ٢٣ (٩) عبد الرحمن بن عوف (١٠) سعيد بن زيد بن عمرو

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية : (٥ اجزاء)

- ج ٢٤ نظرة عامة للقرآن الكريم — طريقة الوحي — نزول القرآن
وتدوينه — أسماء السور وترتيبها — قراءات القرآن — فضائل
القرآن — القرآن والعلم — فضائل قراءة القرآن وحكم
التطريب في أدائه والتكسب به .
ج ٢٥ خصائص القرآن والأصول التي جاء بها لخير الناس في الدنيا
والآخرة — اعجاز القرآن ومظاهر الاعجاز — معجزات
الرسول في ميدان المقارنة .
ج ٢٦ غير العرب والاعجاز البلاغى للقرآن — وجوه الاعجاز في
القرآن — مواجهة واقعية بين العرب والقرآن — التكرار
في القرآن : اسراره واعجازه .

- ج ٣٥ و٣٤ (ترقيم مؤقت ، وفي الطبعة الثانية ان شاء الله سيأخذان رقم
٢٧ و ٢٨ وتتسلسل الأرقام بعد ذلك) .

الأخلاق الاسلامية من القرآن الكريم

جمع الآيات القرآنية عن الأخلاق ، وتصنيفها ، وشرحها شرحاً
ميسراً

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم : (٧ اجزاء)

- ج ٢٧ دراسات عن القصص في القرآن قصة أصحاب الكهف .
ج ٢٨ قصة الرجلين والجنيتين — قصة ذى القرنين وياجوج
وماجوج .
ج ٢٩ قصة موسى والخضر — قصة أصحاب الجنة .
ج ٣٠ قصة عزيز — قصة أيوب عليه السلام .
ج ٣١ قصة قارون — قصة أصحاب الأخدود .
ج ٣٢ قصة اسماعيل عليه السلام .
ج ٣٣ قصة يوسف عليه السلام .

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف :

(٤ اجزاء)

- ج ٣٦ لماذا انحرف المؤرخون بتاريخ الأمويين .
نماذج من عباقرة الأمويين .
- ج ٣٧ اتجاهات حضارية من صنع الأمويين .
- ج ٣٨ اتساع العالم الاسلامى يد من ايدى الأمويين .
- ج ٣٩ نشاط الشيعة فى العهد الاموى ، وقصة استشهاد
الامام الحسين .

المجموعة السادسة : الاسلام والمرأة :

- ج ٤٠ المرأة فى الحضارات القديمة .
المرأة فى أوربا خلال العصر الوسيط .
ماذا قدم الاسلام للمرأة ؟ .
- ج ٤١ سيدات مسلمات : السيدة زينب اخت الامام الحسين .
- ج ٤٢ سيدات مسلمات : بنتا الحسين : نفيسة وسكينة .
- ج ٤٣ سيدات مسلمات : عائشة بنت طلحة .
- ج ٤٤ سيدات مسلمات : رابعة العدوية .
- ج ٤٥ زيجات شهيرة فى التاريخ الاسلامى : بوران - قطر الندى .

(الاجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

(لم تدخل اعداد « المكتبة الاسلامية » ضمن العدد الخاص بكتب للمؤلف)

كتب المؤلف

ثالثا : مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، تعتمد على ابق المراجع
بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق ، وتشمل :

٢١ — الجزء الأول : اليهودية : (الطبعة السابعة)

— دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهود في التاريخ من عهد
ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل ، عقيدة بنى اسرائيل ،
يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد في الفكر اليهودى ، التابوت
والهيكل ، الكهنة والقرايين ...

— مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء
صهيون .

— اليهود في الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ،
البابية والبهاية .

— من صور التشريع في اليهودية .

٢٢ — الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة الثامنة)

— المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .
— بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكريم من
خطيئة البشر .

— شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، الجامع ،
طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهينة والاديرة ،
خرافة ظهور العذراء في كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى ونتائجها
ونقدها .

٢٣ — الجزء الثالث : الاسلام : (الطبعة الثامنة)

— الله في التفكير الاسلامى ، النبوة في التفكير الاسلامى ، غير المسلمين
في المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة في الاسلام ، الرق وموقف
الاسلام منه ، السياسة والاقتصاد في الاسلام .

٢٤ — الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى : (الطبعة السابعة)

« الهندوسية — الجينية — البوذية »

— تقديم من : جغرافية الهند ، سكان الهند ، للغات في الهند ، الأديان
في الهند .

— دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجاواسستهاة
كها .

— اهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة
الوجود .

— تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعها .

كتب المؤلف

رابعا : كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات اجنبية

- ٢٥ — كيف تكتب بحثا او رسالة (الطبعة السابعة عشرة)
دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه
كتابان باللغة الانجليزية هما :

مكتبة النهضة المصرية	ISLAM : Belief - Legislation - Morals	— ٢٦
	History of Muslim Education	— ٢٧

وكتب باللغة الاندونيسية والماليزية :

Pustaka National (Singapore)	Negara dan Pemerintahan Dalam Islam	— ٢٨
	Masyarakat Islam	— ٢٩
	Hukum Islam	— ٣٠
	Sedjarah dan Kebudajaan Islam	1 — ٣١
	Sedjarah dan Kebudajaan Islam	11 — ٣٢
	Sedjarah dan Kebudajaan Islam	111 — ٣٣
	Perbandingan Agama (Jahudi)	— ٣٤
	Perbandingan Agama (Masihi)	— ٣٥
	Perbandingan Agama (Islam)	— ٣٦
	Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbesar di India : Hindu-Jaina-Buddha)	— ٣٧
	Sadjarah Pendidikan Islam	— ٣٨
	Politik dan Ekonomi Dalam Islam	— ٣٩
	Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam	— ٤٠
	Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Masehi	— ٤١
	Perang Salib	— ٤٢

Kurikulum Islam Dalam	— ٤٣
Perkembangan Sedjarah	
Pengajian Al Quraan	— ٤٤
Sedjarah Kehakiman Dalam Islam	— ٤٥

كتب للمؤلف

سادسا : تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
 - أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
 - دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
 - تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :
- ٤٦ - تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثالثة)
يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ،
نالتعبير ، فالإملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة
في القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملا في هذه المرحلة موضوعات جذابة من
الفكر الاسلامي والعربي اخترت من امهات الكتب العربية ثم صيغت في أسلوب
مناسب ، مع أسئلة وتمارين مفيدة .

- ٤٧ - قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثالثة)
عرض لجميع ابواب النحو العربي بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لاهم ابواب الصرف

هذا الكتاب ضروري للمثقف العربي وغير العربي

كتب نفذت ولن يعاد طبعتها

- ٤٨ - في قصور الخلفاء العباسيين :
أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .
- ٤٩ - مصر في حريين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .
- ٥٠ - الحكومة والدولة في الإسلام :
وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .
- ٥١ - الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحي .
- ٥٢ - النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور وأثر الفكر الاسلامي فيها .
وأكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
١٧	مقدمة الطبعة الثامنة
١٨	موقف المسيحيين من هذا الكتاب
١٩	دعوة لقراءة هادئة لهذا الكتاب

مقدمة عامة مهمة :

مناجاة ٢١ - المسيحية اكثر الأديان تعقيدا ٢٢ - المراجع
المسيحية أساس هذا الكتاب ٢٤ - المسيحية
السياسية ٢٦ - خرافات وأوهام ٢٩ - اضافات في
الطبعات المتتالية ٣١ .

موجز عن مسيرة المسيحية :

بدء الدعوة ونجاحها ٣٣ - عظة الجبل ٣٣ -
أخلاقيات ٣٣ - مهاجمة اليهود ٣٤ - نهاية المسيح
كما يرويها انجيل متى ٣٥ .

أشهر الاتجاهات حول المسيح والمسيحية

المسيح والمسيحية في نظر المسلمين :

زكريا ٣٨ - يحيى ٣٩ - يوسف النجار ٤٠ - مريم ابنة
عمران ٤٠ - العقم في بنى اسرائيل ٤٢ .

تفصيل القول عن المسيح في نظر المسلمين :

ما الروح ؟ ٤٣ - النفخ ٤٦ - مشكلات السيدة العذراء
بعد الحمل ٤٧ - نشأة عيسى ٤٩ - بنو اسرائيل قبل
نبوة عيسى ٤٩ - نبوة عيسى ومعجزاته ٥٠ - اتجاه
معجزات عيسى ٥٢ - اليهود ودعوة المسيح ٥٣ .

نهاية المسيح على الأرض :

من هو الخائن ٥٥ - الى أين ذهب عيسى بعد النجاة من
المؤامرة ٥٦ - لماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة ؟ ٥٦ -
المسيح الدجال في رأى الامام محمد عبده ٦١ - رفع روح
عيسى لا جسمه ٦٢ .

٧. تفصيل القول عن المسيحية في نظر المسلمين

الصفحة	الموضوع
٨١	الاضطهادات والمسيحية
٨٧	المسيح والمسيحية عند اليهود
٨٩	المسيح والمسيحية في نظر المفكرين الغربيين

المسيح والمسيحية في نظر المسيحيين

تفصيل القول عن المسيح في نظر المسيحيين :

—	المسيح عند المسيحيين ١٠٢ — المسيح وامه في مصر ١٠٣ —
—	بدء الدعوة ١٠٤ — صراع ضد الشعوذة اليهودية ١٠٤ —
—	مؤامرة ١٠٥ — صورة جديدة اقترحها بولس للمسيح ١٠٦
١٠٨	خرافة ظهور العذراء في كنيسة الزيتون والمعادى
١٠٩	باحث مسيحي غربي يرفض هذه الفرية

المسيحية الحالية وواضعها :

شاعول « بولس » ١١١ — بولس يدعو لمذهبه ويهاجم
سواه ١١٤ — الفرق بين المسيحيين ١١٥ — ابتكارات
بولس في المسيحية ١١٦ — بولس يسترضى السادة ١١٧ —
تحول ١١٨ — موقف الحواريين من بولس ١١٨ — بولس
يستغيب بعد ان انفض اغلب المسيحيين عنه ١١٩ — هجوم
بولس على معارضيه ١٢٠ — بولس ومصائد
المسيحية ١٢٥ — بولس والتشريع في المسيحية ١٢٧ —
بولس والمسيحية عموما ١٢٩ — الفاتيكان يعترف ١٣٠ .

تفصيل القول عن المسيحية عند المسيحيين الآن :

١٣٢	١ — التثليث في المسيحية
١٣٥	تعهد الآلهة وعقيدة التثليث
١٣٨	قضايا ومحاولات فاشلة لحلها
١٤٦	الوهية المسيح ومؤتمر نيقية
١٤٧	تدخل قسطنطين وصيحة أريوس

الصفحة	الموضوع
١٥٠	أسس تأليه المسيح
١٥٦	الوهية الروح القدس
١٥٩	٢ - صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ما العمل في خطايا المستقبل ١٦٤ - أين قرار الله من عهد آدم الى عهد عيسى ١٦٥ - الطوفان ابتلع العصاة ، الا يكفى ذلك ؟ ١٦٥ - حقيقة قصة الصلب للتكفير ١٦٧ .
١٦٨	٣ - المسيح يحاسب الناس

شعائر المسيحية

١٧١	التعميد
١٧٢	العشاء الرباني
١٧٤	تقديس الصليب وحمله

المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية

١٧٧	الفكر المصرى فى المسيحية
١٧٨	الوثنية فى المسيحية
١٨٠	مقارنة العقائد الوثنية بعقائد المسيحية الحالية
١٨١	متراس
١٨٢	مقارنة بين محاكمة بعل ومحاكمة عيسى
١٨٣	مقارنة بين حياة بوذا وحياة عيسى
١٨٨	الكنيسة فى خدمة السياسة الغربية

طبيعة المسيح والآراء حولها :

١٩٢	١ - مذهب النسطوريين
١٩٣	٢ - مذهب الكنائس الشرقية (الارثوذكس) المذهب اليقنوبى
١٩٤	٣ - مذهب الكاثوليك : الملكانية
١٩٥	٤ - المذهب المارونى

الصفحة	الموضوع
١٩٥	اليسوعيون والكنيسة الكاثوليكية
١٩٦	الحواريون والرسول
١٩٧	المجامع
	الكنيسة تتدخل في شؤون الدول ٢٠١ - نفوذ الكنيسة ٢٠٢
٤٠٤	الكتاب المقدس
	العهد القديم والعهد الجديد ٢٠٤ - معنى كلمة انجيل ٢٠٤
	أقسام العهد الجديد : الأسفار التاريخية ، والأسفار التعليمية ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٠٥ .
٢٠٦	الإنجيل تتأثر برسائل بولس
٢٠٦	إنجيل مهمة أبيدت
٢٠٩	إنجيل يوحنا كتب ليقرر الوهية المسيح
	تعريف بالإنجيل :
	انجيل متى ٢١١ - انجيل مرقس وانكار الوهية المسيح ٢١٢ - جثمان القديس مرقس بين القاهرة والبندقية ٢١٣ - انجيل لوقا ٢١٥ - انجيل يوحنا ومن الذي كتبه ٢١٥ .
٢١٧	حديث عن انجيل برنابا وعن برنابا مؤلفه
٢٢٥	المسيح ينكر القول بالوهيته ويقرر بشريته
٢٢٧	مصادر المسيحية في رأى الكنيسة
	التشريع والمسيحية :
	اتباع التشريع اليهودى ٢٢٩ - عظات عيسى ومكانها من التشريع ٢٣٠ - الرسل والتشريع ٢٣٣ - بولس والتشريع ٢٣٣ - دور الرؤساء الروحانيين والمجامع في التشريع ٢٣٣ - الكنائس والتشريع ٢٣٤ .

الصفحة

الموضوع

نماذج من التشريع المسيحي :

العبادات ٢٣٥ — تشريعات حول الأسرة ٢٣٦ — الاهتمام
بكرة النسل ٢٣٦ — مقر في التشريع ٢٢٧ .

الطوائف المسيحية :

٢٣٨ الكاثوليك
الارثوذكس واسباب انقسام الكنيسة الى كاثوليكية
وارثوذكسية ٢٣٩
البروتستانت ٢٤١

الكنيسة وطقوسها واسرارها :

طقوس الكنيسة ٢٤٣ — اسرار الكنيسة ٢٤٣ .

الرهينة والأديرة :

مراحل الرهينة ٢٤٤ — اسس الرهينة ٢٤٦ — الرهينة
اقتباس من الفكر الهندي ٢٤٦ .

٢٤٧ انحرافات الأديرة
نماذج من الأديرة وما كان بها من انحراف ٢٤٩ .

حركة الإصلاح الديني

اسباب هذه الحركة :

سلطة البابا ٢٥٣ — الاستحالة ٢٥٤ — غفران
الذنوب ٢٥٥ — الضرائب ٢٥٦ — الهرطقة ومحاربتها ٢٥٧ .

٢٥٧ عهد النور
٢٥٨ المصلحون
٢٦٠ نتائج الحركة الإصلاحية
٢٦٠ مبادئ الكنيسة البروتستانتية
٢٦١ نقد الحركة الإصلاحية (إصلاح للكنيسة لا للمسيحية) .

الموضوع	الصفحة
المسيحية في ضوء النقد العلمى	٢٦٣
الايمان بدون تفكير ٢٦٦ - سلطة واسعة للرؤساء	
الروحانيين ٢٦٧ - موضوع تفكك الأسرة ٢٦٧ - محاربة	
العمران والمال ٢٦٨ - الحث على الرضا بالضميم ٢٦٨ -	
لا علم ولا مدنية ولا اصلاح ٢٦٩ - الجهالة أم التقوى ٢٦٩ -	
تعطيل العلاقة الجنسية ٢٧٠ - الايمان ونعمل	
الاعاجيب ٢٧٣ - المسيح انسان شرقى والمسيحية	
الحالية فكر غربى ٢٧٤ - تناقض ٢٧٥ .	
قضية الالهية كنموذج للمقارنة بين قضايا الأديان :	
الله فى الفكر الهندوسى ٢٨٣ - الله فى الفكر الجينى ٢٨٥	
الله فى الفكر البوذى ٢٨٦ - الله عند اليهود ٢٨٧	
الله فى الفكر المسيحى ٢٨٩ - الله فى الفكر	
الاسلامى ٢٩٦ .	
مراجع الكتاب	٢٩٨

مقدمة الطبعة الثامنة

يحس المؤلف بسعادة عندما تتكرر طبعات كتابه ، ولكن هذه السعادة لم تشغلني عن شكر المعلم الأعظم الذي هدى لاختيار الموضوع ، ثم هدى لتخطيطه والقراءة له وتدوينه ، فاللهم أشكركم شكر من يعترف بأفضالك • وأثنى عليك ثناء من لا ينسى إلهامك وتوفيقك •

علم «مقارنة الأديان» يزدهر :

وقد أصبح علم مقارنة الأديان — بعد ما بذلت فيه من جهد — علما ذا بال في كثير من الجامعات ومعاهد العلم ، وقد سرني أن دُعيتُ لتدريسه بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر وشهدتُ اقبالا هائلا من الطلاب ، وسرني أنني بذلك أدت بعض الدِّين لهذه الجماعة العريقة •

كما أصبح هذا العلم أحد المواد التي تدرس بمعهد الدراسات الإسلامية الذي يضم مجموعة كبيرة من الطلاب الحاصلين على درجات جامعية ، من بينهم عدد كبير من الطلاب الوافدين من الدول العربية والإسلامية ، وقد أسنيد لي تدريس هذا العلم بالمعهد ، وقد بلغ اقبال الطلاب على هذا العلم أقصى المدى •

وبدأت سلسلة مقارنة الأديان تترجم لعدة لغات رجاء أن يعم بها النفع •

العلم يتأثر بالسياسة :

وكان الرئيس السابق أنور السادات قد أعلن أنه سيبنى مجمعا للأديان في سيناء ، فكتبت إليه أذكر أن أبرز شيء يمكن أن يزره به هذا المجمع أن تقيم معهدا لدراسة «مقارنة الأديان» وسرعان ما حول

الرئيس السابق خطابي لجامعة القاهرة لوضع منهج لهذا المعهد ، وتألقت لجان على مستوى عالٍ كنتُ عضواً فيها ، واجتمعنا وتدارسنا الأمر ، ووضعنا المناهج والخطط ولكن نهاية الرئيس وضعت نهاية لهذه المحاولة ، فغمرها النسيان .

وهكذا تأثر العلم والفكر بمجريات السياسة ، والأمر لله .

موقف المسيحيين من هذا الكتاب :

وقد قرأ عدد كبير من الأصدقاء والمواطنين المسيحيين هذا الكتاب ، وأشهد أن أغلبية هؤلاء كانت على جانب كبير من الثقافة ولسماحة ، فأدركتُ الروح الطيبة التي لازمتني وأنا أدون كل كلمة من كلماته ، كما رأت حرصى على الاعتماد على المراجع المسيحية وأنا أعرض أخطر القضايا فيه ، وقد اتصل الكثيرون من هؤلاء بى ، وأحسنا دائما أن الفكر السليم يلاقى القبول ، وأن المجادلة بالحسنى تفتح أزهى النتائج .

ولكن من الحق أن أقرر أن بعض القراء من المسيحيين كانوا على ثقافة ضحلة أو بدون ثقافة على الإطلاق ، وواحد منهم أسمى نفسه « مينا الصعيدى » يعترف أنه لم يتعلم إلا مبادئ فى « الكتاب » ويقول إنه مع هذا مستعد لمناقشتى وإقناعى !!! . . . ولم يسلم خطابه من كلمات خسنة وألفاظ لا تليق .

وهناك جماعة — ولا أقول فردا — أخذت ترسل لى خطابا كل يوم تقريبا يحوى كل خطاب ثلاث صفحات أو أكثر ، وتحمل الصفحات أرقاما متسلسلة ، وهى سلسلة من الشتائم والهجوم ، وطبيعى أننى لم أقرأ إلا سطورا قليلة جدا ثم توقفت عن القراءة ، وأحيانا لم أفتح الرسالة لأننى عرفت خط المرسلين .

وينبغى أن نصرف النظر عن هؤلاء ، ونعود للأغلبية التى لا تبتعد عنها كل ترحيب وتشجيع ، وهم من عليّة المسيحيين وأعلامهم مركزا

ومكانة ، ومن بين ما يذكر هنا بالتحديد أن لقاء واسعا جمعني بأعضاء نادى الروتارى فى شهر رمضان المعظم (١٤٠٤هـ) وقد دعيت لهذا الاجتماع لأتحدث عن آداب الصيام وحكمته ومع أنى لا أنتسب لنادى الروتارى ولا لأمثاله من الأندية التى أعتقد أنها مؤسسات صهيونية ، مع هذا فقد قبلت الدعوة لأتحدث لهذا الجمع عن الإسلام ، وقد تعودت ألا أرفض أى لقاء للحديث عن الإسلام رجاء أن تحمل كلماتنا الهداية للبشر ، وأنا فى موقفى هذا أتأسى بالرسول صلوات الله عليه ، الذى استقبل نصارى نجران وفرش لهم عباة وتحدث إليهم ، واستقبل عدى بن حاتم وكان قد اعتنق النصرانية وتحدث إليه والمهم أننى فى حديثى لجماعة الروتارى ذاك المساء ووجه إلى سؤال من مواطن مسيحي من أرقى المستويات الثقافية والسياسية بمصر ، والسؤال هو : ما رأيك فيما يظهر من صراع أحيانا بين المسلمين والمسيحيين ؟ وما الموقف الذى ترى أن الإسلام وضعه للعلاقة بين المسلمين والمسيحيين ؟

وأجبت بأن القرآن الكريم حوى الإجابة الواضحة لهذه العلاقة ، وهى قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله » .
(آل عمران ٦٤)

واستمرت الإجابة تدور حول شرح هذه الآية الكريمة ، وقد لاقت هذه الإجابة قبولا حسنا من السامعين وأثنى عليها كبار المسيحيين الحاضرين .

دعوة لقراءة هادئة لهذا الكتاب :

إننى أدعو كل مسيحي أن يقرأ هذا الكتاب بهدوء وتؤدة ، فقد كتبته وأنا فى قمة الهدوء والتؤدة ، وقد تلقيت بذور هذا العلم فى جامعة كمبردج بإنجلترا ، وكانت الحيدة التامة دستور الدراسة فى هذه المادة .

وأدعو كل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب كذلك بإمعان ، ففى الماضى

كان المسيحيون يعرفون الكثير عن القرآن الكريم ، ويحفظون بعض آياته لهدف أو لآخر ، ولكن المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئا عن المسيحية ولا عن اليهودية ولا عن العهد القديم أو الجديد وذلك نقص كبير ينبغي أن نتداركه في حاضرنا الثقافي ، فالأديان السماوية من مصدر واحد ، ومعرفة حلقة من حلقاتها دون الإمام بالحلقات الأخرى يعد نقصا كبيرا لدى المثقف الواعى •

وفي هذه الطبعة من هذا الكتاب زيادات واسعة ومهمة ، يطالعها القارئ من أول لقائه بالكتاب ، وهي زيادة تعتبر إعادة تخطيط للكتاب عن المسيحية ، وأرجو أن يكون فيها مزيد من النفع للقارئ الذى يعيش له ، ونبذل غاية الجهد لإرضائه ، لعلنا بذلك نكافئ إقباله الكريم •

وأخيرا فإنى أتجه إلى الله أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وقارئه ، وهو سبحانه نعم المجيب •

دكتور أحمد شلبى

المعادى فى الخامس من سبتمبر سنة ١٩٨٤ •

مقدمة عامة

مناجاة :

يارب . . . في مطلع هذا العمل يطيب لى أن أتوجه إليك ، أعترف
بفضلك ، وأشكر نعمتك ، وأستلهم رضاك .

يارب . . . إياك أعبد وإياك أستعين ، فكن معى وأنا عبدك ، وكن
لى وأنا أستعين بك .

يارب . . . إن أوزار الأرض وأثقال الحياة تتكدتنى وأنا أسعى
إليك وتحاول أن تقصّر خطواتى وأنا أجاهد لإرضائك ، فساعدنى يارب
لأتغلب عليها ، وأنتزع منها نفسى ، لأظل فى طريقى إليك أناضل وأكافح .

يارب . . . إنى أعرف أن ثقة الناس تستلزم مزيداً من الجهد ،
وإقبال الناس يستدعى مضاعفة الطاقة ، فامددنى يارب بالقوة والعون ،
لأزيد من جهدى وأضعف من طاقتى .

يارب . . . ليس إلا أنت الذى يعرف مدى إخلاصى فى عملى ومدى
العناء الذى ألقيه فى سبيله ، ولست - لهذا - أرجو الجزاء إلا منك ،
فإنك لا تضيع أجر من أحسن عملاً .

يارب . . . كثيرون من الناس يكافحون من أجلك بسىوفهم ،
وكثيرون يكافحون من أجلك بأموالهم وبجاههم ، ولا أملك يارب إلا قلمى
ولسانى ، فاقبل يارب كفاحى بهما ، وباركك ، واجعل له أحسن النتائج .

وآخرون يا رب . . . أعمتهم الدنيا فراحوا بأسلحتهم وأموالهم
يعارضون تعاليمك ، ونحن ضد هؤلاء فى ميدان حرب ، فكن معنا يارب
فى هذه المعركة ، عاوننا بوسائلك الظاهرة والباطنة حتى نكسب النصر ،
ونرفع علم الحق .

يارب . . . يارب . . .

أكثر الأديان تعقيدا :

وتكاد المسيحية تكون أكثر الأديان السماوية والوضعية تهديداً ، وقد علّمها عيسى عليه السلام ديناً بسيطاً سهلاً ، ولكن التقيد ظراً عليها بعد ذلك ، حتى أصبح عسيراً جداً فهم كثير من مبادئها ، وحتى أصبح غموضها طبيعة واضحة فيها ، ويقول Roland Binton إن المسيحية بدأت بسيطة ولكن الناس عقّدوها بعقائد صعبة عصفت بها (١) .

وقد كلّفت بتدريس مادة مقارنة الأديان في عدة جامعات بإندونيسيا ، وكان طبيعياً أن أختار من الأديان السماوية والوضعية ما يناسب البلاد التي أعمل فيها ، ومن ثمّ كانت المسيحية والبوذية موضوع محاضراتي هناك ، وكنت أريدها محاضرات فقط ثم رأيت التبشير بإندونيسيا يقوى وينتشر ، فاستلزم ذلك طبع هذه المحاضرات ونشرها باللغة الإندونيسية ، ثم عدت لقراءة هذه المحاضرات وإعدادها إعداداً يناسب الطبع والنشر بمختلف اللغات .

محاضرات ومناظرات :

وكانت محاضراتي عن المسيحية في إندونيسيا تلقى إقبالا كبيرا من الطلاب والمثقفين ، وكان بعض المشتغلين بالدراسات الدينية يتبعون هذه المحاضرات بعناية ، ثم حدث أن تلقيت خطابا من جامعة مسيحية للتخصص في الدراسات اللاهوتية مقرها Tjjirog على بعد حوالي مائة كيلو متر من جاكرتا عاصمة إندونيسيا ، وكان هذا الخطاب دعوةً من أساتذة هذه الجامعة إلى مناظرة علمية عن الأديان وبخاصة عن الدين الإسلامي ، فقبلت الدعوة على الفور ، وحدد الثالث عشر من شهر يونيو سنة ١٩٥٩ موعدا لهذه المناظرة ، فذهبت في الموعد المحدد إلى مقر هذه الجامعة حيث تجمّع الأساتذة وكلهم غربيون وحضر بعض الطلاب الإندونيسيين وبعض

المشتغلين بهذه الدراسات ، وجمهور كبير من الناس ، وقد استغرقت هذه المناظرة عدة ساعات ، تلقيت خلالها عددا من الأسئلة عن الدين الإسلامي ، ويمكن القول بقوة إن التوفيق حالفنى إلى أبعد حد ، فانتزعت إعجاب الحاضرين لا بشخصى ولكن بالدين الإسلامى وبدعوته الرشيدة •

فلما جاء دورى لأسأل قدمت بعض أسئلة عن الدين المسيحى فجاءت الإجابة عنها من المسيحيين متهافئة أو قل لم تكن هناك إجابة علمية على الإطلاق •

وطلب منى بعض الحاضرين من المسلمين أن أكتب موجز هذه المناظرة وأذيعها ، ولكنى فضلت أن تكون الكتب التى أنشرها شاملة ، لا خاصة بأسئلة المناظرة واتجاهاتها ، فأعددت ضمن سلسلة مقرنه الأديان كتابين أحدهما عن الإسلام والثانى هو هذا الكتاب عن المسيحية • وكتابى عن المسيحية هدية للمسلمين والمسيحيين على السواء • إنه أبحاث علمية لا دينية ، أبعدها بقدر الطاقة عن محيط العاطفة ، ولعلى قد نجحت فى ذلك وأرجو أن يكون - مع أمثاله من الأبحاث - نورا يهدى السبيل •

هذا الكتاب ليس ردًا على الكتب التى هاجمت الإسلام :

وأحب أن أقرر أن المراجع المسيحية التى بين يدى تتعرض كثيراً بالغمز بل بأكثر من الغمز أحيانا لديننا الحنيف ، وبعضها يهاجم القرآن الكريم ويهاجم محمداً صلوات الله عليه ، وقد طبع بعض هذه الكتب فى القاهرة ، ولكنى مع هذا لم أرِدْ أن أجعل من كتابى هذا وسيلة للرد على هؤلاء وتفنيدهم آرائهم ، بل سرت فى دراستى سيراً مستقيماً علمياً لا عاطفياً ، فعرضت المسيحية من مراجعها الأصلية عرضاً أعتقد أنه إلى الكمال أقرب •

واتجاهى يميل إلى عدم الإشارة للكتب التى كتبها مسيحيون

وهاجموا فيها الإسلام ، ولكن هناك كتابا بلغ الغاية في انحرافه ، وترجمه وجهله ، وأجدنى مضطرا للإشارة إليه ، ذلك هو كتاب « الخريذة النفيسة في تاريخ الكنيسة » للأسقف الأنبا ايسيدورس ، وقد طبع بمطبعة قاصد خير بالفجالة سنة ١٩٦٤ برعاية البطريك كورلس السادس ، وهو مودع بدار الكتب (رمز ه رقم ٤٦٤٥) ، ومع أن قرارا صدر بعدم تداوله ، فان من السهل أن تحصل على نسخة منه بالشراء أو الاستعارة ، وقد قرأت بعض صفحاته (مثلا ج٢ ص ٩١ وما بعدها) فوجدت كلاما يجمع البذاءة والجهل ، وإنى لأتساءل كيف أُجيز طبع هذا الكلام في بلد العلم والإيمان ؟

والإجابة في تقديري سهلة ، فقد طبع هذا الكتاب في عام شهد قسوة الحكام الظالمين على الإخوان المسلمين ، أريقت فيه دماءهم ، وعذبت أجسامهم ، وسيقوا الى السجون والمعتقلات بدون حق وبدون ذنب ، وعندما خفت صوت المسلمين ارتفع وعربد صوت الجبهة المتعصبين من المسيحيين وتملقتهم السلطات الحاكمة التي كان يتزعمها عبد الناصر ، فغضت النظر عن كلامهم في عهد كان الرقيب يرى كل كلمة قبل أن تنشر .
يا لله !!

المراجع المسيحية أساس هذا الكتاب :

وقد عُنيتُ في هذا الكتاب عناية خاصة بالمراجع التي كتبها مسيحيون ليكون حديثي عن المسيحية أقرب بقدر الإمكان الى اعتقاد المسيحيين ، ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها « الكتاب المقدس » أى العهد القديم والعهد الجديد ، وقد قدم الكتاب المقدس مادة ضافية لهذه الدراسة ، وكان عمادا كبير الشأن أقمنا عليه صرح هذا البحث ، ويجيء بعد الكتاب المقدس كتاب باللغة الإندونيسية أصدرته الكنيسة الكاثوليكية وتقوم بتوزيعه ، وعنوانه :

Pengajaran Gcredja Katolik

أى « تعاليم الكنيسة الكاثوليكية » وهو دراسة دقيقة لحالة الكنيسة والتعاليم التي تتبعها ، وتاريخ هذه التعاليم .

ومن الكتب والأبحاث الغربية الهامة التي اعتمدت عليها ما يلي :

Berry : Religions of the World

Harnack : What is Christianity

William Patoun : Great Religions of the World

Encyclopaedia of Religions and Ethics.

Encyclopaedia Britannica.

Wells : A Short History of the World.

وكتبَ المسيحيون الشرقيون مجموعة من الكتب كانت من أهم مراجعنا مثل :

القس بولس سباط : المشرع •

القس ابراهيم سعيد : تفسير بشارة لوقا •

» بوطر : الأصول والفروع :

خبيب سعيد : أديان العالم الكبرى •

وهناك كتاب اسمه « الإنجيل والصليب » كتبه السيد عبد الأحد داود ، وهو قسيس مسيحي اعتنق الإسلام ، ولذلك يكتب عن المسيحية عن خبرة وعمق ، وكان اقتباسي من هذا الكتاب محدوداً لأنى أدركت أن مثل هذا الكتاب قد يتحدى المسيحية ، وقد يحاول من طريق أو آخر أن يهجم عليها بسبب انتقاله من منصبه المقدس الى غامة المسلمين ، ولهذا اقتصرت في الاقتباس منه على الأمور العقلية والأفكار المنطقية الواضحة ، ولأشك أنه كان لي كبير الفائدة •

ومن الأبحاث العلمية التي كتبها باحثون مسلمون كتاب « الاسلام والمسيحية مع العلم والمدنية » للإمام محمد عبده وهو دراسة جيدة توضح دور الإسلام في خدمة الحضارة وأن ليس للمسيحية دور في هذا المجال ، ثم يجيء كتاب « محاضرات في النصرانية » للأستاذ محمد أبو زهرة ، وهو بحث رائع استفدت منه كثيراً في هذه الدراسة التي أقدمها ، كما استفدت من كتاب الأستاذ السيد محمد رشيد رضا « شبهات النصارى وحجج الإسلام » فوائد ذات بال •

وهناك مجموعات أخرى كثيرة من الكتب سيجدها القارئ بين طيات هذا البحث ، على أنى بطبيعة الحال لم أكن جامعاً فقط وإنما كنت كذلك باحثاً مفكراً ، فكنت أنقد ، وأقترح ، وأبسط رأياً تقريبا في جمع النقاط التي شملتها هذه الدراسة •



وهذه هي الطبعة الثامنة من كتاب « المسيحية » . وإذا كنت أطمع في رحمة من الله يوم لا ظلّ إلا ظله ، فهذا الكتاب هو أهم وسائلى لهذه الغاية ، إنه القربى التي أمسكها بإحدى يديّ وأمسك كتاب «الإسلام» باليد الأخرى وألوحّ بهما في شكر وتواضع ، ذاكرا أنهما ساعدا على تقديم الهداية لملايين البشر ، وإنقاذهم من التبشير ووسائله ، فقد عشت سنوات في آسيا ورأيت التبشير المسعور يعم كل الأرجاء ، يحاول أن يجتذب للمسيحية ملايين البشر من الذين وصفتهم في كتابي « أديان الهند الكبرى » (١) بأنهم ذوو قلوب فارغة ، لم تستطع البوذية أن تحتفظ بها ، ولا استطاعت اللادينية أن تقنعهما •

المسيحية السياسية :

ودخول هؤلاء المسيحية ليس خطرا ضدنا من الناحية الدينية فحسب ، ولكنه خطر سياسي واقتصادي أيضاً ، فإن المسيحية التي يعلمها هؤلاء المبشرون ليست المسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، إنما هي المسيحية التي نسميها « المسيحية السياسية » التي ترمى أولا الى ربط آسيا وإفريقية بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين ، وترمى ثانيا الى خلق فكر مسيحي يقف أمام المسلمين وأمام الفكر الإسلامى في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية (٢) •

(١) ص ١٩٠ .

(٢) اقرأ ما كتبناه بهذا الكتاب تحت عنوان « الكنيسة في خدمة السياسة الغربية » وما كتبناه في الجزء السادس من موسوعة التاريخ الإسلامى عن « الاستعمار والاديان » .

ضعف التجمع الإسلامى بآسيا وأفريقية بعد الاستقلال !! :

وقد انتهى الاستعمار السياسى فى هذه البلاد ، ولحّته يحاول أن يستعيد نفوذه بطريق المبشرين ، وأحيانا بطريق عملائه من السكان الأصليين . وكان كثير من السكان الأصليين يتجمعون حول راية الإسلام إبان الصراع للتحرر ، اذ كانت المسيحية تُعدّ دين المستعمر ، والإسلام دين المقاومة ، فلما انتهى الاستعمار خَفَّتْ صوت التجمع الإسلامى أحيانا وضعفت شوكته ، وزاد التجمع لنشر المسيحية وكثرت وسائله .

وسائل نشر المسيحية بآسيا وأفريقية :

وبمناسبة الحديث عن وسائل نشر المسيحية بالشرق الأقصى وبقلب إفريقية أعدّد هنا بعض هذه الوسائل تعدادا سريعا :

- وفود العلماء اللاهوتيين المبشرين .
- الرجال الذين يعملون بالسلك الديپلوماسى ولهم دراسات لاهوتية (مع ملاحظة أن أكثر الديپلوماسيين المسلمين لا يعرفون الفكر الإسلامى) .
- الكتب اللاهوتية التى تباع بأرخص الأسعار ، وتقدّم هدايا فى كثير من الأحوال .
- المجلات الدينية التى توزع بدون ثمن .
- نشرات التبشير ونسخ الكتاب المقدس التى تصرف مجانا .
- المستشفيات المسيحية التى توجد فى كل مكان .
- المدارس المسيحية التى توجد فى كل مكان .
- البعثات التى تُخصّص لخريجي الجامعات والمعاهد وتمنحهم الشهادات بسرعة وتعيدهم لأسمى المناصب .
- البعثات السريعة التى يدعى لها مئات الصبيان [من سن ١٦ الى سن ١٨] لزيارة أمريكا أو ألمانيا مدة بضعة شهور وينتقى خلالها هؤلاء الصبيان ما يفسد عقائدهم .

— الإذاعات التبشيرية التي تنطلق في قلب أفريقية ، وفي بعض المناطق بالشرق الأقصى •

ويؤسفني أن أقرر أن المسلمين لم يعملوا شيئاً ذا بال لمقاومة هذه الحركة التي ستعود بالخسارة علينا وعلى بلادنا إن لم نوقف تيارها •

نشاط تبشيري في البلاد الإسلامية الكبرى :

ومن أشنع ما نذكره هنا أن النشاط التبشيري فتح له جبهات في البلاد الإسلامية ، ليفسد الجيل القادم من المسلمين ، وليشلنا عن مقاومته في الجبهات الخارجية ، ومما يستحق الثناء أن السلطات المسؤولة بجمهورية مصر العربية تقف صارمة ضد ما يكشف أمره من هذه الحركات فقد علمت أن قساً أجنبياً كان يعيش هنا ، وكان يمارس ألواناً من النشاط الضار ، ولما اكتشفت السلطات المسؤولة خبره أمسكت به ووضعت في الحال في طائرة غادرت به بلادنا على ألا يعود إليها ، وأرجو أن يضاعف هذا الجهد في جمهوريتنا ، وفي السودان ، والباكستان ، وغيرها من الأقطار الإسلامية ، ليوقف الى الأبد هذا الصوت التبشيري الأثيم •

ولم أن في كل كتبي وتقاريرى الرسمية عن التنبيه لخطر هذا التبشير ، ولا زلت أفعل ، وهذه السطور صورة من صور التنبيه ، فأرجو أن تتجه العناية لمقاومة التبشير ، على الأقل بترجمة بعض الكتب الإسلامية الممتازة الى اللغات المختلفة ، وإرسال بعض المبعوثين الأفذاذ لا ليعلموا الفقه واللغة فحسب ، بل لينشروا الإسلام ويقاوموا الحركات المضادة له •

* * *

إضافات جديدة في كل طبعة :

وقد بذلت أقصى الجهد لأضيف الى كل طبعة الجديد مما أصل إليه من معلومات نتيجة القراءة المتصلة ، ففي الطبعة الثانية أضفت

إضافات واسعة جعلت° الكتاب كأنه كتاب جديد ، إذ كانت تلك الطبعة غنية بمراجع كثيرة عثرت عليها بعد ظهور الطبعة الأولى ، وغنية أيضا بأبواب جديدة • وبتنظيم جديد ، ومن الكتب التي انفعت بها في الطبعة الثانية ما يلي :

Pagan Christs by Dr. Robertson.

The Sources of Christianity by Kamal - uldin

The Life of Buddha by Edward Smith

- يسوع المسيح للأب بولس إلياس
- تاريخ الأقباط للاستاذ زكى شنوده
- المسيحية في الإسلام للقس ابراهيم لوقا
- • • • • وغيرها

خرافات وأوهام :

وبمناسبة الحديث عن الكتاب الأخير أذكر أن بعض المسيحيين قاموا بما يلزم أن نسميه « حديث خرافة » إذ أصروا على ربط المسيحية بالإسلام ، وعلى الاعتقاد بأن الإسلام بل القرآن الكريم أجاز المسيحية على حالها بما فيها التثليث ، وأن المسيح سيحاسب الناس يوم الدين ، وأن المسيح مصدر الحياة • • • • •

فالقس بولس سباط يروي قوله تعالى :

- إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (١) •
- وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (٢) •
- ويعلق عليهما بقوله بالحرف الواحد (فكأنى بصورة التثليث قد انعكست على مرآة القرآن فأبرزها بهاتين الآيتين) (٣) •

(٢) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(١) سورة آل عمران الآية ٤٥ .

(٣) المشرع ص ٢٥ .

وردنا عليه هو أن هذا القول ليس إلا خرافة لا تستحق الذكر ،
فليس في الآيات الكريمة ما يفيد التثليث من قريب أو بعيد ، وحاشا لذلك
أن يكون •

أما القس ابراهيم لوقا فكتابه كله من هذا اللون ، وعلى هذا فليس
إلا حديث خرافات متصلة ، وليس إلا ضلالات بعيدة كل البعد عن المنطق
والفكر السليم ، وأورد على هذا مثلا واحدا ليرى القارئ اتجاه هذا
المؤلف (١) •

تصريحات الإسلام	تصريحات المسيحية	عقيدة المسيحيين
نما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه (سورة النساء الآية ١٧٠)	نا هو القيامة والحياة ، بن آمن بى ولو مات سجيا انجيل يوحنا ١١ : ٢٥)	المسيح مصدر حياة

ولست أدري كيف توحى هذه الآية الكريمة بأن المسيح مصدر حياة
ومبعث الكون ، مع أن الآية تنص بوضوح على أن الله خلق عيسى من
مريم بعد أن ازدهر الكون وعمر ؟

وقريب من هذا ما كتب لى به أحد المسيحيين المثقفين ، فقد اقتبس
فقرات من الأنجيل وآيات من القرآن الكريم يرى أن معناها تكرر لما
جاء في فقرات الأنجيل ، وسألنى : ألا يعد ذلك اقتباسا من الأنجيل •

وأجبهته بالتالى :

أولا — إن المقارنة فيها كثير من التعسف ، والفكر القرآنى بعيد
عن ما ورد في الأنجيل في أكثر الحالات التى أوردها هذا الكاتب •

ثانياً — إذا صح أن هناك تشابهاً بين الآيات القرآنية وفقرات الأنجيل أحياناً فإن سبب ذلك أن الدينين من عند الله ، ومن الممكن أن تكون هناك نصائح وتوجيهات خلقية وردت في الأنجيل ثم كررت بشكل ما في القرآن الكريم لإرشاد البشر في كل زمان ومكان ، بل إن القرآن الكريم قد تكرر به آيات لهذا الغرض ، حتى إذا غفل القارئ عن معنى آية مرةً قابلته مرةً أخرى •

ثالثاً — هناك جوانب حضارية كانت خاصة بالاسلام فالنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي الذي ورد في القرآن لم يرد له نظير من قبل ، وينحصر التشابه في الأمور الأخلاقية •

ومن الحق أن أذكر أنه ردٌّ على إجابتي بأدب جم وبالكثير من الاقتناع •



وقد حفلت الطبعة السادسة من هذا الكتاب بالجديد نتيجة قراءات واسعة لما كتبه بعض مشاهير المفكرين المسيحيين الذين اتخذوا في كتاباتهم عن المسيحية موقف الباحث العالم لا موقف المتعصب الجامد •

وفي الطبعة السادسة كذلك دراسة اقتبسها من باحث مدحى عن خرافة ظهور العذراء ، وعن خدعة ما عُرِفَ بنقل جثمان القديس هرقل من البندقية للقاهرة ، ودراسة مثيرة عن الحياة في الأديرة •

وفي هذه الطبعة (الثامنة) زيادات واسعة أشرنا لها في مقدمتها بصدر الكتاب •

وأرجو بذلك أن أكون متتبعا بصدق وأمانة للأحداث وللدراسات حول دين السيد المسيح عليه السلام •

وبعد ، فهذه الطبعة أقدمها للقارئ وللمجتمع ، راجياً أن يكون فيها هدى ونور لبني الإنسان ، وأن يكون فيها مرضاة للخالق العظيم •

ودعاء يارب من الأعماق أن تجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم وأن تكثر به النفع ، إنك سميع الدعاء •

دكتور أحمد شلبي

موجز عن مسيرة المسيحية

إن مطالعتنا للأناجيل تقدم لنا عرضا واضحا لسَيْر دعوة المسيح عليه السلام ، وإنجيل متى - في تقديري - أكثر الأناجيل وضوحا ، ومنه نقتبس بعض الفقرات التي تصور لنا مسيرة هذه الدعوة :

نشاط الدعوة :

كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في الجامع ، ويكثُرُ (يبيثُر) بملكوت الله ، ويشفى كل مرض وكل ضعف في الشعب ، فذاع خبره في جميع سورية ، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين ، فشفاهم ، فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن^(١) .

عظة الجبل :

صعد يسوع الجبل ، وتقدم إليه تلاميذه ، ففتح فاه وعلمهم قائلا : طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون ، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع والعطش الى البر لأنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعي السلام لأنهم يدعون أبناء الله ، طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات^(٢) .

أخلاقيات :

هناك صور طيبة من الأخلاقيات أوصى بها السيد المسيح ، وإذا كنت المسيحية خلت تقريبا من التشريعات ، فإنها حفلت بالأخلاقيات ،

(١) متى : ٤ : ٢٣ - ٢٥ .

(٢) متى ١٠ : ١٠ - ١٠ .

ولكن للأسف نسي أكثر المسيحيين القديماء والمحدثين هذه الأخلاقيات تماماً ، تعال بنا نعرض بعضها بإعجاب ، ونأسف لإهمالها :

— سمعتم أنه قيل للقديماء : لا تحنث ، بل أوفِ للرب بقسمك ،
وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا ألبنة وليكن كلامكم
نعم أو لا (١) .

— لا تكونوا كالمرائين ، الذين يحبون أن يمسكوا حتى يقال إنهم
يُصكثون ، الحق أقول لكم إن هؤلاء استوفوا أجرهم (٢)
(بحديث الناس عنهم) .

— إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوى ، وإن لم
تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم (٣)
ولا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض . حيث يفسد السوس
والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون انظروا
إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع في
مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها (٤) .

— سأله الفريسيون (طائفة من اليهود) : لماذا تأكل مع الخبثاء
والمذنبين ؟ فأجاب : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى (٥)

ضد اليهود :

عانى السيد المسيح أشد عناء من طوائف اليهود ، ومع الخلاف
بين هذه الطوائف (الكهنة والفريسيون والصدقيون) فإنهم جميعا اتفقوا
على محاربة دعوة المسيح والوقوف منها موقف هجوم وصراع ، ولذلك

(١) متى ٥ : ٢٣ - ٢٧ .

(٢) متى ٥ : ٦ - ٧ .

(٣) متى ٦ :

(٤) متى ٦ : ١٤ ، ١٩ - ٢٠ ، ٢٦ .

(٥) متى ١١ : ١٢ - ١٢ .

هاجمهم السيد المسيح عدة مرات ، وأبرز انحلال أخلاقهم وبعدهم عن جادة الصواب ، وفيما يلي مقتبسات من كلامه في هذا المجال :

— قالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ، فافرحوا وتهلكوا لأن أجركم عظيم في السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء من قبل (١) .

— احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة (٢) .

— يا أولاد الأفاعى كيف تقدرّون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار جيل « شرير » وفاسق ، أنتم أيها الكتبة والفريسيين (٣) .

— ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المرءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المرءون لأنكم تاكلون بيوت الأراذل ، ولعلة تطيلون صلواتكم ، لذلك نأخذون دينونة أعظم ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المرءون للقدرة العميان . أيها الحيات أولاد الأفاعى (٤)

نهاية المسيح كما يوردها إنجيل متى :

كان هجوم عيسى عليه السلام على اليهود أهم سبب أدى إلى

(١) متى ١١ : ٥ - ١٢ .

(٢) متى ١٥ : ٧ .

(٣) متى ١٢ : ٣٤ و ٣٨ .

(٤) متى ٢٣ : ٢٣ و ١٢ وما بعدها .

محاكمته والحكم عليه بالإعدام ، فيرَوِي متى أن رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب اجتمعوا في دار رئيس الكهنة الذي يدعى « قيافا » وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه (١) .

وأحسَّ عيسى عليه السلام أن مؤامرات تدور حوله للقضاء عليه وأن واحداً من الحواريين سيتآمر ضده ويسلمه إلى أعدائه ويحكي متى ذلك فيقول : ولما كان المساء اتكأ يسوع مع الاثني عشرة وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم ان واحداً منكم يسلمني (٢) فحزنوا جداً ، وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو ؟

وبالإضافة الى من يسلمه عرف السيد المسيح أن من تلاميذه مَنْ سينكره ، وهو بطرس ، فقد قال له المسيح : الحق أقول لك أنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تتكرني ثلاث مرات ، فقال بطرس : لو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك (٣) .

المسيح في ضيعة جنسيْماني :

وفي الليلة التي تقرر فيها القبض على السيد المسيح لجأ هو وتلاميذه إلى ضيعة جنسيْماني ، وأخذ المسيح يعظ تلاميذه وينصحهم وذكر لهم أن الساعة قد اقتربت ليسلم ابن الانسان الى أيدي الخطة وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الحواريين الاثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، وكان قد اتفق معهم على أن يعطوه ثلاثين من الفضة نظير تسليم عيسى لهم ، وقد أعطى يهوذا علامةً للجنود الرومان هي قوله لهم : الذي اتبَّله هو هو مسيِّكوه .

(١) متى ٢٦ : ٣ - ٤ .

(٢) متى ٢٦ : ٢٠ - ٢٣ .

(٣) متى ٢٦ : ٢٣ - ٢٥ .

وتقدم يهوذا الاسخريوطى الى السيد المسيح وقال : السلام
يا سيدي . وقبَّله .
وتقول الرواية المسيحية (١) إن الجنود أمسكوا يسوع ومضوا به
الى (قيافا) رئيس الكهنة حيث اجتمع الكهنة والشيوخ ، وتبعه بطرس
من بعيد الى دار رئيس الكهنة فدخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ،
وحينئذ رأت جارية " بطرس فجاءت وقالت : أنت كنت مع يسوع الجليلي ،
فانكر أنه يعرفه ، ثم رآته امرأة أخرى ، فانكر أيضا واقسم بأنه لم
يعرف هذا الرجل ، ثم جاءت جموع تقول لبطرس إنك من أتباع يسوع
وإن لفتة، تظهرك ، فاختد يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل ، وهكذا انكر
بطرس ثلاث مرات معرفته لأستاذه ومعلمه (٢) .

وفي الصباح أوثق الكهنة رباط السيد المسيح ومضوا به الى بلاطس
الوالى وقد قرروا قتله ، فسأله الوالى عن الجرائم التى نسبوها اليه ،
ولكنه لم يجب بشيء مما ثبتت عليه الجرائم التى ادعاها الكهنة والكتبة
والشيوخ وثبتت عليه بالتالى حكم الإعدام .

وكان الوالى معتاداً فى العيد أن يطلق فى الجمع أسيراً واحداً
تقرر إعدامه هدية منه للشعب فى كل عيد ، وكان اليهود آنذاك يحتفون
بعيد من أعيادهم ، وكان هناك اثنان حكم عليهما بالإعدام ، هما عيسى
عليه السلام وأسير آخر اسمه (باراباس) ولعل الوالى أراد أن ينتهز
هذا التقليد لينجو به عيسى ، فاتجه للجموع يسألهم أن يختاروا نجاة
أحد الاثنين ، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن
يطلبوا نجاة (باراباس) واهلاك يسوع ، وصاحوا بيسوع : ليُصلب
وهتفوا فى صوت واحد : دمه علينا وعلى أبنائنا (٣) .

وأعدم يسوع بنساء على الرواية المسيحية .
وهكذا كان الرومان أكثر عدالة وعظفا على السيد المسيح من اليهود

(١) سندرس فيما بعد الفكر الإسلامى حول هذا الموضوع .

(٢) متى ٢٦ : ٦٩ - ٧٥ .

(٣) متى ٢٧ : ١٥ - ٢٦ .

تلك فكرة سريعة عن مسيرة المسيحية ، وستدارس فيما يلي الاتجاهات المختلفة حول المسيح والمسيحية ، فقد اختلفت وجهات النظر اختلافا واسعا حول هذه القضية ، فكان لكل من المسلمين والمسيحيين واليهود والمثقفين الغربيين اتجاه يختلف قليلا أو كثيرا عن الاتجاهات الأخرى ، وسنبدا فيما يلي حديثنا عن هذه الاتجاهات .

اشهر الاتجاهات حول المسيح والمسيحية

نأخذ الآن في بيان الاتجاهات المختلفة عن المسيح والمسيحية لنضع على بساط البحث أشهر الأقوال المتصلة بتلك الديانة ، سواء أكانت هذه الأقوال من عقيدة المسيحيين أو كانت رأيا لغير المسيحيين في المسيحية . لنجعل الموضوع بذلك أكثر وضوحا ، بالأضواء نلقيها عليه من نواح متعددة :

المسيح والمسيحية في نظر المسلمين

الكلام عن المسيح والمسيحية عند المسلمين يحتاج الى تقديم سريع للتعريف ببضعة أشخاص لهم صلة بحياة المسيح :

زكريا :

كان زكريا أحدَ أنبياء بني إسرائيل كما كان أحد من يقومون بخدمة الهيكل المقدس ، وقد تقدمت سن زكريا وأصبح كهلا ، ولكنه لم يرزق ولداً ، وكان يتمنى أن يرزقه الله ولدا يواصل دعوته من بعده ، خوفا على قومه أن يضلوا ، فقد كانت بوادر الضلال تظهر فيهم ، ولكن تقدم سنّه وإشرافه على التسمين ، قطع أمكه في الولد ، كما قطع أمه عقم زوجته وتقدمها في السن أيضا ، ولكن زكريا رأى ما يجعله يتذكر أن قدرة الله إن اتجهت لشيء تغلبت على كل العوائق ، فقد دخل على مريم — وسنتكم عنها بعد قليل — وهي حبيسة الهيكل ،

تقضى فيه ليلها ونهارها ، فوجد عندها طعاما وشرابا ، ووجد فاكهة في غير أوانها ، فسألها : يا مريم أنسى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، هنالك دعا زكريا ربه قال : رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء • فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب أن الله يبشرك بيحيى (١) •

يحيى :

يحيى بن زكريا حملت به أمه اليصابات وهي عجوز كما سبق ، ووضعت ، وتربى حتى صار كما وصفه القرآن الكريم « مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين (٢) » ، وقد عُرف يحيى بأوصاف التقوى والصلاح منذ صباه ، واتَّجِهَ للعلم ففهم مسائل التوراة ، وأحاط بأصولها وفروعها ، وأصبح فيها مرجعا هاما ، ونُبِّئَ يحيى قبل أن يبلغ الثلاثين ، ومن أهم ما اشتهر به أنه كان يعمد الناس أى يغسلهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا وللتطهير من الذنوب ، ولذلك سماه اليهود (يوحنا المعمدان) وقد عمَّدَ المسيح ، وكان المسيح يضاويه في العمر تقريبا • وقد ورد في إنجيل لوقا أن الحمل بعيسى بدأ في الشهر السادس من حمل اليصابات (٣) •

وكان يحيى جريئا في الحق ، يقول ما يعتقد دون خوف من سطوة حاكم أو طغيان ملك ، وقد نقلوا إليه أن هيرودوس ملك اليهود بفلسطين قد وقع في حب هيروديا ابنة أخيه فيليبس ، وأنه ينوى الزواج بها ، فأعلن يحيى أن ذلك يناقض التوراة ، وأنه إن حصل فهو زواج باطل • وكانت أم هيروديا حريصة على أن تتزوج ابنتها من الملك ، ووجدت أن يحيى سيكون عقبة في سبيل هذا الزواج ، فزينت ابنتها بأحسن

(١) سورة آل عمران الايات ٣٧ - ٣٩ •
(٢) الاصحاح الاول الفقرتان ١٦ و ٢٦ •

زينة ، وأسلمتها لعمها وأوصتها إن طلب منها عمها أن تتمنى شيئاً ، أن تطالب برأس يحيى ، وأجادت الفتاة تمثيل الدور ، فرقصت لعمها ، وعرضت أمامه ألوان فتنها وسحرها حتى وقع في حبائلها ، وسألها أمينتها ، فقالت : رأس ذلك الذى سمع بي وبك وتكلم عنا في كل نادٍ ، ولم تمض إلا دقائق حتى كانت رأس يحيى في طبق أمام هيروديا (١) فاستحقت واستحق معها عمها وأعوانه من بنى إسرائيل لعنة الله ، وفي بعض الروايات أن هذا الحاكم تزوج من بنت أخيه هيروديا ، وزوجها حتى* . فأخذ الرسول يحيى يندد بهذه الخبيثة في مجالسه ، ووصل هذا التنديد الى مسامح هيروديا ، وفي ليلة من ليالى اللهو رقصت بنت أخيه بين يديه فأعجب بها ووعده أن يمنحها ما تريد ، فطلبت - بإيعاز من أمها - أن يأتى لها برأس يوحنا في طبق (٢) .

وقد بدأ المسيح دعوته بعد أن بلغه موت يحيى ، ويقال إن زكريا مات في هذه الفتنة التى مات فيها ابنه .

يوسف النجار :

يوسف النجار شاب صالح من شباب اليهود ، كانت مريم مخطوبة له قبل أن تحمل بالمسيح ، ولما عرف أنها حامل فكفر في تركها دون أن يتحدث عنها ، ولكنه رأى في منامه من* يأمره بعدم تركها لأنها بريئة ، ولأنه إن تركها ستصير وحيدة تصارع الأحداث وحدها ، فخضع يوسف لهذا ، وظل معها .

مريم ابنة عمران :

كان عمران أحد عظماء بنى إسرائيل ، وكانت زوجته عاقراً تقدمت بها السن* دون أن ترزق بولد ، وتبعا للطبيعة البشرية كانت زوجة عمران

(١) انجيل متى ١٤ : ٢ وما بعدها ومرقص ٦ : ١٧ وما بعدها .

(٢) وريت القصة بمدلول مخالف قليلا في متى ١٤ : ٣ - ١١ .

وانظر في ذلك كتاب هداة الانسانية للدكتور عبد العزيز عبد المجيد

تأمل أن تكون أما فاتَّجَهِتِ الى الله سبحانه سائِلة داعية ، ونذرت إن
حقق الله رجاءها ورزقها ولدا أن تنزكه للهيكَل خادما محرراً ، أى
لا عمل له إلا خدمة البيت والعبادة .

واستجاب الله لها فحملت ، وسرعان ما أحست بالجنين يتحرك فى
أحشائها فيحرك فى نفسها لذة وسروراً وبهجة ، وقبل أن تضع جنينها
توفى زوجها ، فلم يقدر له أن يرى طفله المنتظر ، وأتمت امرأة عمران
أشهر الحمل ، وولدت بنتاً أسمها مريم ، ولذلك خاب أملها فى النذر
الذى نذرتة ، فقد كانت تحسب أن البنت لا تفى بالنذر ، ولا تستطيع
أن تقوم بالخدمة ، ولكنها بناء على رأى سدنة الهيكل نكذت نذرها ،
ووضعت طفلتها فى الهيكل المقدس لخدمته وللعبادة فيه ، وقد تنازع
سدنة البيت أيُّهُم يكفل مريم الصغيرة ، فاقترعوا فيما بينهم فخرجت
القرعة لزكريا ، فكفلها وعنى بها ، وكان زوج خالتها ، ولم يكن له فى
ذلك الوقت أولاد كما قلنا من قبل . فوجد راحة كبيرة فى الإشراف على
هذه الصغيرة الناسكة ، وقد رأى زكريا صوراً حاراً لها ، تتعلق بهذه
الفتاة ، هى هذه الأرزاق التى تأتياها ، وفاكهة الصيف التى يجدها عندها
فى الشتاء وفاكهة الشتاء التى يجدها فى الصيف ، وراقبها زكريا فما وجد
أحدًا يدخل عليها ، ولا وجدها تخرج من حجرتها ، ولذلك سألها كما مر :
أنسى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله . وقد وردت هذه القصة فى
الآيات الكريمة :

(إذ قالت امرأة عمران : رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً
فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت : رب إنى
وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأُنثى ، وإنى
سميتها مريم ، وإنى أعيدُها بك وذريتُها من الشيطان الرجيم ،
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَنًا ، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ، كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا : قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكِ هَذَا ؟
قَالَتْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَا يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم
يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون (١) .

العقم في بنى إسرائيل :

إن الذى يدرس تاريخ بنى إسرائيل يشاهد تفشى العقم فيهم ،
فالذى حدث لزكريا وزوجته والذى حدث لعمران وزوجته ليس شيئا
نادرا ، وفي كثير من الأحوال كان العقم يستمر ، وأحيانا تجيء لفئة من
الله سبحانه وتعالى فيهب الولد بعد اليأس وتقدم السن كما رأينا ، ولعل
هذا العقم هو الذى جعل بنى إسرائيل الآن لا يتكاثرون كما يتكاثر سواهم
من البشر .

• إنه لطف الله حتى لا يكثر هذا الوباء في المجتمع البشرى .

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٤ - ٣٧ و ٤٤ .

المسيح في نظر المسلمين

بعد الحديث عن هذه الشخصيات المهمة التي مهّدت للكلام عن السيد المسيح ، نصل للحديث عن السيد المسيح نفسه ، وقد ظلت مريم في الاعتكاف كعادتها ، ولكنها فوجئت في يوم من الأيام برجل يقف أمامها ، فارتاعت وتساءلت : من هذا الذي ينعّص عليها وحدتها ؟ وماذا يريد منها ؟ ولكنه نقلها من عجب إلى عجب حين قال لها : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ^(١) » وصاحت مريم : « أنتى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا ^(٢) » فأجاب « كذلك ، قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا ^(٣) » ورضيت مريم بمنحة الله ، وبدأ الحمل ، وتقول الآية الكريمة « والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » ^(٤) .

ما الروح ؟

وينبغى أن نقف هنا وقفة قصيرة لنقدّم دراسة عن الروح متصلة بقوله تعالى « فننفخنا فيها من روحنا » .
وقد وردت « الروح » في القرآن الكريم بمعان ثلاثة هي :

١ - بمعنى جبريل ، قال تعالى :

البقرة ٨٧	— وأيدناه بروح القدس
مريم ١٦	— فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا
الشعراء ١٩٣	— نزل به الروح الأمين
المعارج ٤	— تعرج الملائكة والروح إليه
القدر ٤	— تنزل الملائكة والروح فيها

(١) سورة مريم ١٩ .

(٢) مريم ٢٠ .

(٣) مريم ٢١ .

(٤) الانبياء ٩١ .

٢ — بمعنى الوحي بوجه عام أو القرآن بوجه خاص ، قال تعالى :

— ينزل الملائكة بالروح من أمره النحل ٣

— يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده المؤمنون ١٥

— وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا الشورى ٥٢

٣ — بمعنى القوة التي تحدث الحياة في الكائنات ، قال تعالى :

— ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الاسراء ٨٥

— إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا

سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين الحجر ٢٨ — ٢٩

— إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه

من روحي فقعوا له ساجدين ص ٧١ — ٧٢

— والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا الأنبياء ٩١

— ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فننفخنا فيه

من روحنا التحريم ١٢

والآية السابقة «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»

واضحة الدلالة على أن هذه القوة التي تحدث الحياة في الكائن هي من

علم الله ، وأن الله سبحانه خص نفسه بمعرفة كنهها ، وهو وحده الذي

يمنحها فتدب الحياة أو يأخذها فتصبح الأجسام هامة .

والآيات التالية تطبيق لذلك ، فالله خلق بشرا من طين ثم أودعه

الروح ، وباللغة القرآنية « نفخ فيه من روحه » أي أودعه القوة التي

لا يعرفها ولا يسيطر عليها سواء ، فجاء آدم .

وأودع هذه القوة رحم مريم العذراء التي أحصنت فرجها ولتزم

بالعفاف وعدم مخالطة الرجال ، ونتيجة لنفخ روح الله في رحم مريم أي

إبداع الله القوة التي تخلق الكائن الحي في رحم السيدة العذراء ، جاء السيد المسيح •

ومن هنا تجيء الآية الكريمة « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . . » (١)

ويلاحظ في الآيتين الكريمتين السابقتين المرتبطتين بالسيدة العذراء وحملها أن الآية الأولى تقول « فنفخنا فيها » والثانية تقول « أحصنت فرجها فنفخنا فيه » والمقصود في الآية الأولى منحنا مريم القوة التي جعلت طفلا يدب في رحمها ، فالضمير لمريم ، أما الآية الثانية فاتجهت للموسيلة التي يجيء الأطفال عن طريقها وذلك للتقريب ، وهناك إحدى القراءات في هذه الآية تقول « فيها » أيضا ، والنفخ هو تسلط الإرادة كما سنرى بعد قليل وليس نفخا بالمعنى المعروف •

ويتجه الإمام البيضاوى اتجاهها ميسرا في شرح هذه الآيات فيرى أن « مِنْ » حرف زائد ، وأن المقصود أودعنا في الطين أو في الرحم روحنا أي القوة التي لا يملكها سوانا والتي بمقتضاها يجيء كائن حي بدون الوسائل العادية • وكلماته هي « روح خلقناه بلا توسط أصل » (٢) •

ويقول الباحثون المسلمون إن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح أي أن تدب الحياة ، ويقولون إن منح الله القوة في كل الأرحام ضروري للحمل والحياة ، وأن كثيرا من الأزواج يلتقون بزوجاتهم ، ولا يحصل حمل مدة من الزمن لأن الله سبحانه لم يمنح هذه القوة التي يبدأ بها الحمل أو تبدأ بها الحياة ، ثم يتفضل الله عندما يشاء فيمنح هذه القوة ويبدأ الحمل ، ومعنى هذا أن نفخ الروح في الأرحام ضروري لكل البشر ، وانما ورد النص في حالتي آدم وعيسى لأن الخلق في آدم والحمل في عيسى

(١) آل عمران ٥٩ •

(٢) تفسير البيضاوى ص ٩١ من الجزء الثانى •

جاء بغير الطريق الطبيعي ، ولكن بالنسبة لله سبحانه وتعالى تستوى
كل الطرق •

ولعله يرتبط بهذا ما يذكره ابن هشام حول تفسير قوله تعالى
« هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء (١) » فإنه يذكر أن عيسى
عليه السلام كان ممن صُوِّرَ فى الأرحام كما صور غيره من بنى آدم (٢) •

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام هذه القوة
ليستعملها فى هيئة الطير التى صنعها من الطين ثم نفخ فيها فأصبحت
طيра بإذن الله قال تعالى « ورسولا الى بنى إسرائيل أتى قد جئتكم بأية
من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا
بإذن الله (٣) » •

النفخ :

وأيضا كلمة النفخ التى تكرر ورودها فى القرآن الكريم متصلة
بخلق آدم أو بخلق عيسى عليهما السلام أو بخلق طير من الطين أو متصلة
بالنفخ فى الصور ، نذكر أن المفسرين يرون أن معنى النفخ هو تحصيل
آثار الروط أى أن تدب الحياة ، فهو تسلط الإرادة بالحياة فى حالة آدم
وعيسى وهيئة الطير التى أعدها عيسى ، وتسلط الإرادة بالبعث يوم القيامة،
وكلمات المفسرين التفصيلية هى : أصل النفخ إجراء الريح فى تجويف
جسم آخر ، ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب،
وتنفيض به القوة الحيوية فيسرى حاملا لها فى تجويف الشرايين الى
أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا ، والمقصود تعلق الإرادة على
كل حال •

وعلى هذا فخلق عيسى على هذا النمط هو على نمط خلق آدم وخلق
الطائر من الطين الذى سيهيئه عيسى على هيئة الطير ، وهو تصرف

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٦١ •

(١) آل عمران ٦ •

(٣) آل عمران ٤٩ •

لا يحتاج لجهد ، ولكن المسيحيين عندما اتخذوا ذلك وسيلة لتأليه عيسى
عقّدوا الأمور ، وصوروا عيسى ابن الله والله سبحانه لم يلد ،
ولم يولد ، لم يكن له كفوا أحد .

وقد اتجه بعض الكتّاب المسلمين ^(١) الى تأليف كتاب جعل عنوانه
« إن مثل عيسى عند الله كمثّل آدم » وذلك لدقة الصلة بين الحالتين .

مشكلات السيدة العذراء بعد الحمل :

لقد تقبلت السيدة العذراء أمر ربها ، وبدأ حملها بابنها ، ولكن كيف
سيكون موقفها من الناس الذين لا يعلمون ما تعلم ؟

وبعد فترة بدأ الجنين يدبُّ في رحم العذراء ، وكثرت أوهامها
وأفكارها عما سيقوله الناس عنها ، وخرجت من الهيكل الى قريتها
الناصرية ، وأقامت في بيت صغير اعتزلت فيه الناس ، ثم خرجت مع
يوسف النجار الى بيت لحم ، فلما أوشكت على الوضع وأحست ألم
المخاض خرجت من القرية ، فأجاءها المخاض (دفعها) الى جذع نخلة
يابسة ، وحيدة فريدة ، حيث وضعت السيد المسيح ، ونظرت لطفلها
البريء الذي سيصبح في نظر القوم دليل جريمة ، وقالت : « يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » ^(٢) ثم فكرت في طعامها وشرابها ليكون
ذلك وسيلة لدرّ اللبن الى ابنها ، فسمعت صوت الملاك يناديها « ألا
تخزني قد جعل ربك تحتك سرياً (جدول ماء) وهزّئى إليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشربى ، وقرّئى عيناً ^(٣) » .

وإذا كانت مسألة الطعام والشراب قد انحكّت فكيف بمشكلة العار؟
وماذا عسى أن تقول للمتّهّمين والمتهكّمين والذين سيصيحون فيها قائلين

(١) هو الدكتور حسن عز الدين الجبل .

(٢) سورة مريم الآية ٢٣ .

(٣) نفس السورة الآيات ٢٤ - ٢٦ .

« يا مريم لقد جئت شبيهاً فريراً ، يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً
سوءاً وما كانت أمك بغياً (١) » ولكن الملاك علمها الرد على هذا الاتهام ،
وهو أن تسكتَ وتدعَ الرد للطفل الصغير ففى كلامه الرائع معجزة وأية
معجزة ، « فإما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوماً
فلن أكلم اليوم إنسياً (٢) » .

فلما تجمع القوم وسألوها عن فعلتها أمسكت عن الكلام وأشارت
اليهم ليكلموا الصبي « فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد
صبياً ؟ قال إننى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبياً ، وجعلنى مباركاً
أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتى وام
يجعلنى جباراً شقيماً ، والسلام على يوم وُلِدْتُ ويوم أموت ويوم
أبعث حياً (٣) » وصدق قليلون ، وراه الباقون سحراً ، وظلّت أغلبية
بنى إسرائيل الساحقة في طغيانهم يعمهون ، فكانوا يسمونه « ابن البغي »
وكانوا يقولون على مريم بهتاناً عظيماً (٤) .

هل هناك حكمة في أن عيسى وُلِدَ من غير أب ؟

يرى الأستاذ أبو زهرة أن ذلك كان لحكمة رائعة ، فاليهود كانوا
قوماً ماديين ربطوا الأسباب بمسبباتها ، وسادت عندهم الفلسفة التي
تقول إن خلق الكون كان من مصدره الأول كالعلة من معلولها ، فأراد الله
سبحانه أن يوضح لهم أن قدرته هي التي ربطت الأسباب بمسبباتها ،
وأنها تستطيع أن تتجاوز هذا القانون فيوجد المسبب دون أن يوجد
السبب ، فخلق الله عيسى من غير أب لهذا . ومن مادية اليهود أيضاً

(١) سورة مريم الايات ٢٧ - ٢٨ . وأخت هارون معناها أنها من نسل
هارون أخى موسى ، والعرب يقولون للتيمى يا أخا تميم وللقريشى يا أخا
قريش .

(٢) سورة مريم الآية ٢٦ .

(٣) نفس السورة الايات ٢٩ - ٣٣ .

(٤) مما يرتبط بعيسى في هذه المرحلة ما رواه متى من أن مريم خرجت
بعيسى ومعها يوسف النجار الى مصر هرباً من ملك اليهود ، وسنذكر ذلك
عند الكلام عن « المسيح في نظر المسيحيين » .

إنكارهم الروح واعتقادهم أن الإنسان مادة خلقت من مادة فأراد الله أن يخلق إنساناً دون أن تكون المادة أساساً له (١) .

نشأة عيسى :

ليس عندنا كثير من المعلومات عن نشأة عيسى ، ويقول القس بولس شباط إن الأنجيل قد أوجزت الكلام عن حياة عيسى من مولده الى دعوته ، فلم تذكر منها إلا نزرا يسيرا ، ولا كتب الإنجيليون سوى أنه كان يزاول التجارة (٢) وقد نشأ — فيما يبدو — كما ينشأ الصبيان في عهده ، وكان ينتقل مع أمه بين الناصرة وبيت المقدس ، وامتاز بذكاء وعمق ، فلم يكن يهتم بمظاهر الأشياء بل كان يغوص في أعماقها ، وكان يسمع المدرسين والحكماء فلا يسلم بما يقولون به ، بل يناقشهم كلما رأى في كلامهم غموضاً أو ألغازاً مما تعود سواه أن يقبلها دون تفسير أو نقاش ، وقد أَلَمَّ بالتوراة ونال من العلم قسطاً كبيراً ، وساءه ما آلت إليه حالة قومه من بنى إسرائيل من ضلال وعمى ، وما خضعوا له من ترهات وأكاذيب سنلم ببعضها فيما يلي :

بنو إسرائيل قبل نبوة عيسى :

حرّف بنو إسرائيل شريعة موسى وجعلوا همهم جمع المال • وامتد هذا التفكير المادى الى العلماء والرهبان ، فأخذوا يحرّضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل. رجاء أن يحصلوا على الغفران ، وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم •

وتعمقوا في المادية وبعدوا عن الروحية ، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ، ومن ثمّ أنكروا الحساب والعقاب ، فانغمس الكثيرون منهم في متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقعين حساباً ، وفي

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٥ .

(٢) انظر المشرع ص ٩٢ ومتى ١٣ : ٥٥ .

كلمة واحدة لقد فسدت العقيدة وفسدت الأخلاق ، ولم يكن بد^١ من منقذ يحاول أن يرددهم عن طغيانهم الذين كانوا فيه يعمهون (١) .

نبوة عيسى ومعجزاته :

بُعث المسيح وهو في حوالي الثلاثين من عمره ، وكان لب دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة ، وأيده الله بمعجزات خارقة هامة ذكرها القرآن في الآيات الآتية : « ورسولا الى بنى إسرائيل أنى قد جئتمكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرئ^٢ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم (٢) » فهذه معجزات أربعة :

- ١ — خلق طير من الطين .
- ٢ — إبراء الأكمه والأبرص .
- ٣ — إحياء الموتى .
- ٤ — الإنباء بما هو مجهول من طعامهم ومدخراتهم .

وأما المعجزة الخامسة فهي إنزال المائدة التى طلبها الحواريون وقد ورد ذكرها في قوله تعالى « إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (٣) » .

(١) انظر طه المدور : بين الديانات والحضارات ص ٢٨ والقس بولس سباط ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٩ .

(٣) سورة المائدة ١١٢ - ١١٥ .

ولست أدري كيف يتشكك الحواريون في رسالة عيسى مع براهينه الماضية ، وهم الذين اتبعوه من دون بنى إسرائيل ؟ وإذا كان هذا شأن الحواريين فكيف يكون شأن العامة ؟ ثم لماذا كانت المائدة هي الوسيلة الوحيدة ليصدقوا ، مع أنها ليست أقوى من إحياء الموتى ولا إبراء الأكمة والأبرص ؟

وقبل أن نترك معجزات المسيح نقرر أن المسلمين مع إقرارهم بهذه المعجزات لا يؤيدون ما تذكره الأناجيل عن استعمال هذه المعجزات في الحياة العملية ، فالذى يقرأ هذه الأناجيل يلاحظ ملاحظتين هامتين :

١ — تذكر هذه الأناجيل عددا ضخماً أحياهم المسيح بعد الموت ، أو شفاهم من البرص ، أو جعلهم يبصرون بعد العمى ، وطبيعة المعجزة غير ذلك ، إنها دليلٌ لإثبات النبوة ، ومعنى ذلك أنها تستعمل بضع مرات لتحديدى البشر حتى يصدقوا ، ولكن الذى تذكره هذه الأناجيل غير هذا ، إنه أشبه بالتمثيل ، أى يُميت الله فيحى عيسى من أماته الله دائما ، ويقضى الله بالعمى فيهب عيسى الأبصار لكل العميان •

وتحفل الأناجيل بالحديث عن العشرات والمئات من المجانين والمصروعين والعميان والموتى والمشلولين الذين شفاهم السيد المسيح^(١) ، وأحيانا يذكر إنجيل متى أن « جموعا كثيرة جاءت ليسوع فيهم العرج والعمى والخرس والمشلول وآخرون كثيرون وطرحوا عند قدامى يسوع فشفاهم »^(٢) •

٢ — من أين هذا العدد الكبير من المرضى والموتى والعميان • • • الذين ذكرت الأناجيل أن معجزات المسيح مستتهم ؟ حتى ليوشك أن يفوق هذا العدد سكان فلسطين جميعا في ذلك الوقت ، وكان كل السكان مسهم البرص أو العمى فشفاهم عيسى ، أو ماتوا فأحياهم •

(١) انظر انجيل متى في الاصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ •

(٢) ١٢ : ١٥ و ٢٩ : ٣١ •

اتجاه معجزات عيسى :

لماذا اتجهت معجزات المسيح اتجاهاً طبيياً في الغالب؟

المشهور أن أكثر معجزات الرسل تأتي من نوع ما اشتهر من الفكر في عهد كلٍّ منهم ، وتكون في مستوى أعلى مما يستطيعه الناس ، فالسحر كان معجزة موسى ، والبلاغة كانت من معجزات محمد ، لانتشار السحر في عهد موسى ، وانتشار البلاغة في عهد محمد ، ولكن ، ليس معنى هذا انتشار الطب بين بنى إسرائيل في عهد عيسى ، لا ، فإن الثابت أن معرفة بنى إسرائيل بالطب كانت قليلة حينذاك وقبل ذلك ، حتى لقد كان انتشار الوباء بينهم من أسباب إخراجهم من مصر ^(١) ، والذي نراه أن معجزات عيسى في صميمها تتفق مع طبيعة مولده ، فمعجزاته من نوع مولده ترمي الى إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح ، تلك التي أنكرها أكثر بنى إسرائيل فخلق شكل طير من الطين لا حراك فيه ، ثم النفخ فيه فيتحرك ويطير مع أن مادته لم يزد عليها شيء ، معناه أن زيادة جديدة طرأت ، وهذه الزيادة ليست مادية قط ، فلا بد أن تكون روحية ، وجسم الميت الذي لا يتحرك ولا يعي ، يصبح بعد دعوة عيسى حياً واعياً دون زيادة مادية عليه ، فمعنى ذلك وجود الروح .

وتتصل بمعجزات عيسى عليه السلام خرافة كان جديراً بنا أن تغض عنها الطرف ، ولكن لا بأس من إيرادها للترويح ، فقد ذكر الأب بولس إلياس ^(١) في مجال الفخر بعيسى ومعجزاته ما يلي :

« ومن مزيته التي لا يفاضله فيها نبي ولا رسول أنه أفضى بالقدرة على إتيان المعجزات الى تلاميذه ، ثم جدّد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده الى السماء ، وأورث كنيسته تلك القدرة أيضاً » .

(١) اقرأ كتاب « اليهودية » للمؤلف .

(٢) يسوع المسيح ص ٨٩ مشيراً في هامشه الى متى ١ : ١ ولوقا

٢٠ - ٩ ويوحنا ١٤ : ١٢ .

ولو استطاع البابا الآن أن يحيى الموتى أو يبصر الأكمه والأبرص كما كان عيسى يفعل ، لو استطاع ذلك لتوقف الخلاف بين الأديان ولا تتجه كافة البشر ، ولكن هيهات أن يكون ذلك ، فليس البابا إلا إنساناً يمرض ولا يعرف الطريق الى علاج نفسه ، فما بالك بعلاج سواه ، وقد رأينا حديثاً أحد البابوات يمرض ويطول عليه المرض ، وتقويم الصلوات في الكنائس للتخفيف عنه وشفائه دون جدوى ، فمن أين جاء بولس إلياس وأمثاله بهذه الخرافة ؟

اليهود ودعوة المسيح :

كانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلاً عند اليهود ، هما :

١ — شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم .

٢ — ادعائهم أنهم شعب مختار ، وادعاء أخصائهم أنهم الصلة بين الله والناس ، وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق .

ولشدّ ما كان ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا يسوع يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات ، إذ علّم الناس أن الله ليس من المساومين ، وأن ليس هناك شعب مختار ، وأن لا أخطياء في مملكة السماء ، وأن الله هو الأب المحب لكل الأحياء ، وأنه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات عدم استطاعة الشمس ذلك مع الناس سواء بسواء (١) .

وبسبب هذا الموقف تعرّض عيسى الى عداء بنى إسرائيل وسخطهم ، ولم يؤمن به إلا قليلون منهم ، فقد انتظروه مسيحاً يبيسط سلطان بنى إسرائيل على العالم أجمع ، ولكن خابت آمالهم فيه (٢) ، ثم عندما رأوا أن بعض الضعفاء اتبعوه ، خافوا أن تنتشر مبادئه ، فأغروا به الحاكم الرومانى ، ولكن الرومانيين كانوا وثنيين ولم يكونوا على استعداد

(١) Wells : Outline of History vol, 3 p. 684.

(٢) الاب بولس إلياس : يسوع المسيح ص ٢٧ .

للدخول في الخلافات الدينية بين اليهود ، ولم تكن دعوة المسيح التي أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة ، ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد ، ولذلك لم يستحق غضب الرومان ، ولكن اليهود تتبعوا عيسى لعلوم يجدون منه سقطة تثير عليه غضب الرومان ، فلما لم يجدوا تقوىً لولا عليه وكذبوا ، فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى ، فأصدر أمره بالقبض عليه ، وحكم عليه بالإعدام صلباً .

وكان الكهنة وغوغاء أورشليم المتمسكون بعقيدتهم السلفية أكبر المتهمين ليسوع (١) . وقد ذكرنا ذلك بشيء من التفصيل عند حديثنا السابق عن مسيرة المسيحية .

نهاية المسيح على الأرض :

أخذ جند الرومان يبحثون عن عيسى لتنفيذ الحكم عليه كما أوردنا من قبل ، وكان عيسى قد لجأ الى ضيعة جتسيماني ليحتمي بها ، ولكن الخائن يهوذا الاسخريوطى أحد الحواريين ، كان قد اتفق مع زعماء اليهود على أن يدلهم على مكانه نظير ثلاثين قطعة من الفضة ، وتسلم هذا الخائن هذا المبلغ ، وقاد جند الرومان الى حيث وجد السيد المسيح ، ولما كان جند الرومان لا يعرفون شخصية المسيح ، فقد ذكر الخائن لهم علامة هي قوله : الذي سأقبضه هو هو أمسكوه .

وتم كل شيء على هذا النمط ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فإنه عند تقبيل الخائن للمسيح ألقى الله على الخائن شبه عيسى وملامحه تماما ، فأصبح الدليل هو المدلول عليه ، وأصبح الذي قبّل يحمل جميع ملامح الذي قبّل ، وتقدم جند الرومان فقبضوا على

(١) Wells : Outline of History vol, 3 p. 693. ويسوع تحريف ليشوع ومعناه المخلص لانه سبب لتخليص الكثيرين من آثامهم ، لانه — في اعتقادهم — ضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وسنعرض هذا الرأي فيما بعد .

الخائن وأرتج عليه ، أو آسكته الله فلم يتكلم حتى نفذ فيه حكم الصلب (١) .

أما السيد المسيح فقد كتب الله له النجاة من هذه المؤامرة ، وانسلت من بين المجتمعين فلم يحس به أحد ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وسيأتى مزيد من الكلام لإيضاح هذا الموضوع بعد قليل .

بقيت بعض نقاط جدية بالإيضاح هي :

أولاً: من هو الخائن؟

ما ذكرناه آنفاً من أن الخائن هو يهوذا الاسخريوطى أحد الحواريين الاثنى عشر هو رواية مسيحية ، أما المراجع الاسلامية فلم تحدد شخصية الواشى ، وتتجه المراجع المسيحية الى نجاح المؤامرة و صلب السيد المسيح ، وأن يهوذا كان حيا بعد صلب عيسى ، وأنه ندم و رَدَّ الى كهنة اليهود ما كان قد أخذه منهم ، ومضى فخنق نفسه (١) .

ولا يوافق المسلمون على هذا الزعم لأن هذه المراجع اتجهت دذا الاتجاه لاقتناعها بأن الذى صلب هو السيد المسيح نفسه ، ونقول إنه إذا ثبت أن يهوذا كان حيا بعد هذه الحادثة فإن الخائن يكون شخصا آخر ، لأن المسلمين لم يحددوا شخصية الخائن .

وأغلب الظن أن الدفاع عن يهوذا دفاع مصطنع قام به بعض الذين شملهم الخجل من هذه الخيانة التى قام بها أحد الحواريين .

وإذا جاز لنا أن نجرى بعض المقارنة فإننا نذكر القارىء أن زعماء المسلمين كانوا فى حالات متعددة يضعون أنفسهم لمواجهة المخاطر حتى ينجو الرسول ، وقد حدث ذلك فى غزوة أحد وغزوة حنين ، كما حدث

(١) انظر تفسير البيضاوى ج١ ص ٦٤ و ١٠٤ وانجيل برنابا بالاصحاح

١١٢ : ١٣ - ١٥ .

(٢) متى ٢٧ : ٣ - ٥ .

قبل ذلك عندما بلت الإمام على في سرير الرسول ليلة الهجرة ، وهو يعرف أن من يبیت في هذا السرير يواجه الموت من الأعداء المتربصين بصاحب البيت •

ثانيا : الى أين ذهب عيسى بعد النجاة من المؤامرة ؟

لم نتحدث المراجع التاريخية عن المكان الذي ذهب اليه عيسى عليه السلام عقب نجاته من المؤامرة ، والذي يرشد له العقل أن عيسى عليه السلام بعد ذلك ترك فلسطين لأن بقاءه فيها كان ممثلاً أن يعثر عليه اليهود والسلطة الحاكمة في يوم من الايام ، وأن ينفذوا فيه الحكم الذي صدر عليه •

وعلى كل حال فقد اختفى السيد المسيح عقب نجاته ، واختفت معه أخباره ، على أن هناك قولاً يرى أن المسيح هاجر الى بلاد الهند ومات هناك في لا هور ، وهو قول ينقصه التأكيد والوثائق •

ثالثاً : ماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة :

هل رفع الى السماء حياً بجسمه وروحه ؟

هل استوفى أجله على الأرض وهو مختفٍ ثم مات ودفن جسمه ورفعت روحه الى بارئها ؟

كان هناك اتجاه شاع بين الناس بأن عيسى عليه السلام عندما نجا من المؤامرة رُفِعَ بجسمه وروحه الى السماء ، وكان هذا الرأي يصوّرُ اختفاءه الذي تحدثنا عنه ، ولكن هذا الاتجاه واجه دراسة واسعة قام بها المفكرون في العصر الحديث ، واعتمدوا في كلامهم على نصوص قديمة ودراسات موثقة ، وأوشك هذا الاتجاه الجديد أن يقضى على المزاعم القديمة التي كانت تقول برفع السيد المسيح بجسمه وروحه •

وعلى كل حال فينبغي أن نورد دعائم الرأي القديم ، وأن نتناقش هذه الدعائم لنسهم في تأصيل الرأي الجديد الذي نرتضيه •

بِنسبِ الرأى القديم على فهم غير دقيق للآيات والأحاديث التالية :
قوله تعالى : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول
الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي
شك منه ، ما لهم من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه
الله إليه (١) » .

— وقوله « إني متوفيك ورافعك إلى مطهرك من الذين كفروا »

— ما ورد في البخارى ومسلم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : والذي نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكما عادلا
مقسطا ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير

— ما ورد في مسلم من أن عيسى سينزل في آخر الزمان فيقتل
المسيح الدجال .

مناقشة هذه الأدلة وردّها :

ويناقش جمهور المفكرين المسلمين هذه الأدلة فيقولون إن عيسى
بعد أن نجا من اليهود عاش زمناً حتى استوفى أجله ، ثم مات ميتة عادية
ورفعت روحه الى السماء مع أرواح النبيين والمصديقين والشهداء ، وقد
ورد النص برفع عيسى — مع أن روحه استرفع بطبيعة الحال لأنه نبي —
تكريماً لمكانته بعد التحدى الذى واجهه من اليهود ، فذكر الله نجاته ، ثم
مكانته التى استلزمت رفع روحه .

ويقولون عن الآية الأولى « بل رفعه إليه » إنها تحقيق الوعد الذى
تضمنته الآية الثانية « إني متوفيك ورافعك إلى مطهرك من الذين
كفروا » فإذا كان قوله تعالى « بل رفعه الله إليه » خلا من ذكر الوفاة

(١) النساء ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) آل عمران ٥٥

والتطهير واقتصر على ذكر الرفع فإنه يجب أن يلاحظَ فيها ما ذكر في قوله « إني متوفيك .. » جمعاً بين الآيتين .

ويرى هؤلاء العلماء أن الرفع معناه رفع المكانة وقد جاء الرفع في القرآن بهذا المعنى كثيرا ، قال تعالى :

— في بيوت أذن الله أن ترفع (١) .

— نرفع درجات من نشاء (٢) .

— ورفعنا لك ذكرك (٣) .

— ورفعناه مكاناً علياً (٤) .

— يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (٥) .

وإذن فالتعبير بقوله « ورافعك إلى » وقوله « بل رفعه الله إليه »

كالتعبير في قولهم : لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفي (إن الله معنا) (٦) .

وفي (عند مليك مقتدر (٧)) ، وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية

والحفظ والدخول في الكنف المقدس (٨) .

وهناك آية كريمة أقوى دلالة من آيات الرفع ، ولكنها مع هذا

لا تفضي سوى خلود الروح لا الجسم ، وهي قوله تعالى « ولا تحسبنّ

الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون (٩) . فرحين

بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من في

خلفهم (٩) » .

(١) سورة النور الآية ٣٦ .

(٢) سورة الانعام الآية ٨٣ .

(٣) سورة الانشراح الآية الرابعة .

(٤) سورة مريم الآية ٥٧ .

(٥) سورة المجادلة الآية ١١ .

(٦) سورة التوبة الآية ٥٥ .

(٧) سورة القمر الآية ٥٥ .

(٨) الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت : الفتاوى ص ٥٦ .

(٩) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

فمع أن الآية قررت أنهم أحياء فليس معنى هذا حياة الجسم ،
فجسم الشهيد قد وُورى التراب ، ومع أنها قررت أنهم عند ربهم •
وأنهم (يرزقون) ••• فليس المقصود هو العندية المكانية • ولا الرزق
المادى ، وإنما المقصود تكريم الروح بقربها من الله قرب مكانة
والاستمتاع بالذائد استمتاعاً روحياً لا جسمانياً •

وعن الحديثين يجب الباحثون بإجابتين :

أولاً — هما من أحاديث الآحاد وهى لا توجب الاعتقاد ، والمسألة
هنا اعتقادية كما سبق •

ثانياً — الحديثان ليس فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه ،
وقد فهمَ الرفع من نزول عيسى ، فاعتقد بعض الناس أن نزول عيسى
معناه أنه رُفِعَ وسينزل ، وهكذا قرر هؤلاء أن عيسى رُفِعَ لمجرد أن
في الحديثين كلمة ينزل ، مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة
للنزول ، فإذا قلت نزلت ضيفا على فلان ، فليس معنى هذا أنك كنت
مرتفعا ونزلت ، وإذا رجعنا الى مدلول هذه الكلمة (نزل — وأنزل) فى
القرآن الكريم ، وجدنا أنه لا يتحتم أن يكون معناها النزول من ارتفاع ،
بل قد يكون معناها : جعل ، أو قدَّر ، أو وقع ، أو منح ، قال تعالى :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ^(١) » أى جعلنا فى الحديد قوة
وبأساً •

وقال : « وقل ربي أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ^(٢) »
أى قدَّر لى مكاناً طيباً •

وقال : « فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ^(٣) » أى وقع •

(١) سورة الحديد الآية ٢٥ •

(٢) سورة المؤمنون الآية ٢٩ •

(٣) سورة الصافات الآية ١٧٢ •

وقال : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (١) » أى منحكم وأعطاكم .

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينزل فى الحديثين — لو صحَّ هذان الحديثان — ليست إلا بمعنى يجيء ، ومن الممكن أن يُحْيى الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل قيام القيامة ، وليس ذلك بمستبعد قط على الله ، والاستنتاج الذى قال به هؤلاء خروج بالكلمات عن مدلولها ، فالرفع ليس من كلمات الحديث الشريف بل من تفكير بعض قارئى الحديث وليس من حقهم أن يضيفوا الى الحديث ما ليس منه ومالا تستدعيه ألفاظه .

وهناك آيتان اختلف المفسرون فى تفسيرهما ، وجاء فى بعض ما قيل عنهما أنهما تدلان على نزول عيسى فى آخر الزمان ، وهاتان الآيتان هما :

- وإن° من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (٢) .
- وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها (٣) .

فعن الآية الأولى يرى بعض المفسرين أن الضمير فى « به » وفى « موته » عائد على عيسى ويكون المعنى على ذلك عندهم أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن° بعيسى قبل أن يموت عيسى أى سيؤمنون به عند عودته آخر الزمان ، ولكن هذا مردود بما ذكره مفسرون آخرون من أن الضمير فى « به » لعيسى وفى « موته » لأهل الكتاب ، والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تتكشف له الحقيقة عند حشجة الروح فيرى أن عيسى رسول ورسالته حق ، فيؤمن بذلك ، ولكن حيث لا ينفعه إيمان (٤) .

(١) سورة الزمر الآية السادسة .

(٢) النساء ١٥٩ .

(٣) الزخرف ٦١ .

(٤) الشهيد سيد قطب : فى ظلال القرآن ج ٦ ص ١٤ .

وأما عن الآية الثانية « وإِنَّه لعلم للساعة . . . » فيرى بعض المفسرين أن الضمير في « إنه » ، راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم أو الى القرآن على أنه من الممكن أن يكون راجعاً — كما يقول مفسرون آخرون — الى عيسى لأن الحديث في الآيات السابقة كان عنه . فالمعنى وإن عيسى لعلم للساعة ، ولكن ليس معنى هذا أن عيسى سيعود للنزول بل المعنى أن وجود عيسى في آخر الزمان (نسيبياً) دليل على قرب الساعة وشرط من أشراتها ، أو أنه بخلقه بدون أب ، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث .

وعلى كل حال فنزول عيسى في آخر الزمان على فرض حدوثه ليس معناه رفعه حياً بجسمه كما سبق القول ، ثم إن الدليل إذا تطرق له لاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول علماء الأصول ، وفي هذه الأدلة أكثر من الاحتمال ، بل فيها اليقين عند الأكثرين .

المسيح الدجال في رأى الامام محمد عبده :

ترى المسيحية أن المسيح الدجال أو المسيح الدجال شخص مضادٌ للمسيح وأنه ظهر أو سيظهر ليقود قوى الشرِّ ضد قوى الخير ^(١) .

ففكرة المسيح أو المسيح الدجال فكرة مسيحية ، وقد روى مسلم حديثاً عنها أوردناه فيما سبق ، وقد تعرض الاستاذ الإمام محمد عبده لهذا الحديث وقال :

إن هناك تخريجين لهذا الحديث :

١ — أولهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا القطعى ، لأن المطلوب فيها اليقين ، وليس في الباب حديث متواتر .

٢ — ثانيهما أن الدجال ليس إلا رمزا للخرافات والدجل ، وقد وجد

(١) رسالة يوحنا الاولى ٢ : ١٨ والثانية (هي اصحاح واحد) الفقرة ٧

ذلك وسيوجد عدة مرات ، وهو يزول بشرعية الإسلام الفراء وبالقرآن والحديث وجهود العلماء والمفكرين وعلى هذا فلا وجود لما يسمى المسيح الدجال وهو الرأي الذي يرتضيه أكثر العلماء (١) .

رفع روح عيسى لا جسمه :

ونجى الآن لإيراد بعض التفاصيل والأدلة التي ترى أن عيسى عليه السلام مات كما مات كل الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وأن جسمه قد دفن كما دفنت أجسام الأنبياء وغيرهم ، وأن الذي رفع هو روحه :

وبادىء ذى بدء أذكر أن ندوة كبيرة أقامتها مجلة « لواء الاسلام » في أبريل سنة ١٩٦٣ عن هذا الموضوع ، وقد اشترك فيها مجمرة من العلماء الأفاضل ، واتفق الجميع على مبدئين مهمين هما :

١ — ليس في القرآن الكريم نص^٣ يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام قد رفع بجسمه الى السماء .

٢ — عودة عيسى عليه السلام جاءت بها أحاديث صحاح ، ولكنها أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية فلا تثبت بهذه الأحاديث (٣) .

وسنقتبس مما قاله هؤلاء العلماء بعد قليل عن موت عيسى ودفنه وصعود روحه الى بارئها مع أرواح الأنبياء ، والصديقين والشهداء .

وعلى كل حال فالعلماء الذين يرون أن الذي رفع هو روح عيسى لجسمه يعتمدون أساسا على الآيات القرآنية التالية :

— اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين

(١) اقرا تفسير النار عند شرح الايات الخاصة بنهاية عيسى على الارض .

(٢) عدد ذى الحجة ، ١٢٨ هـ (ابريل ١٩٦٣) ص ٢٦٣ .

كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم
إلى مرجعكم (١) .

فهذه الآية تذكر بوضوح ما سبق أن ذكرناه ، أى وفاة عيسى وتطهيره
وحمايته من أعدائه ، وتجعل عيسى ضمن أتباعه إلى الله مرجعهم .

— ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت
على كل شيء شهيد (٢) .

وواضح من الآية وفاة عيسى ونهايه رقابته على أتباعه بعد موته
وترك الرقابة لله .

— وقوله تعالى حكاية عن عيسى :

والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣)

والآية واضحة الدلالة على أن عيسى ككل البشر يولد ويموت
ويبعث ، وكل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما يحتمل .

وقد اشترك في هذا الرأي كثير من العلماء في العصور الماضية وفي
العصر الحديث ، وفيما يلي نسوق بعض تفاسير لهذه الآيات الكريمة كما
نسوق آراء العلماء الأجلاء .

يقول الإمام الرازى (٤) في تفسير الآية الأولى : انى متوفيك أى
منهى أجلك ، ورافعك أى رافع مرتبتك ورافع روحك الى ، ومطورك أى
مخرجك من بينهم ، ومفترق بينك وبينهم ، وكما عظم شأنه بلفظ الرفع

(١) آل عمران ٥٥ .

(٢) المائدة ١١٧ .

(٣) سورة مريم الآية ٣٣ .

(٤) تفسير الفخر الرازى .

أبيه خبرٌ عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل هذا يدل على المبالغة في اعلاء شأنه وتعظيم منزلته ، ويقول في معنى قوله تعالى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا » المراد بالفوقية ، الفوقية بالحجة والبرهان ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفَّعه في قوله : « ورافعك » هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة ، كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة .

ويقول الألوسي (١) ان قوله تعالى : « انى متوفيك » معناها على الأوفق انى مستوف أجلك ، ومميتك موتا طبيعيا ، لا أسلط عليك من يقتلك ، والرفع الذى كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجانبه قوله تعالى : « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر تشريف وتكريم .

ويرى ابن حزم (٢) وهو من فقهاء الظاهر إن الوفاة في الآيات تعنى الموت الحقيقى ، وأن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، وأن عيسى بناء على هذا قد مات .

وقد تعرض الأستاذ الامام محمد عبده الى آيات الرفع وأحاديث النزول ، فقرر الآية على ظاهرها ، وأن التوفى هو الإمامة العالمة ، وأن الرفع يكون بعد ذلك وهو رفع الروح (٣) .

ويقول الأستاذ الشيخ محمود شلتوت (٤) ان كلمة « توفى » قد وردت في القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل في غير هذا المعنى الا بجانبها ما يصرفها

(١) انظر روح المعانى للألوسى .

(٢) الفصل فى الاهواء والملل والنحل (عند الكلام عن المسيحية) .

(٣) اقرا تفسير المنار عند شرح الايات السابقة .

(٤) الفتاوى ص ٢ ، وما بعدها .

عن هذا المعنى المتبادر ، ثم يسوق عددا كبيرا من الآيات استعملت فيه هذه الكلمة بمعنى الموت الحقيقي ، ويرى أن المفسرين الذين يلجئون الى القول بأن الوفاة هي النوم أو أن في قوله تعالى : « متوفيك ورافعك » تقدما وتأخيرا ، يرى أن هؤلاء المفسرين يحمّلون السياق ما لا يحتمل ، تأثرا بالآية « بل رفعه الله اليه » وبالأحاديث التي تفيد نزول عيسى ، ويردّ على ذلك بأنه لا داعى لهذا التفكير ، فالرفع رفع مكانة ، والأحاديث لا تقرر الرفع على الإطلاق .

ويقول فضيلته إنه إذا استدل البعض بقوله تعالى « وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ^(١) » على أن عيسى رفع إلى محل الملائكة المقربين . أجبناه بأن كلمة « المقربين » وردت في غير موضع من القرآن الكريم دون أن تفيد معنى رفع الجسم ، قال تعالى :

— والسابقون السابقون أولئك المقربون ^(٢) .

— فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ^(٣) .

— عينا يشرب بها المقربون ^(٤) .

أما السيد محمد رشيد رضا ، فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هي أن مسألة الرفع بالجسم والروح هي في الحقيقة عقيدة النصراني ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامي ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلي نص كلام هذا الباحث الكبير : ليس في القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ،

(١) سورة آل عمران الآية ٤٥ .

(٢) سورة الواقعة الايتان ١٠ - ١١ .

(٣) سورة الواقعة الايتان ٨٨ - ٨٩ .

(٤) سورة المطففين الآية ٢٨ .

وإنما هي عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بثتها في المسلمين (١) .

ويضيف هذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء (٢) .

ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مع اتجاهات الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول : أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى (٣) .

ويشير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر أنها - بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد وليست متواترة - لم تستهزأ قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى (٤) ، ويمكن ربط هذا بما ذكره السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصارى ، فإنهم في خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم في الفكر الإسلامى بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تستهزأ في القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت له العقيدة الإسلامية من دقة وعمق في هذه القرون ، ويختم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله إن نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد أحد أن النصوص تفيد هذا وترجحها فله أن يعتقد في ذات نفسه ولكن له أن يلتزم ولا يلزم (٥) .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراعى : ليس في القرآن نص قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حتى الآن

(١) تفسير المنار ج ١٠ من المجلد الثانى والعشرين .

(٢) تفسير المنار الجزء الثالث .

(٣) لواء الإسلام : العدد السابق ص ٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

بجسمه وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى في إدريس « ورفعناه مكاناً علياً » فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء (١)

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار (٢) : إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قوله تعالى : « ورافعك إلیّ » وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهراً وباطناً لله تعالى ، فقوله تعالى « إلیّ » هو كقول الله عن لوط « إني مهاجر إلى ربي » (٣) . فليس معناه أنى مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » (٤) .

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب (٥) عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة : لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من دخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس . ونجى الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالي وله في هذا الموضوع دراسة مستفيضة تقتبس منها بعض فقرات بنصوصها :

— أميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ، وأن جسمه في مصيره كأجساد الأنبياء كلها : وتطبق عليه الآية « إنك ميت وإنهم ميتون (١) » والآية « وما محمد إلا رسول قد خلت

(١) نقلاً عن كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٧٤ .

(٢) قصص الانبياء ص ٥١١ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٦ .

(٤) سورة النساء الآية ١٠٠ .

(٥) في ظلال القرآن الجزء الثالث ص ٨٧ .

(٦) سورة الزمر الآية ٣٠ .

من قبله الرسل (١) ، وبهذا يتحقق أن عيسى مات (٢) .

— ومن رأيي أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا (القرآن الكريم)
لم يقل قولاً حاسماً أبداً أن عيسى حي بجسده ، خير لنا منعاً للاشتباه
من أنه ولد من غير أب ، وأنه باق على الدوام مما يتروج لفكرة شائبة
الذلوهية فيه ، خير لنا أن نرى الرأي الذي يقول إن عيسى مات ، وإنه
انتهى ، وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط ، حياة كرامة
وحياة رفعة للدرجة .

— وأنتهى من هذا الكلام الى أنى أرى من الآيات التى أقرؤها فى
الكتاب أن عيسى مات ، وأن موته حق ، وأنه كموت سائر النبيين (٣) .

ويثر الأستاذ صلاح أبو إسماعيل نقاطاً دقيقة تتصل بالرفع
فيقول : إن الله ليس له مكان حسي محدود حتى يكون الرفع حسياً ،
وعلى هذا ينبغى تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة ، ثم إن
رفع للجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يترى الآن وأنه يحتاج
إلى ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ومن خواص الأجسام
على العموم ، وهو مالا يتناسب فى هذا المجال (٤) .

وأحب أن أجيب على من قال إن فى مقدور الله أن يوقف خواص
الجسم فى عيسى ، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يترى ولا يأكل
ولا يشرب ولا يهرم معناه العودة إلى الروحانية أو شىء قريب
منها ، وذلك قريب أو متفق مع الرأي الذى يعارض رفع عيسى بجسده .
وبعض الناس يقولون إن عيسى رُفِعَ بجسده وروحه ، فإذا سئلوا :

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٢) لواء الإسلام : العدد السابق ص ٢٥٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٨ .

إلى أين؟ وما العمل في خواص الجسم؟ قالوا لا نتعرض لهذا • وهو رد ليس - فيما نرى - شافياً •

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو إسماعيل الذي يتساءل قائلاً : إذا كان رفع عيسى رفعاً حسيًا معجزة ، فما فائدة وقوعها غير واضحة أمام معاندى المسيح عليه السلام وجاحدى رسالته ؟ وأنا أعتقد « الأستاذ صلاح أبو إسماعيل » أن كلمة « متوفيك » تعنى وعداً من الله بنبجاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمداً عليه الصلاة والسلام بأن يعصمه من الناس (١) •

* * *

وبعد •• لقد أثرت هذه المسألة منذ سنين في فتوى أجاب عنها الأستاذ المراغى والأستاذ شلتوت كما رأينا ، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى ، شأن كل جديد يخرج للناس ، ومرّ الزمن ورجحت هذه الفكرة وأصبحت شيئاً عادياً يدين بها الغالبية العظمى من المثقفين ، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفع صوته بها في قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية في العالم وهي جامعة الأزهر وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات ، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبولاً حسناً ، والذي أرجوه أن يرفق المعارضون في تلقى الآراء الجديدة ، وأن يفحصوها بروح هادئة •

والله يهدينا سواء السبيل •

ونختم هذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسمه وروحه اعتقاد متأثر بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى هو الإله الابن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله الأب • أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد ، وأنه في كل مكان ، وليس جسماً ،

عكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى ليكون بجوار الله ، فالله - مرة
أخرى - في كل مكان ، ولو بقى عيسى على الأرض لكان مع الله أيضاً .
وكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد (١) » .

* * *

وكانت دعوة عيسى - كما يقول الشهرستاني - ثلاث سنين وثلاثة
أشهر وثلاثة أيام (٢) .

المسيحية في نظر المسلمين

ذلك هو إجمال القول في المسيح عند المسلمين ، فما رأى المسلمين في
تعاليم المسيح ورسالته ؟

لقد اتضح مما سبق أن المسلمين يتصفون عيسى بن مريم وأن
القرآن الكريم يجله ويجل أمه . ويحكي لنا التاريخ قصة تدل على هذا
الإجلال واعتراف المسيحيين به ، ويقول ابن هشام : إن المسلمين الأول
لما هاجروا إلى الحبشة بأمر الرسول صلوات الله عليه ، وأرادت قريش
استرداد هؤلاء المسلمين أرسلت للداهية عمرو بن العاص ، وكان لم
يبدل الإسلام بعد ، فحاول هذا الداهية أن يوقع بين المسلمين وبين
النجاشي إمبراطور الحبشة المسيحي ، فقال له إن هؤلاء المسلمين يقولون
في مريم وعيسى قولا عظيما (مشينا) فاستدعاهم النجاشي وسألهم رأى
الإسلام في عيسى بن مريم وأمّه ، فنلا عليه جعفر بن أبي طالب المتحدث
باسم المهاجرين سورة مريم ، فلما سمعها النجاشي بكى حتى اخضلت
لحيته وبكى أساقفته ، وقال قولته الشهيرة : **إن هذا والذي جاء به عيسى
يخرج من مشكاة واحدة (٣) .**

(١) سورة الانبياء الآية ٣٤ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٩ وانظر « يسوع المسيح » لاب بولس

اللياس ص ٢٣ .

(٣) ابن هشام ج ١ ص ٢١٣ .

ومما يدن على تكريم الاسلام للسيدة العذراء أن هناك سورة باسمها في القرآن الكريم ، ولا توجد سورة باسم امرأة غير سورة مريم .

وكما ينصف المسلمون عيسى ينصفون تعاليمه ورسالته ، ويقولون فيها قولاً لا يختلف تقريباً عما يقوله المنصفون من المسيحيين الذين لهم ثقافة وفكر ، وأهم معالم المسيحية في نظر المسلمين هي :

١ - يعتقد المسلمون أن المسيحية الصحيحة دين توحيد مطلق ، وأنها تعترف أن الله وحده هو الإله الخالق المقدر ، فالتوحيد المطلق الذي لا تشوبه شائبة هي السمة العامة للأديان السماوية جميعاً ، وعيسى هو رسول الله ليس غير ، واعتقاد المسلمين هذا جاءهم من الأدلة القرآنية

الآتية **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** (١) .

— لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد (٢) .

— ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كأننا ياكلان الطعام (٣) .

— ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم (٤) .

وعن هذا الاتجاه أيضاً يروى مرقس أن أحد الكتبة سأل عيسى : آية وصية هي أول الكل ؟ فأجاب عيسى : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ، وهذه هي الوصية

(١) سورة المائدة الآية ٧٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٣ .

(٣) سورة المائدة الآية ٧٥ .

(٤) سورة المائدة الآية ١١٧ .

الأولى • وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك • فقال له الكاتب :
جيداً يا معلم بالحق قلت ، لأن الله واحد وليس آخر سواه (١) •

ويروى لوقا قول المسيح عندما حانت نهايته على الأرض : ينبغي
أن أسير اليوم وغداً وما يليه ، لأنه لا يمكن أن يبذلك نبيٌ - خرج أورشليم
يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين (٢) •

وهناك فقرات كثيرة في الأناجيل تثبت كون عيسى نبياً وليس
أكثر من نبي (٣) وسنعود إلى هذا الموضوع عند الكلام عن الوهية
المسيح •

٢ - يعتقد المسلمون أن عيسى بن مريم رسول إلى بني إسرائيل
خاصة قال تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ،
ورسولا إلى بني إسرائيل (٤) » وتؤيد الأناجيل هذا القول ، فقد جاء
في متى ما نصه : ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور
وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة :
ارحمني يا سيد با ابن داوود ، ابنتي مجنونة جداً • فلم يجبها بكلمة •
فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا • فأجاب
وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة (٥) •

وفي متى كذلك أن عيسى عندما حدد الحوارين الاثنى عشر أوصاهم
قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل
اذهبوا بالحرى إلى خراف بني إسرائيل الضالة (٦) •

(١) مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٦ •

(٢) لوقا ١٣ : ٣٣ - ٣٤ •

(٣) اقرأ لوقا ٧ : ١٦ ويوحنا ٦ : ١٤ وبرنابا الفصل الثالث والتسعين

(٤) سورة آل عمران الايتان ٤٨ - ٤٩ وانظر « الإسلام والنصرانية

مع العلم والمنية » للامام محمد عبده ص ٥٠ •

(٥) متى ١٥ : ٢١ - ٢٤ •

(٦) نفس المرجع ١٠ : ٥ - ٦ •

وذكر متى أيضاً أن بطرس أحد الحواريين قال لعيسى : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال يسوع : متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط بنى إسرائيل الاثني عشر (١) . وهذا واضح الدلالة على أن دنيا عيسى كانت بنى إسرائيل .

وفي « أعمال الرسل » فقرات كثيرة تدل على تمسك الحواريين بعد عيسى بأن المسيحية دين لبنى إسرائيل خاصة ، فقد خصم اليهود بطرس لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم (٢) . وورد في عبارات بطرس قوله لغير اليهود : أنتم تعلمون كيف هو محرّم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتى إليه (٣) .

ويروى برنابا قول عيسى : وقد أقامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء (٤) .

ويؤيد الكتاب المسيحيون هذا الاتجاه أيضاً ، فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حواريين المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية ديناً لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل (٥) . وكذلك يرى Bury أن اضطهاد الرومان لأتباع المسيح كان سببه أن الأباطرة لم يعرفوا عن دعوة عيسى إلا أنها امتداد لليهودية التي كانت شديدة التعصب ، عميقة الحقد والحسد ، فأثارت غضب الرومان مع ما عرف عنهم من التسامح الدينى مع أتباعهم (٦) .

ويقول Dean Inge إن عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود ، ولم

(١) المرجع السابق ١٩ : ٢٨ .

(٢) أعمال ١١ الفقرة الأولى .

(٣) أعمال ١٥ : ٢٨ .

(٤) انجيل برنابا ٥٢ : ١٣ .

(٥) Encyclopaedia Britannica vol. 5p. 632 .

(٦) A History of Freedom of Thought في أمكنة متعددة .

يحاوّل قط أن ينشئ قرعاً خاصاً من بين هؤلاء المعاصرين ، أو ينشئ له
تكميلاً خاصة مغايرة لتكائس اليهود أو تعاليمهم (الكتاب ١٠٠٥) وهو
أيسر من ذلك ، وسفرى عند الكلام عن بولس دوره في نقل المسيحية من دين خاص
باليهود إلى دين عالمي .

٣ — يعتقد المسلمون أن طابع المسيحية كان الزهد والرضا بالضميم .
وعن الزهد نرى في الأناجيل المعترف بها لدى المسيحيين مجموعة
كبيرة من الفقرات تتوجى به وتحث عليه . ومن ذلك ما ورد في متى عند
ذكر الشاب الغني الذي نصحه عيسى بأن يبيع أملاكه ويعطى ثمنها
للفقراء ويتبع عيسى فتردد الشاب ، فقال عيسى : يعسر أن يدخل غني
ملكوت السموات ، وأقول لكم إن مروركم في ثقب إبرة أيسر من أن
يدخل غني في ملكوت الله (٢) .

وعن الرضا بالضميم وعدم محاولة الثأر يروى لوقا قول المسيح :
من ضربك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر ، ومن أخذ رداك فلا تمنعه
مخوبك (٣) . وسيأتى مزيد من الكلام عن هذا الموضوع عند الحديث عن
دعاة المسيحية .

٤ — يعتقد المسلمون أن المسيح دعا للصلة المباشرة بين الله والناس ،
وتكلم عن ملكوت الله المفتوح لجميع الصالحين (٤) ويوضح Wells (٥)
أن المقصود بملكوت الله كان ضريبة اللولاء للعائلي عند بني إسرائيل ، ذلك
الولاء الذي يجعل منهم وحدة لا تتصل بسواها من وحدات البشر
(٦) تجعل منهم شعباً مختاراً . فصاح عيسى بهذا الاتجاه بيتعنى أن يكتسح

The Sources of the Chistianity p 15 (1)

(٢) متى ١٩ : ٢٣ ولوقا ١٨ : ٢٠ .

(٣) لوقا ٦ : ٢٨ ومتى ٥ : ٢٨ - ٤١ .

(٤) انجيل متى ٥ : ٤٥ .

Outline of History vol. 3 p684 (٥)

طونان" جارف من حب الله كليّ العواطف العائلية الضيقة المقيدة للحرية
لويفتح السبيل للأخيار للصالحين أن ينتهوا ملكوت الله .
فملكوت الله أو مملكة السماء بهذا المعنى هي معارضة واضحة لدعوى
اليهود الاختيار والامتياز .

ويقول الأب بولس الياس (١) في تفسيره « ملكوت الله » ما يلي :
ليس ملكوت الله حزبا سياسيا ، أو مؤسسة اجتماعية ، إنما هو
حالة نفسية ، حالة برّ تقوم على نبذ الأنانية وعلى الاعتصام بطاعة الله
وتواضعه ، وعلى العودة إلى البساطة أو الطفولة المسيحية وما فيها من
صفاء نيات ونقاء سرائر . وهذا ما ألمح إليه السيد المسيح بقوله « لا يقال
إن ملكوت الله هنا أو هناك لأن ملكوت الله في داخلكم (٢) » .

وقبل أن ندع الكلام عن ملكوت الله أو مملكة السماء بالمعنى الذي
شرحناه وهو أدق معنى في هذا الموضوع ، نقرر أن هذه المملكة وجدت
قبل المسيحية ، وكانت شعارا للكنفوشية في القرن السادس قم ، ثم كانت
شعارا للمسيحية فالإسلام ، وكانت بذلك دعوة لإله واحد ووضع حد
لمتعدد الآلهة . ولكن الإخلاص العام لإرادة واحدة انصرف في
الكنفوشية والمسيحية فاتجهتا لتأليه كونفوشيوس وعيسى باعتبار أنهما
صاحبا هذه الإرادة التي تدعو للحب العام لأنها تسيطر على الجميع ،
بيد أن محمدا — وقد أدرك هذا بـ كـرر القول بأنه بشركفيه من الناس
فتجا من أن يؤلهه الناس ، كما قرر القول بالمساواة بين بني الإنسان .

وتعال بنا إلى Wells وإلى Hirth لنرى هذه الفكرة ونشاهد
هذه المقارنة الدقيقة بين الأديان الثلاثة :

كان الكاهن الصيني « موتي » يعيش في القرن الرابع ق م عندما

(١) يسوع المسيح ص ١٧١ و ١٧٢ .

(٢) انجيل لوقا ١٧ : ٢٠ .

كانت تعاليم كونفوشيوسيين ولاهوتى منتشرة فى الصين : وقد كتب — فيما كتب — دراسة عن هذا الموضوع ، هاك نصها ، وإذ تأملتها وجدتُها — كما يقول Wells — نصرانية الروح :

إن الاعتداءات المتبادلة بين دولة ودولة ، والاعتصابات المتبادلة بين عائلة وأخرى ، والسرقات المتبادلة بين الرجل وأخيه ، وافتقار الملك إلى الرفق ، والوزير إلى الولاء ، والحاجة إلى الحنان ، والواجب بين الولد وولده — هذه وأمثال هذه أمور يضارة بالإمبراطورية وكل هذا راجع إلى انتفاء الحب المتبادل ، غلو أمكن فقط أن نعمم بين الناس تلك الفضيلة الواحدة ، فلن يصبح للأمرء وقد أحب أحدهم الآخر أى عيادين للقتال ، ولن يحاول رؤساء العائلات أن يأخذوا أى شيء غصباً ، ولن يرتكب الرجال أية مفرقة ، ولا تصف للحكم والوزراء بالسماحة وللولاء ، ولأصبح الآباء رحماء والأبناء بررة ، ولصار الإخوة منسجمين وأمسى التراضى بينهم هينا ، ولو أن الناس عامة أحب بعضهم بعضاً ، لما انقض قلوبهم على ضعيفهم ، ولما نهبت قلوبهم كثرتهم ، ولما أهان غنيهم فقيرهم ، ولما أظهر شريفهم قحة مع وضعهم ، ولما غش خبيهم بسيطهم (١) » .

ويعلق Wells على هذه العبارة بقوله :

« لا شك أن فى هذا مشابهة عجيبة لتعاليم عيسى الناصرى ، وإن صبَّ فى قالب سياسى ، وهكذا اقتربت أفكار « موتى » من مملكة السماء .

ويضيف Wells قوله : وهذا التطابق الجوهرى هو أهم سمة تاريخية تجمع بين هاتين الديانتين العالميتين ، فإن بدايتهما كانت مخالفة تمام المخالفة لنحل الكاهن والمعبد ، وهى تلك النحل المقامة لعبادة آلهة محدودة المعالم ، معروفة الحدود ، والتي عاشت مع عمر الإنسانية

زمننا طويلاً لمتد بين ١٥٠٠ و ٦٠٠ ق م (يقصد بذلك أديان اليهود
ومعاصريهم حتى عهد كونفوشيوس) .

« أما الديانات العالمية الجديدة ، من ٦٠٠ ق م فصاعداً ، فهي
بالضرورة ديانات القلب والعالم العلوي الشامل ، وهي التي جرفت
أمامها كل تلك الأرباب المتنوعة المحدودة ، وخدمت باتجاهها الجديد
حاجة الإنسانية ، إذ أن المجتمعات الإنسانية قد اندمجت بعضها في بعض
بعاملي الخوف والرجاء ومسنري من فورنا عندما فصل إلى الإسلام انه
حدث للمرة الثالثة بعد الكونفوشية والمسيحية أن ظهر ثانية نفس المبدأ
الأساسي السابق ، مبدأ الحاجة إلى إخلاص لحلم من جميع الناس لإرادة
واحدة ، على أن محمداً اتعظ بما مر بالمسيحية من تجارب ، فكان حاسماً
باناً في إصراره على انه هو نفسه ليس إلا بشراً كغيره من الناس ،
وبذا وقى تعاليمه شر كثير من الفساد والتصنيف (١) . »

٥ — يعتقد المسلمون ان اختفاء إنجيل عيسى كان عملاً مقصوداً لأن
إنجيل عيسى قريب الصلة بالقرآن ، كما يعتقدون ان اختفاء هذا الإنجيل
مهّد للتزويد والحذف والتحريف في تعاليم الديانة المسيحية ، فانهارت
أسسها وضاعت معالمها كديانة سماوية .

٦ — يعتقد المسلمون أن المسيحية بعد المسيح بعدت جداً ، أو قل
اختلفت كل الاختلاف عن مسيحية المسيح ، وبخاصة عندما دخلها بولس
أو ادعى دخولها ، فحطم اتجاهاتها الصحيحة ، وقال فيها بالتثليث ،
وقال بالوهية المسيح ، وبهذا بعدت الشقة بينها وبين الأديان السماوية ،
حتى يمكن القول إن بولس هو واضع الديانة المسيحية المعروفة اليوم وان
المسيح منها براء ، وسندرس هذا الموضوع دراسة مؤيدة بالأدلة العلمية
عند الكلام عن بولس .

ومن الأشياء الغريبة أيضاً على الديانة المسيحية والتي دخلتها بعد

المسيح حركة الاضطهادات والقتل والقسوة بين المسيحيين بعضهم والبعض الآخر ، وبين المسيحيين وسواهم ، فأين هذا مما عرف عن تعاليم المسيح من عدم مقابلة القوة بالقوة ، ومن التسامح الذي يصل إلى حد الرضا بالضميم كما تحدثنا من قبل ، وستخص حركة الاضطهادات في المسيحية بحديث فيما بعد .

٧ — يعتقد المسلمون أن المسيح بشر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الذكر الحكيم « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (١) » كما وردت هذه البشارة صريحة أيضاً في إنجيل برنابا في مواضع متعددة (٢) .

وقد قدم المسيحي الذي أسلم ، السيد عبد الأحد داود ، بحثاً لغويًا طويلًا استنتج منه أن ميلاد المسيح كان بشارة بميلاد محمد ، وأورد من إنجيل لوقا ما يدل على ذلك ، فقد جاء في إنجيل لوقا أنه عند مولد المسيح ظهر جمهور من الجنود السماوية للرعاة السوريين وأخذ هؤلاء الأملاك يترنمون بالنشيد التالي :

الحمد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة (٣) .

وهذا هو النص الموجود في الترجمة العربية كثيرة الانتشار ، أما النص في الترجمة التي قامت بها Tho Bible Society فهو :

الحمد لله في الأعالي ، على الأرض سلامة ، في الناس حسن الرضا .

ويقول السيد عبد الأحد إن هؤلاء الأملاك لم يتكلموا باللغة العربية ،

(١) سورة الصف الآية السادسة .

(٢) انظر الاصحاح ٣٩ : ١٤ والاصحاح ١١٢ : ١٧ .

(٣) لوقا ٢ : ١٤ .

ولو تكلموها ما فهمها منهم هؤلاء السوريون ، ولم يتكلموا كذلك بلغة غير لغة هؤلاء الرعاة ، لأن طبيعة الرعاة ألا يعرفوا لغات أجنبية لقلته ثقافتهم ، وإذا كانت الأثسودة باللغة السريانية ، لغة الرعاة فما كلمات الأثسودة بهذه اللغة وما ترجمتها الحقيقية ؟ وبخاصة الكلمتان « السلام

أو سلامة ، والمسرة أو حنين الرضا » ؟

وقبل أن يجيب سيادته على هذا السؤال يؤكد تأكيداً قاطعاً أن ترجمة الكلمتين السريانيتين إلى « السلام أو سلامة » و « المسرة أو حسن الرضا » ترجمة خاطئة ، ويتساءل ما معنى : على الأرض السلام أو السلامة ؟ وأي سلام شهدته الأرض منذ خلقها الله ؟ وقد دنسها أحد ابني آدم حين قتل أخاه في مطلع البشرية ، واستمر بعض أولاد آدم يقتلون إخوتهم دون توقف حتى العهد الحاضر ، وأصبح طبيعياً للنوع البشرى أن يعيش عيشة تكاد تكون مستمرة بين الفجائع الوخيمة والاختلافات التي جبلت عليها الطبيعة البشرية ، وما يقال في هذه الجملة يقال كذلك في الجملة الأخرى « وبالناس المسرة أو في الناس حسن رضا » فأين المسرة التي رآها الناس ؟ وما قيمتها إذا قيست بالدموع والعرق والكفاح والآلام التي يعانيتها الجنس البشرى ؟ وأين حسن الرضا الذي أظهروه ؟ والأطماع لا تحد والكفاح لا ينى ؟

ومما يؤيد بطلان هذه الترجمة أن تولستوى المفكر الروسى الشهير كتب مؤلفاً عن الأنجيل الأربعة • ورتب من الأنجيل الأربعة أنجيلاً واحداً • رابطاً جمل الآيات المفيدة على زعمه بعضها ببعض ، ولم يثبت تولستوى هذه الآية في انجيله الشامل ، زاعماً أنها من الآيات المحرفة الثقافية ، ومن لغو القول •

وبعدَ هذا يورد السيد عبد الأجد الكلمتين الأصليتين وهما « إيريني ، وأيادوكيا » ويوضح ببحث لغوي طويل أن إيريني معناها الإسلام وأيادوكيا معناها أفعال تفضيل من الحمد أي أكثر الحمد أو أحمد ، والمعنى العام كما يراه هو :

الحمد لله في الأعلى ، أوشك أن يجيء الإسلام للأرض ، يقدمه للناس أحمد . ويؤكد مرة أخرى أنه لو كان المقصود سلام بمعنى Peace (الأمن وعدم الحرب) لاستعملت كلمة « ثلم » السريانية أو « شالوم » العبرانية (١) .

(١) انظر هذا البحث في « الانجيل والصليب » ص ٣٣ - ٥٣ .

الاضطهادات والمسيحية

يبدو أنه من اللازم أن نتحدث هنا - ونحن على ذكر بحركة الاضطهادات في المسيحية - حديثاً فيه شيء من التفصيل عن هذه الاضطهادات ، ذلك لأن هذه الاضطهادات كانت بعيدة الأثر في توجيه المسيحية ، وكانت من أهم الأسباب التي دفعت المسيحية إلى ما هي عليه الآن من الميل للعنف ، وسنشير في دراستنا القادمة عدة مرات لهذه الاضطهادات ، وسنصفها بالقسوة والوحشية والبربرية ، ولذلك كان من الأفضل أن نذكر عنها هنا شيئاً يساعد القارئ على فهم جذورها ، وعلى فهم الأثر الذي خلفته . . .

والاضطهادات ذات الصلة بالمسيحيين وذات الأهمية في بحثنا نوعان :

- ١ - ما نزل بالمسيحيين من أعدائهم في عهود المسيحية الأولى .
 - ٢ - ما أنزله المسيحيون بعد قوتهم بمخالفتيهم -م في الرأي من المسيحيين وغيرهم ممن أطلق عليهم هراطقة .
- وقد اشتتت بالمسيحيين عندما كانوا ضعافاً مغلوبين على أمرهم ، ونزلت بهم آنذاك ألوان من الضيم والخسف والوحشية ، فلما آل لهم السلطان ، أنزلوا بمخالفتيهم ألوان العذاب بنفس الوحشية التي عولوا بها أو بأكثر منها ، أما تعاليم الرحمة والغفران ، أما هتاف المسيح الذي يقول فيه « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (١) ، فقد بقيت كلمات مسطورة دون أن يكون لها أي أثر أو نتيجة .

(١) متى ٥ : ٤٤

وقد بدأ اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكر ، وكان المسيح ضحية هذا الاضطهاد ، وقد نزل بآتباعه في عهده وبعده مثل ما نزل به من العسف والظلم ، وكان اليهود مصدر هذه القسوة ، ولكن المسيحية بدأت تنتشر على الرغم من اليهود ، وغلبتهم على أمرهم ، وحينئذ تقدم أباطرة الرومان لاضطهاد المسيحيين وذلك لأن هؤلاء الأباطرة كانوا لا يعرفون من أمر الدين الجديد إلا أنه امتداد لليهودية ، وكانت هذه موضع كراهية من الوثنيين على غير ما جرى العرف عليه من إباحة الحرية الدينية لسكان الإمبراطورية ، ذلك لأن اليهودية أثارت بتعصبها الحقد في القلوب ، وكان الإباطرة قبل المسيح يقومون بحماية السكان من ضراوة هذا الحقد ، حتى إذا أحسوا بأنها ستبدو في ثوب جديد هو (المسيحية) ، وتجذب كثرة من الأنصار الجدد ، يشيعون تعصبها ، ويثيرون حقد الناس عليها ، أخذوا في مقاومة تعاليمها واضطهاد أتباعها . ومما أثار حقد الرومان أيضاً على المسيحية أنها أخذت من اليهود تعصبها ، فأعلنت حتى في عهد ضعفها أنها تتناسب العقائد الأخرى العدا ، وأنها ستعمل على إبادة المذاهب الفكرية الأخرى ، وعلى تحطيم الحضارة الرومانية عندما تنهيا لها الفرصة (١) .

وهذا التحول الذي أعلنته المسيحية ، من التسامح والرضا بالضميم ، إلى الحقد والثار ، يمثل التحول من أفكار عيسى إلى أفكار بولس كما سيجيء فيما بعد .

وأبشع حركات الاضطهاد التي عاناها المسيحيون في القرن الأول تلك التي أنزلها بهم نيرون الطاغية (٦٨ م) فقد ألقى بعضهم للوحوش الضارية تنهش أجسامهم ، وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار وأشمعات لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التي يقيمها نيرون في حدائق قصره (٢) .

(١) دكتور توفيق الطويل : الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام

ص ٣٣ و ٤٢ .

(٢) زكى شنفوده : تاريخ الاقباط ج ١ ص ١٠١ .

وفي القرن الثاني كان المسيحيون يُعتبرون أنجاساً لا يُسمح لهم بدخول الحمامات والمحل العامة وكانوا — كما حصل في عهد نيرون — يُلْقَوْنَ للوحوش الضارية تفترسهم في مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهّي بمشاهدة هذه المناظر (١) .

وسجل القرن الثالث صوراً أخرى من أبشع ألوان التعذيب والاضطهاد للمسيحيين ، وذلك في عهد الإمبراطور دقلديانوس ، فقد أمر بهدم كنائس المسيحية واعداد كتبها المقدسة وآثار آبائها . وقرر اعتبار المسيحيين مدسّين سقطت حقوقهم المدنية ، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين ، وتجريمهم العذاب ألواناً ، ونفذت هذه التعليمات في جميع المناطق ، فامتلات السجون بالمسيحيين ، واستشهد الكثيرون بعد أن مُزقت أجسامهم بالسياط والمخالب الحديدية ، أو أحرقت بالنار ، أو قطعت إرباً ، أو طرحت للوحوش الضارية ، أو غير هذا من وجوه التعذيب ، وقد سُمي عصره (٢٨٤ — ٣٠٥ م) عصر الشهداء (٢) .

وفي مطلع القرن الرابع تغيرت الأحوال ، فقد أصدر الإمبرادور قسطنطين مراسيم التسامح سنة ٣١١ و ٣١٣ ثم دخل المسيحية بعد ذلك بعشر سنوات ، وسرعان ما قويت المسيحية ورجحت كفتها وشالت كفة أعدائها ، فانقضت على أعدائها تفتك وتفنى ، فتأسست الجمعيات الثورية باسم الدين ، وكان أشهرها جمعية « الصليب المقدس » في « تورينو » التي أخذت على عاتقها استئصال شائفة الملحدين من بقايا الرومان الوثنيين ، وحدثت بعد ذلك ولا حرج عن الدماء التي سفّكت والأرواح التي أزهقت ، وقد وصف هارتمان هذه الحركة بأنها أفظع المجازر البشرية التي سجلها التاريخ (٣) .

على أن اضطهاد المسيحيين لم يكن موجهاً ضد الوثنيين فحسب ، بل

(١) الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام ص ٣٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٠ وتاريخ الاقباط لزكى شنوده ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) طه الدور : بين الديانات والحضارات ص ٣٤ .

اتجه كذلك ضد المسيحيين أيضاً ، فإن المسيحية التي ظهرت وأصبحت ذات سلطان لم تكن مسيحية عيسى ، بل مسيحية بولس ، ومسيحية الفلسفة الإغريقية ، ولكنها كانت ولا تزال تسمى المسيحية على كل حال ، ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية المسيح والتثليث وغيرهما ، فقد بدأ صراع جديد اعتُبر فيه المسيحيون الأصليون منمردين ، وأوقعت بهم المسيحية الإغريقية أو مسيحية بولس ألواناً من العنت والاضطهاد ، ولستمرت الكنيسة في خلق البدع وفي ابتكار الخرافات كالعشاء الرباني وغفران الذنوب ، ووَجِدَ من المسيحيين من يعارض هذه الخرافات ، فكان نصيبه أن لاقى القسوة والوحشية ، وسنلم هنا بصور قليلة من هذا العنت الذي أنزله المسيحيون بالمسيحيين :

في القرن الرابع عارض أريوس (٣٣٦ م) القول بألوهية المسيح كما سيأتي ، مما دعا إلى عقد مجمع نيقية ، وسيأتي الحديث عنه ، وقد قرر هذا المجمع إدانة أريوس ، وإحراق كتاباته ، وتحريم اقتنائها ، وخلع أنصاره من وظائفهم ، ونفيهم ، والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات أريوس وأتباعه (١) . وفي عهد تيودوسيوس (٣٩٥) ظهرت لأول مرة « محكمة التفتيش » وكانت مركزاً بسبباً للاضطهاد والتعذيب ، وكان أعضاؤها من الرهبان ، وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين في العقيدة ، ولهم سلطان كبير ، ولا يسألون عما يفعلون ، وتاريخ محكمة التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الديني في أقصى صورته ، وقتل حرية الفكر بأبشع أداة ، ومن أقدّر سبلها أنها حتمت أن ينهَى كل إنسان في غير تباطؤ ما يصل إلى سمعه بشأن الملحددين ، وهددت من يتوانى في ذلك بعقوبات صارمة في الدنيا والآخرة ، فانشأ سببها نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة (٢) .

(١) زكي شنودة : تاريخ الاضطهاد ص ١٤٩ - ١٥٢ .

(٢) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، للامام محمد عبد

وفي القرون التالية كثر صرعى هذا النظام ، وتعرض للشنق والحرق ، والإعدام جماعات كثيرة لأنهم في نظر الكنيسة هراطقة ، وكثيراً ما كانت للكنيسة تالجا للإعدام البطيء ، مبالغة في التنكيل ، فتبسط الشموع على جسم الضحية ، وتخلع أسنانه كما فعل بينيامين كبير أساقفة مصر ، لأنه يرفض الخضوع لقرار مجمع خالقدونية الذي يرى أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية .

وكان الإعدام يُسبق بـصور بئسة من التعذيب ، كالكي بالنار ، والضرب ، لعل المتهم يعترف بجريمه ، فإن لم يعترف قتل ، لأنه لم يكن يعتبر يريئاً حتى تثبت إدانته ، بل مجرماً حتى تثبت براءته ، وهيات أن تثبت ، وإذا اعترف المتهم بجريمته استمر تعذيبه قبل القضاء عليه لعله يكشف عن أنصاره وشركائه .

وكانت القوانين تقضى أن يحمل الأبناء والأحفاد تبعة الجرم الذي يتكهم به الآباء ، فيسألون حقهم في مباشرة الكثير من الوظائف ومزاولة الكثير من المهين (١) .

أما الجماعات التي أدمت فأكثر من أن يحصيتها عددٌ ، ففي إسبانيا قدّمت محكمة التفتيش للنار أكثر من واحد وثلاثين ألف نسمة ، وحكمت على أكثر من مائتين وتسعين ألفاً بعقوبات أخرى تلى الإعدام (٢) .

وفي عام ١٥٦٨ أصدر الديوان حكمه بإدانة جميع سكان الأراضى الواطئة والحكم عليهم بالإعدام ، واستثنى من الحكم بضعة أفراد نص القرار على أسمائهم ، وبعد عشرة أيام من صدور الحكم دُفع للمقتلة ملايين الرجال والنساء والأطفال (٣) .

ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة لهم بالاضطهاد الضيف وكثرت

(١) الدكتور الطويل : الاضطهاد الدينى في المسيحية والاسلام ص ٧٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

المذابح ، ومن أهمها مذبحه باريس في ٢٤ أغسطس سنة ١٠٧٢ التي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت ، هؤلاء الذين دُعوا لباريس لعمل تسوية تقرب بين وجهات النظر ، ثم قتلوا خيانة وهم نيام ، فلما أصبحت باريس ، كانت شوارعها تجرى بدماء هؤلاء الضحايا ، وانهالت التهاني على تشارلس التاسع من البابا ومن ملك الكاثوليك وعظمائهم على هذا العمل الدنيء (١) .

والعجيب أن البروتستانت لما قويت شوكتهم مثلوا نفس دور القسوة مع الكاثوليك ولم يكونوا أقل وحشية في معاملة خصومهم من أعدائهم السابقين ، ولولا أن عصر النور أطل لرأينا صورا أكثر وأكثر ، من اضطهاد البروتستانت للكاثوليك .

وهكذا دُونَ تاريخ المسيحية : بحار من الدماء ، وأكداس من رماد الذين أحرقوا ، ويتم ، ودموع ، وأنين ووحشية ، وبربرية طال عمرها وأتيح لها السلطان فكانت نقمة وشراً ، ولو ضمنا إلى هذا ما فعله المسيحيون بالمسلمين في الحروب الصليبية ، وفي الأندلس بعد سقوط غرناطة (٢) ، وما فعله الاستعمار المسيحي بأقطار المسلمين ، لتبين لنا أن المسيحية التي هي دين الرحمة كانت تستغل باباً من العذاب ، وجحима من التنكيل ، وحشداً من الغل والكرهية والحقد ، كانت جرحاً أليماً أصاب الإنسانية ، وكان للبشرية مصدر قلق وآلام وشجون .

(١) الدكتور توفيق الطويل : الاضطهاد الديني ص ٩٠ .

(٢) انظر :

أ - الجزء الرابع من موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية للمؤلف .

ب - الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٤٥ .

المسيح والمسيحية عند اليهود

انتهينا من الكلام عن المسيح والمسيحية عند المسلمين ، فلنتكلم الآن كلمة عن المسيح والمسيحية عند اليهود :

وينبغي أن يكون حديثنا هنا ، لا عن المسيح والمسيحية ، ولكن عن عيسى بن مريم وعن الدّين الذي جاء به ، أما الكلام عن مسيح اليهود ~~فسيأتي فيما بعد~~ .

والحديث عن عيسى بن مريم عند اليهود موجز للغاية ، فإنه لا وجد في تاريخ اليهود الديني ولا في كتبهم أي ذكر لعيسى بن مريم ، ولالدعوتة ولا لأحداث القبض عليه وصلبه ، فالذي يقرأ كتب اليهود لا يجد لعيسى ذكراً ، وهذا هو الذي حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى شخصية خرافية فرّضية ليست حقيقة واقعة .

وإذا تكلم اليهود عن عيسى وقتله ، فليس لأنه مثبت في تواريخهم المأثورة عن آباؤهم ومشايخهم ، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون عن المسيح فيروون عنهم أحياناً ، وإلا فكتبهم خالية من ذلك .

لماذا أهمل اليهود شأن عيسى ولم يذكروه في كتبهم ؟

الجواب هو أن عيسى عندهم — إن صح وجوده — رجل عادى^١ كثر بدعوتهم فقتلوه ، وهم لا يجتمعون في كتبهم أخبار كل فرد من الدولة ، فهذا رجل انشق فعاقبوه بالقتل ، ولا يستحق بعد ذلك أي ذكر .

ويقول الدكتور إسرائيل ولفنسون إن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في التلمود ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم المسيحية التي كان يقيم بها اليهود (١) .

(١) انظر قصص القرآن لعبد الوهاب النجار ص ٤٣٠ .

هذا عن عيسى بن مريم ، أما كلمة «المسيح» فقد وردت في التوراة ، ولا يزال اليهود ينتظرونه ، ويرونه ملكاً عظيماً سيأتي ليجعل لهم السلطان على الأرض ويجعل كلمتهم هي العليا ، وجنسهم هو الجنس الأعظم بين أجناس البشر ، وقد جاءهم عيسى بن مريم ، ولكنه دعاهم إلى الأخلاق الفضلة ، وأراد أن يوجههم وجهة روحية ، وأن يقلل تكاليفهم على المال ، ومثل هذه الدعوة لا تجد قلباً سميعاً ولا تلاقى تأييداً من اليهود ، فلم يعتبروه المسيح الموعود به ، وثاروا عليه وتآمروا على قتله . . . كما ذكرنا ، ولا يزالون إلى اليوم — كما قلنا — ينتظرون مسيحهم الذي يملكهم الأرض ويجعلهم سادة العالم .

وليس عيسى بن مريم عندهم إلا رجلاً عادياً ثار فلقى جزاء ثورته ، ولا يستحق رجل عادى كهذا أن يدخل التاريخ ، ولذلك أهملوه كما سبق القول .

المسيح والمسيحية في نظر المفكرين الغربيين

يمكن القول دون تردد إن أغلب المفكرين الغربيين لا يدينون بالمسيحية كما يدين بها عامة المسيحيين ، وكما تعلّمها الكنيسة والقسيس ، ويمكن القول كذلك إن الثورات التي أشعلها المفكرون المسيحيون في الماضي ضد المسيحية التي تعلّمها الكنيسة ، لا يزال المفكرون المحدثون يرفعون لواءها وكل ما هناك من فرق أن الكنيسة في الماضي عدت أولئك متمردين وحاربتهم حرباً قاسية سقط فيها آلاف الضحايا ، أما الكنيسة اليوم فلم يعد في يدها سلطان ، فاكنتف بأن حرّمت على أتباعها المخلصين أن يقرءوا ما يكتبه هؤلاء المفكرون مما اعتبرته الكنيسة ضلالات وإلحاداً (١) ، وهذه الحقيقة يدركها كل الذين يقرءون عن المسيحية كتابات المفكرين الغربيين من غير رجال الكنيسة ، وسيرد في هذا الكتاب أقباسات تؤيد هذا مما كتبه عدد من هؤلاء المفكرين ، ولكني آثرت أن أثبت هنا ترجمة كاملة لما كتبه واحد من هؤلاء وهو Gerald L. Berry في كتابه Religions of the World (٢) ولن أحذف من ترجمته ما كتبه Berry إلا تفاصيل قليلة لا تمس جوهر الموضوع .

وقبل أن أبدأ ذلك أسجل حقيقة هامة تختلف فيها المسيحية عن الإسلام اختلافاً يكاد يكون تاماً . وتلك الحقيقة هي أن مبادئ الإسلام

(١) بناء على قرار الفاتيكان الصادر سنة ١٩٢٩ والذي لا يزال معمولاً به حتى كتابة هذه السطور ، تصل الكتب المحظورة قراءتها على الكاثوليك إلى خمسة آلاف كتاب ، منها جميع مؤلفات ميترلنك ، وأميل زولا ، ومنها أكثر مؤلفات رينان ، وجان جاك روسو وديماس الاب وديماس الابن وديكارت ولامبنيّة وفكتور هوجو ، ومنها انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها لجيبون وتاريخ الأدب الانجليزي لتين وانكار ورسائل أقليبيّة لباسكال وغيرها .

واحدة عند جميع المسلمين عامتهم ومفكريهم ، فوحدانية الله ، وكون محمد عبده ورسوله والقرآن الكريم ، ونظام المواريث والزواج والطلاق وغيرها من أمور الدين والدنيا لا تختلف عند المسلمين عالمهم وجاهلهم ، أما المسيحية فيمكن القول إن هناك نوعين منها ، يتبع المفكرون نوعاً ، وتتبع الكنيسة وعامة الناس نوعاً آخر بعيداً جداً عن النوع الأول .

وهناك حقيقة أخرى تترتب على تلك التي سبق إيرادها ، وهي أن المسلم يزيد حبه للإسلام وتقديره له كلما زاد تعمقاً في دراسته وتفكيراً في مبادئه وفلسفته وحضارته وآدابه ، أما المسيحي فعلى العكس من ذلك لأنه كلما زاد تعمقاً في دراسته المسيحية ظهر له ما بالمسيحية من تعقيد واستحالة ، فيبعد عن مسيحية الكنيسة ويتخذ له مسيحية أخرى ، أو ربما بَعْدَ عن المسيحية كلها واعتق ديناً آخر ، أو لجأ إلى اللادينية وإن بقى اسماً في عداد المسيحيين ، ويذكر الأستاذ العقاد بعض هؤلاء المفكرين في كتابه « عقائد المفكرين في القرن العشرين »^(١) فيقول :

إن الأوربيين الذين خرجوا على سلطان الكنيسة الرومانية ، ظهر منهم أناس يؤمنون بالله ، ولا يؤمنون بالكتب ، ولا بشعائر الكنيسة ، وتسمت منهم طائفة بالروانيين Diests - من كلمة ديوس بمعنى الرب أو الإله ، ومسموا دينهم دين الطبيعة تمييزاً له من دين الكنيسة ، واشتهر من هؤلاء في البلاد الإنجليزية لورد هربرت شربري Cherbury المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر ، فدعا إلى دين طبيعي يقوم على أركان خمسة : هي الإيمان بالله والعباد والفضيلة والتوبة واليوم الآخر ، ثم تلاه أنتوني كولنس Collins الذي يعتبره الكثيرون أستاذاً لفولتير وبنيامين فرنكلين في حرية الفكر ، ويحسبون كتابه « محاضرة في الحرية الفكرية » Discourse on Freethinking إنجيل هذه النحلة ، ثم تلاه تيندال Tindal فألف كتابه الذي جعل عنوانه « المسيحية قديمة كقدم الخليفة » ليثبت به أن الإيمان سابق للكنائس والمذاهب .

والآن هيا بنا إلى أحد المفكرين الغربيين الذى يبين لنا فى المسيحية اتجاهها يكاد يكون عاماً لهؤلاء المفكرين :

يقول Berry :

فى رأى الكنيسة أن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقةً مثلى للعيش ، وقتل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه ، ودفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء ، وقد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة ، فالذى يدرس هذه المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية واليهودية والحياة الشرقية الرومانية ، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة . فمن الأفكار الفلسفية الإغريقية التى اقتبستها المسيحية « الكلمة » وهى ترادف « الإله » عند الإغريق لأن الكلمات لا تقفى بالاستعمال كما لا يفنى الإله . . . ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس أى فكرة أبوة الإله للخلق ، وفكرة الأخوة بين الناس ، كما اقتبست المثالية التى تكلمت عنها اليهودية — وإن لم يتبعها اليهود — وهى الحب والرحمة والعدالة ، ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التى ازدانت بها الكنائس ، كما اقتبست استعمال الفسيفساء والصور والبخور والأنغام ، أما الحياة الرومانية فقد اقتبست الكنيسة منها النظم التى اتبعتها لتوزيع السلطان ، وسيأتى مزيد من التفاصيل عن هذه الاقتباسات)

وليس من المقطوع به أن عيسى شخص تاريخى ، بل إن ذلك مجرد احتمال ، ولم يبدأ التاريخ الميلادى من ميلاد المسيح كما يُظن ، بل إنه ولد فى عهد أوغسطس أى فى العام الرابع قبل التاريخ الميلادى فى بلدة الناصرة بفلسطين ، وأمضى الثلاثين سنة الأولى من حياته فى حانوت النجارة الذى كان يملكه أبوه يوسف النجار ، ويؤيد علم الآثار القديمة بعض التأييد الرأى القائل بأنه أمضى وقتاً طويلاً فى الطواف بالشرق وبأوروبا حتى وصل بريطانيا .

وفي سن الثلاثين كان تصور فكرة أبوة الله وأخوة الناس قد اكتمل في نفسه . وصادف في ذلك الوقت أن ألقى القبض على « يوحنا المعمدان » (يحيى) ، فخلاه الجو ، فأعلن دعوته ، وكان ذلك في عهد « تيريريوس » ، وكان لليهود طريقان يقبلون بهما عدف الدولة الرومانية الحاكمة ، وهذان الطريقان هما المقاومة ، وقوة العقيدة ، وقد اختار المسيح الطريق الثاني .

وقد بنى عيسى تعاليمه على الثقافات اليهودية القديمة والمعاصرة له ، والجديد الذي جاء به هو أنه كان يتكلم كإنسان في يده نفوذ أكثر من أن يقتنع بأن يكون مفسراً وشارحاً ، واستطاع بفصاحته أن يجذب له كثيراً من الأتباع ولم يدع عيسى قط أنه المسيح الذي ينتظره اليهود ، ولكن كثيرين من أتباعه (الذين هم في الأصل يهود ينتظرون المسيح) منحوه هذا اللقب ، وقد نادى عيسى — كما ينادى المصلحون المحدثون — بعالم جديد خال من البؤس والحاجة والشقاء ، بل وخال من الموت ، ولم يخضع عيسى للعادات ولا للقانون ، فأثار غضب الطبقات العليا من اليهود ، وبهذا قدّم للمحاكمة بتهمة ملفقة عن خيانة سياسية ، وكانت المحاكمة أمام بونتيوس بيلاطس Pontius Pilates ولكن هذا لم يجد أدلة كافية ضد عيسى ، بيد أن الطبقات العليا من اليهود صاحت تزيد قتله فأدين وصلب ، وبعد صلبه ذاب أتباعه ، وفي خلال السنوات التالية لم يعد أحد يسمع بعيسى ولا بأتباعه (١) .

وكان عيسى يدعو الناس ليتبعوا مشيئة الله وأن يحسنوا علاقاتهم بإخوانهم وأن يكونوا شفقين رحماء ، ولأن عيسى اتبع طريقة العظة اليهودية القديمة واجهته دعوته في حياته استجابة كبيرة لدى طبقات العامة ، لأنه جعل لهذه الطبقات مكانة وقيمة ، وتعرض لمشكلات

(١) ومثل هذا ما يقوله Wells في هذا الموضوع وعبارته : وبعد صلب عيسى انهارت دعوته انهياراً تاماً وتخلّى عن فكرته أتباعه عن بكرة أبيهم ، ولما اتهم بطرس بأنه واحد منهم قال « لا أعرف هذا الرجل » . (Outline of History. Vol 3 p. 698).

الناس اليومية بطريقة ودية سهلة ، وكان ذكياً جداً ، فيسرت له كل هذه الأمور أن يحصل على الأتباع والمريدين ، ومن مواغظه قوله :

— تعالوا أيها الضعفاء والمثقلون بالذنوب •

— أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله •

— ... فليرجمها منكم من لم يرتكب خطيئة •

وهكذا كانت المسيحية تتجه لتربية روح الأخلاق ، ولم تعط عناية تذكر للجسم والمادة بل حقرت من شأنهما في كثير من الأحيان •

هذا هو عيسى وتلك هي دعوته التي أوشتك أن تفتنى بعد موته كما سبق القول ، ومر الزمن وجاء شاعول Saul وهو يهودى روماني من الفريسيين أحد طبقات اليهود العليا ، لم ير عيسى ولا سمعه ييسر الناس ، وقد لعب شاعول هذا دوراً أنقذ به المسيحية بعد أن أوشتك أن تدخل عالم النسيان الذي ضم كثيراً من أمثال هذه الحركات ، وقد كان شاعول هذا في أول عهده أكبر أعداء المسيحيين ، فأنزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب ، لكنه فجأة تحول إلى المسيحية ، وستخدم تجاربه ومكانته ، لينقذ المسيحية ويوجهها على نحو ما أراد •

وكان عيسى يهودياً ، وقد ظل كذلك أبداً ، ولكن شاعول كوّن المسيحية عن حساب عيسى ، فشاعول — الذي سمي فيما بعد بولس — هو في الحقيقة مؤسس المسيحية (١) ، وكان شاعول يمتاز بأنه صاحب دراية في السياسة والابتكار ، في حين كان عيسى صاحب أوهام وأحلام ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له أتباعاً من اليهود فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيّد Lord أستطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال

(١) ويقرب من هذا ما يقوله Weils ونص عبارته : ان يسوع الناصري هو نواة المسيحية أكثر منه مؤسساً (Outline of History vol 3 p. 679.

بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في Mithras و Cybele فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس ، وعمد بولس كذلك - ليرضى المثقفين - فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق « الكلمة » The Logos أو عن طريق ابن الإله The Sun of God أو عن طريق الروح القدس • The Holy Ghost

وبدأ بولس ديانتته في أنطاكية Antioch حيث نشأ لأول مرة التعبير الشهير Christian ^(١) أى الانتساب لدين المسيح ، وبدأت تنتشر هذه الديانة في المدن حيث تكثر الحاجة والفقير ، ثم انتشرت في بقاع أخرى بعد ذلك ، ورسائل بولس إلى هذه الجماعات التي استجابت لدعوته تُمَدِّدُنَا بالجزء الأعظم من المادة التي تكوّن منها العهد الجديد •

بالإضافة إلى رسائل بولس يتكون العهد الجديد من الأناجيل الأربعة التي تنسب إلى أربعة من الحواريين (؟) وإن كانت هذه الأناجيل في الحقيقة ليست من إنتاج هؤلاء الحواريين ، ولا شك أن تاريخ حياة المسيح ودعوته كانت قد كتبت بلغته الأرامية ، ولكن هذا الأصل قد فقد ، ولعل هذه الأناجيل قد أخذت عنه • وقد كتبت هذه الأناجيل الأربعة باليونانية بعد وفاة عيسى بجيل أو جيلين ، وأقدمها عهداً هو إنجيل مرقس Mark (٦٥ م) وآخرها إنجيل يوحنا (١٠٠ م) •

وبولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية ، وقد طور فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة ، فقدّم آداباً مستحدثة في طابع قديم مأثوف •

(١) لم يسمح عيسى خلال حياته لاتباعه أن ينسبوا أنفسهم له ، فكلية مسيحي أو نصراني أو ما شابه ذلك كانت ممنوعة لان عيسى كان يعد نفسه حلقة من حلقات أنبياء بنى اسرائيل ، وكانت شريعة موسى هي شريعته ، ولم تظهر كلمة Christian (مسيحي) الا في القرن الثالث في المجلس الذي عقد بمدينة نيس •

وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية ، ولم ينفّر بولس من الطقوس الوثنية ، بل على العكس اقتبس كثيراً من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها ، وليبعد ديانته بذلك أيضاً عن أن تذوب في اليهودية ، ومن الصور التي حقق بها هذا الغرض أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد متبعاً في ذلك تقاليد Mithras وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود (١) ، واقتبس بولس من الوثنيات كذلك أعياد رأس السنة ، وعيد القيامة ، وعيد الغطاس ، وأطلق عليها مسميات جديدة ، فعيد الربيع عند Ostara أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر Easter ، وطقوس السر المقدس أخذت مكاناً معبد التضحية عند اليهود ، وعيسى أصبح « ابن الله » حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي ، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حوروس وأوزيريس Herus and Osiris ووضعنا في كل الكنائس ، وأما المعابد ذات الأعمدة الكثيرة فكانت تذكّر الأهرام والغابات ذوات الأشجار الكثيفة التي كانت مكاناً للعبادة لدى الأمم القديمة .

تلك أمثلة مما اقتبسته المسيحية من الوثنية ، ولكن يجب ألا ننسى أنه على الرغم من كثرة ما أخذت المسيحية من الوثنية لم تصر المسيحية وثنية في روحها ، بل ظلت متمسكة بتحفظها الديني الذي ورثته من اليهودية . كما حافظت على ابتعادها عن الناحية الجسمانية الشهوانية ، وقد ظلت المسيحية كذلك طالما كانت مضطهدة ، تحارب لتعرش ، فلما أصبحت أقوى من أعدائها تغيرت الأحوال فقلّ صفاؤها وضعف ، وظهرت بها الفرق والأحزاب التي استقلت كل منها بتنظيم نفسها ، وأصبح رؤساؤها رجال سياسة وقادة دينيين في نفس الوقت .

وعند نهاية القرن الثاني كان أتباع المسيحية أكثر من أتباع أي دين

(١) خروج ٣٣ : ١٧ وتثنية ٥ : ٣ .

آخره ، وكان الرومان مع تسامحهم تجاه كل الأديان يضطهدون المسيحيين لأسباب ثلاثة :

- ١ - اعتبرهم الرومان غير مخلصين للوطن لتنبؤهم بسقوط الإمبراطورية ولأنهم امتنعوا عن الخدمة العسكرية وعن شغل الوظائف .
- ٢ - اعتبرهم الرومان غير متجاوبين مع الاتجاه الاجتماعي في الإمبراطورية لأنهم لم يشتركوا في الأعياد العامة .
- ٣ - اعتبرهم الرومان أميل للفجور وسوء الأدب لأن أغلب الأمر التي تنصرت كان مصيرها الفرقة والانحلال .

اعتراف الامبراطورية بالمسيحية وأسبابه ومراحلها :

وفي ابتداء القرن الرابع بدأ الأباطرة أمثال Constantine و Gaerius يقدرون التأييد الضخم الذي يمكن أن يحصلوا عليه من المسيحيين ليسندوا بذلك الجمهورية التي كانت تهتز وتتهاوى ، ففي سنة ٣١٣ صدر منشور (فرمان) يعترف بالمسيحية ويساويها بالأديان الأخرى ، ثم جاء الإمبراطور قسطنطين الذي بذل جهداً خاصاً ليكسب تأييد المسيحيين ، فأعفى القسس من الضرائب ، وبنى الكنائس على حساب الدولة ، وترك للكنيسة شئونها القضائية ، وجعل يوم الأحد إجازة رسمية ، واستمرت محاباة المسيحية بعد ذلك حتى أخذت الوثنية نهائياً بقانون ثيودوس الذي صدر سنة ٤٣٨ م وبمقتضاه أصبح على جميع المواطنين أن يميروا أعضاء بالكنيسة الأرثوذكسية ، وانتشرت الديانة الجديدة كذلك بسرعة بين برايرة الجرمان على حدود الإمبراطورية فعظمت بذلك الكنيسة الكاثوليكية ، ولكن انتصار الكنيسة نشأ معه شيء حاد هو عقوبة المخالفين عقوبات قاسية تصل إلى الموت .

وازدانت الكنيسة بألوان الثقافات والفنون الإغريقية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى رجال مثل أوغستين وقسطنطين وجريجورى الأول وقد أثر الفن المعماري (Augustine, Constantine and Gregory I)

بالكنائس على الفن المعماري بالقصور الرومانية ، فظهرت الأعمدة الكثيرة التي تحمل السقف (وهي في الحقيقة منحدرة من المعابد المصرية ومن ديانات الوثنيين كما سبق القول) وأصبحت الكنيسة تزدان كذلك بالنقوش والفسيفساء والصور والزجاج الملون ، وكثرت بها الآنية المرصعة بالأحجار الكريمة ، وهذه المظاهر الخلابة جذبت للمسيحية أتباعا جددًا ، كما أن ادعاء الكنيسة أن النجاة تتوقف عليها جعل كثيرين من الناس يتدفقون على دخول المسيحية ، وأعلنت الكنيسة أن التعميد يفصل الماضي ويزيل الذنوب الأساسية ، وأن مداومة الاتصال بالكنيسة تمحو ما يجد من سيئات ، وأذاعت الكنيسة معجزات نسبتها إلى القديسين لتثبت بذلك حقها اللاهوتي وقوتها السامية الإلهية ، واشتغل الرهبان بجمع المخطوطات ونسخها وتقديم نسخ منها إلى المكتبات التي تطلبها ، وبذلك حفظت الكنيسة كثيرا من التراث العلمي اليوناني واللاتيني الذي كان على وشك أن يضيع في ظلام العصور الوسطى .

وقد قلنا من قبل إن الكنيسة استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات (System of Organisation) ونعود إلى ذلك بشيء من الإيضاح فنقول إنه في خلال القرون الأولى للمسيحية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة لأن المسيحيين كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم ، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت ، كان يلاحظ فيه كبر السن واسمه مستعار من الإغريقية وهو (Presbys) أي الرجل الشيخ (The Old Man) فلما لم يعد عيسى وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ المسيحيون يعملون نظما أكثر دقة ودواما وهي كالاتي :

١ — أصبح للكنيسة رجال منتظمون لها ولا عمل لهم سواها ، وكل منهم يسمى Priest أي قسيس أو رجل دين .

٢ — أطلق على هؤلاء Clergy أي رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين وهم غير المنقطعين لخدمة الدين .

٣ — كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه Bishop أى أسقف أو مطران •

٤ — الأساقفة في المدن الرئيسية أطلق على كل منهم اسم Archbishop أى رئيس الأساقفة في دائرته •

٥ — من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكانة أسمى وأصبح لهم نفوذ كبير ، وأخذ كل منهم لقب Patriarch أى بطريك أو بطريق وهؤلاء رؤساء الأساقفة في المدن التالية : أنطاكية (Antioch) وبيت المقدس (Jerusalem) والإسكندرية (Elexandria) والقسطنطينية (Constantinople) وروما (Rome) . ومن الملاحظ أن أربعة من هؤلاء في الشرق وواحد فقط في الغرب • ويلاحظ كذلك أن أسقفا واحدا غربيا كان قويا وكان صاحب نفوذ وهو أسقف (Carthage) أما باقى الأساقفة الأتقوياء فكانوا شرقيين •

٦ — قبل القرن الحادى عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب (Pope) ولكن في القرن الحادى عشر في عهد جريجورى السابع (Gregory VII) اختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما •

ذلك هو التنظيم الدينى للكنيسة ، ومن الملاحظ أنه يتبع مراحل التنظيم الإدارى للدولة الرومانية كما سبق القول •

سلطة رئيس أساقفة روما :

وقد استطاع رئيس الأساقفة في روما أن ينال نفوذا أكبر لعدة عوامل • فروما كانت العاصمة وكان رئيس الأساقفة بها يطمع في نفوذ يعادل مكانة البلدة التى يشغل منصبه بها ، كما كان هناك اعتقاد أن كنيسة روما قد أسسها St. Peter بتفويض من عيسى نفسه ، ثم إن الذين تولوا هذا المنصب في العصور الأولى كانوا أتقوياء ورجال سياسة مبرزين فوجَّهوا أنظار الناس لهم • وأخيرا كان لروما أثر واضح في الدعوة

للمسيحية ، وفي سنة ٤٤٥ أصدر الإمبراطور قراراً يجعل رئيس أساقفة روما رئيساً عاماً للكنائس المسيحية ، (وبعد ذلك بعدة سنوات أخذ رئيس كنيسة القسطنطينية رئاسة الكنائس الشرقية) ، وكان ذلك في عهد جريجورى العظيم (Gregory the Great) رئيس أساقفة روما من سنة ٤٤٠ إلى سنة ٤٦١ فأصبح هذا بمقتضى القرار السابق رئيساً للكنائس المسيحية كلها ، وفي عهد هذا الرجل حدث حادث عظيم هو استيلاء هذا البابا على السلطة السياسية في روما وظل السلطان السياسى فى أيدي البابوات اثنى عشر قرناً .

الكنيسة تضم السلطان السياسى للسلطان الدينى :

وقد تم استيلاء هذا البابا على السلطان السياسى عندما بدأت الإمبراطورية الرومانية تنتشر ، فبادرت كنيسة روما فعزلت نفسها من السلطة السياسية للإمبراطورية ، ثم استولت على الأمور السياسية بالإضافة إلى الروحانية وكونت الكنيسة بذلك دولة ، وكانت الكنيسة غنية قوية ، فساعدتها ذلك على ادعاء أن لها الحق فى أن يمتد حكمها فيشمل جميع المسيحيين فى كل البقاع وأذاعت أن مكانتها اسمى من مكانة الملوك والأباطرة ، وأن البابا له السيادة العليا فى القضاء والإدارة ، وأنه المشرع ، والمفسر النهائى للكتاب المقدس ، وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء ، وكجبت الكنيسة الضرائب ، وسيطرت على القضاء ، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفيها ، واستصدرت قانوناً جديداً عكف على إعداده عدد كبير من القسس ، وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطئوا ، كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين فى حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس .

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف ، وكان غناها من إيراد الممتلكات الواسعة التى كانت تمتلكها ، ومن جمع الزكاة ، ومن الهبات التى طالما كان يوصى بها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيماً فى الحياة الآخرة ، وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعى وثقافى .

فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر •

واجتمع في يد الكنيسة جميع شئون الأسرة كالزواج والطلاق وتقييد المواليد والوراثة والموصايا ، وأصبح للكنيسة سعة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات ، وعدَّ رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله ، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم ، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله ، وأنها منقذ الرحمة ، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء •

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الدين كثيرين من الناس ليدخلوا الكنائس ولينضموا إلى رجالها لينعموا بهذا النفوذ ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة ، وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الأطماع وعبداء الدنيا محسوبين في عدد رجال الدين •

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها زادت طقوسها المقدسة عدداً ، وتنوعت هذه الطقوس ، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة ، وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شيء ، في حياة الإنسان وبعد موته ، ثم أنقصت الكنيسة الطقوس إلى سبعة أهمها:

١ - تعويد الأطفال عقب ولادتهم لتُمحى عنهم آثار الخطيئة الأصلية ، وليعطى الطفل شيئاً من الحرية والمقدرة لعمل الخير •

٢ - العشاء الرباني ، وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف ، وقد ارتبط هذا القداس بخبر إعجازي ، وهو تحويل هذا الماء أو الخمر إلى دم عيسى وتحويل الخبز إلى عظامه ، ويجرى هذا القداس مرتبباً بالأنوار والعطور والزهور •

٣ - الاعتراف ، ويتبع الاعتراف الغفران ، وكان الاعتراف يتكرر

عدة مرات مدى الحياة ، ولكن منذ سنة ١٢١٥ أصبح لازما مرة واحدة على الأقل ، وسنتحدث عن الاعتراف وما جرّاه من فضائح عند الحديث عن حركة الإصلاح الدينى .

٤ - حضور القسيس عند الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة .

٥ - حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت ، وبخاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام .

(انتهى ما كتبه Berry)

ولنا تعليق سريع على ما كتبه Berry ذلك هو أن رأى هذا العالم الأوروبى الكبير لا يجعل أى ارتباط بين عيسى وبين المسيحية الحالية ، ويؤكد أن المسيحية الحالية من صنع بولس ، وسنزيد هذا الموضوع دراسة فيما بعد .

المسيح والمسيحية في نظر المسيحيين

ليس من السهل في الحقيقة أن نتحدث عن المسيح والمسيحية في نظر المسيحيين كما تحدثنا عن المسيح والمسيحية في نظر غيرهم ، وسبب ذلك أن فِرَقَ المسيحيين متعددة ، وأن عقائد المسيحية مختلفة باختلافهم ، ثم إن المسيحيين كانوا يعتقدون اعتقاداً ثم مرَّ الزمن فتغير ذلك الاعتقاد أو زيد عليه ، ومعنى هذا أن الفكرة عن المسيح والمسيحية اختلفت باختلاف الجماعات واختلاف الأزمان ، ومع هذا فسنحاول أن نجعل هذه الدراسة شاملة لأبرز هذه التطورات والاختلافات ، بيد أننا نبدأ في بيان المعالم العامة الشهيرة للمسيح والمسيحية كما تعتقدها الكنائس اليوم وتعلّمها ، وكما يتبعها جماهير المسيحيين وعامتهم ^(١) ونسارع فتشير هنا إلى ما سيأتى تفصيله فيما بعد من أن الكنائس من كاثوليكية وأرثوذكسية وبروتستانتينية وغيرها تختلف في الفروع ، أما الأصول كألوهية المسيح والتثليث فليست موضع خلاف ، فإذا اعتمدنا في بيان الأصول على مصدر كاثوليكي هام مثل Pengadjaran Geredja Katolic فإنه لا يعطينا فقط فكرة الكاثوليك في هذه الأصول ، وإنما يعطينا فكرة الجميع ، وسنعمد في دراستنا هذه كذلك على الأنجيل الأربعة المعتمدة لدى المسيحيين ، وعلى مصادر أخرى أكثرها أو كلها مسيحية كتبها مسيحيون شرقيون أو غربيون لنعرض أفكار المسيحيين كما يعتقدونها دون تحريف ، وليس لنا على ما سنورده من هذه المصادر المسيحية إلا التعليق الذي هو طبيعة الكاتب وروحه ، والذي لا غنى لمؤلف عنه •

المسيح في نظر المسيحيين :

ليس المسيح في نظر المسيحيين إنساناً ولد على الطريقة التي ذكرها

(١) واعتقاد الكنيسة وعامة المسيحيين يختلف عن اعتقاد المسيحيين المثقفين الذي ذكرناه فيما سبق ممثلاً في رأى Berry وغيره .

المسلمون ، بل هو تكوين آخر ، إنه ابن الله الأزلى ، وهو كالأب أزلى أيضا ، فليس بينه وبين الله فرق في الزمن ، والله الأب غضب على الجنس البشرى بسبب خطاياهم وبخاصة خطيئة أبيهم آدم التى أخرجته من الجنة ، ولكن مع غضب الله على الجنس البشرى فهو رحيم ، يريد أن يمحو هذا الذنب ويعيد رضاه عن الناس ، فأرسل ابنه ووحيدَه إلى الأرض حيث دخل رحم مريم العذراء البتول ، وولد كما يولد الأطفال ، وتربى كالأطفال حتى بدا إنسانا كالبشر ، ثم صاب ظلما على الصليب ، لا لأنه ارتكب خطأ في حق الرومان أو اليهود ، بل ليكفّر عن إثم آدم الذى أصبح المسيح كأنه أحد أبنائه ، فكأنه احتمل بعض مسئولية عصيان أبيه آدم ^(١) ، وسيجىء فيما بعد مزيد من التفصيل لهذا الموضوع .

ويرى المسيحيون أن وفود الملائكة بدأت تظهر في الجو مسبحة في الحقول المجاورة لبيت لحم عقب مولد المسيح ، وأن نجما لاح في السماء يشير بمولد المخلص ، وأن جماعات المجوس تبعوا ذلك النجم الذى هداهم إلى مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له ^(٢) ، وأن هيرودوس ملك اليهود لما علم بذلك خاف على ملكه من المولود الجديد فقد كان يعرف أن ملكه يزول على يد مولود معاصر في بيت لحم ، فأصدر أمره بقتل كل مواليد بيت لحم .

المسيح وأمه في مصر :

ولكن الله أوحى إلى يوسف النجار أن يأخذ الطفل وأمه ويذهب إلى مصر ^(٣) فأخذهما وحلّ بهما في دير المحرق بجبل قسقام بمحافظة أسيوط ، حيث ألتاموا بضعة أشهر ، حتى جاء الوحي مرة أخرى ينبيء يوسف بأن ملك اليهود هذا قد هلك ، ويأمره بالعودة إلى فلسطين ^(٤) ، فقاموا ومرّوا في طريقهم بالمطرية واستظلوا فترة بشجرة سميت منذ

(١) باختصار من Pangdjaran Geredja Katolik pp. 47;52 65;69.

(٢) متى ٢ : ١ - ٩ .

(٣) متى ٢ : ١٩ - ٢٢ .

(٤) متى ٢ : ١٣ - ١٤ .

ذلك الحين بشجرة العذراء • ولم يتفق المؤرخون على المدة التي استغرقتها هذه الرحلة وتتراوح أقوالهم بين سنة وأربع سنوات (١) •

ولما عاد المسيح إلى فلسطين أقام مع أمه بالناصرة ، وكانت مريم ويوسف وعيسى يذهبون كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح ثم يعودون بعد أيام ، وحدث مرة أن الطفل اختفى منهم في أورشليم ، فلما بحثوا عنه وجدوه جالسا في الهيكل يناقش العلماء ، وكانت سنته آنذاك اثنتى عشرة سنة (٢)

بدء الدعوة :

ولما بلغ الثلاثين من عمره بدأ يبشّر في مدينة الجليل ، كما أنه أخذ يعظ الناس في كثير من الأحوال بمدينة كفر ناحوم وما حولها • يعظهم هناك في البيعة اليهودية ، ثم هبط إلى أورشليم •

وكان دخول أورشليم نصراً سلمياً • إذ اجتمع حوله في الجليل عدد عظيم من الأتباع ، حتى كان يضطر في بعض الأحيان أن يعظ الناس من زورق في بحيرة الجليل بسبب تراحم الجمهور على الشاطئ ، وتسامع الناس به وسبقته شهرته إلى العاصمة ، فخرجت جماهير غفيرة لتحيته عند قدومه إلى العاصمة ، وواضح أنهم لم يفهموا اتجاه تعاليمه ، وأنهم جميعا كانوا يشتركون في اقتناعهم بأنه سيقبّل النظام القائم بضرب من سحر البرِّ والصَّلاح ، وقد دخل المدينة راكباً جحشا استعاره من تلاميذه والجمهور يرافقه رافعاً صوته بالتهليل والتكبير هاتفاً بكلمة (أوصانا !! Hosanna) وهي لفظة تعبر عن الفرح •

صراع مع الشعوذة اليهودية :

وذهب توجّهًا إلى الهيكل • وكانت أفتيته الخارجية غاصة بمناضد

(١) زكى شنوده : تاريخ الاقباط ج ١ ص ٤٤ •

(٢) لوقا ٢ : ٤١ - ٤٧ •

الصيارف وبخوانات أولئك الذين يبيعون اليمام لكي يحرره زوار المعبد الأتقياء !! وانبعث هو وأتباعه يطردون هؤلاء المنسجرين على حساب الدين وقلبوا لهم مناضدهم ، وتكاد هذه أن تكون فعلته الإيجابية الوحيدة (١) .

وقد حاول الشيطان أن يخدعه ولكن المسيح طرده ، واختار من أتباعه اثني عشر مريداً لقتبوا بالحواريين ، وقد لازمه هؤلاء مدة دعوته . ثم اختار من أتباعه من أرسلهم إلى القرى للتبشير ، وأيده الله بالمعجزات العظيمة ، فكان يحيى الموتى ، ويشفى المرضى ، ويفتح أعين العمياء ، ويخرج الأرواح النجسة ، وينهر الرياح إذا ثارت فتهتداً ، والبحر إذا أصعب فيخضع (٢) .

مؤامرة :

ولما رأى اليهود أن شأن المسيح سيرتفع جنّ جنونهم ، فاجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون ، بالحبّير الأكبر كايافاس «Caiaphas» وراحوا يتآمرون ويتشاورون ، فقال رئيس الكهنة : « إنه خير لنا أن يموت واحد ولا تهلك أمة كلها » وقرروا قتله ، وأخذوا يثيرون عليه بيلاطس حاكم فلسطين من قبيل الرومان ، ولما رأوا أن هذا لا يريد أن يتدخل في الشؤون الدينية لليهود ، تقدموا إليه مدّعين أن عيسى أخذ يفسد الأمة وأنه يمنع أن تعطى جزية لقيصر (٣) ، ويدعى أنه مسيح ملك (٤) ، بل توعدوا بيلاطس أن يرفعوا الأمر لقيصر إن هو قصر في إنزال العقوبة بعيسى ، ولما رأوا تردده وخوفه على نفسه من دم عيسى صاحوا به : دمه علينا وعلى أولادنا .

وهكذا أثّر اليهود على بيلاطس فأمر بالقبض على عيسى ، وأحس

(١) Wells ; Outline of History vol 3 p. 692 .

(٢) وردت هذه المعجزات في عدة أمكنة من الاناجيل الاربعة .

(٣) كان القيصر آنذاك هو « طيبريوس » .

(٤) لوقا : الاصحاح ٢٣ الفقرة الاولى وما بعدها .

عيسى بذلك فاختمنى مع حواربييه في حديقة جثيماني Gethemane ، ولكن يهوذا الأسخريوطى أحد الحواربيين تقدم للكهنة وساوهمم على تسليمه للرومان نظير ثلاثين قطعة من الفضة ، وقاد يهوذا جنود الرومان حيث قبضوا على عيسى ، ودفع اليهود بيلاطس فحكم عليه بالموت صلبا (١) ، ونكل به الجنود الرومان ثم صلب حتى مات ودفن ، وبعد ثلاثة أيام أمضاها في القبر قام في الفصح ، ومكث أربعين يوماً مع تلاميذه خاصة ، ثم ارتفع إلى السماء أمامهم بعد أن أوصاهم بالجد في نشر دعوته باسم الأب والابن والروح القدس (٢) .

وهذا الموضوع الأخير وهو ارتفاع عيسى إلى السماء وتلاميذه يَرَوْنَهُ ، موضوعٌ يدعو إلى التفكير ، فالآراء المسيحية مجمعة كما سيأتى على أن عيسى تجمّع فيه اللاهوت والناسوت ، وأن الجانب الذى كان يَرَى ويأكل ويتكلم ويمشى ويتألم هو جانب الناسوت في عيسى ، وإذا صح هذا الكلام فلماذا يصعد هذا الجانب أو هذا الجسم إلى الطبقات العليا كان من الطبيعى أن الناسوت انتهت مهمته فحق عليه الفناء بالصلب كما يقضى كل الناس . وأن الذى يعود إلى العليين هو جانب اللاهوت في عيسى وهو جانب لا يَرَى وليست به صفات البشر .

صورة جديدة اقترحها بولس للمسيح :

والذى رسم للمسيح هذه الصورة هو بولس الذى سنتكلم عنه فيما بعد وهى صورة قلبت الفكر الذى ينسب للمسيح ، وبين أيدينا كتاب هام ألفه رائد مسيحي وقس متبجر ، ولكنه يصدق القول عندما يقول إن المسيح الذى نتكلم عنه الآن هو « مسيح بولس » وفيما يلي عبارة هذا المؤلف :

(١) الاناجيل الاربعة وتاريخ الاقباط للاستاذ زكى شنوده ص ٥٦
والمشرع للقس بولس شباط ص ٩٤ - ٩٥ .
(٢) انظر قصة محاكمة المسيح وصلبه في متى الاصحاح ٢٧ وانظر
المشرع ص ١٠٥ وتاريخ الاقباط للاستاذ زكى شنوده ص ٦٥ - ٦٧ .

لقد ترك لنا بولس الرسول عن المسيح رسماً واضحاً القسماً وإن اختلف ظاهراً عن رسم مسيح الأناجيل ، فمسيح بولس هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ . ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتي لم ير المسيح في الجسد ولا رافقه كباقي الرسل ، فمسيحه هو ابن الله (روما ٨ : ٣ و ٢٣ — غلاطية ٤ : ٤) له طبيعتان إلهية وإنسانية ، تجسّد واتخذ صورة عبد (فيلبي ٢ : ٧) وتحدّر من ذرية إبراهيم حسب الجسد (غلاطية ٣ : ١٥) ومات مصلوباً وقبّر وقام من بين الأموات (كورنثوس الأولى ١ : ٢٤ و ٢٧ وفيلبي ١٥ ^(١)) .

نعم ذلك هو مسيح بولس وليس عيسى بن مريم عليه السلام .

وهناك وصف آخر دقيق لشخص عيسى في وضعيّته الحقيقي والمزعوم وهذا الوصف يقدمه ، Wells ويجدر بنا أن نورده هنا ، يقول Wells :

كما أن شخصية جوتاما بوذا قد سُوءت وانطمت وراء تلك الصور الجامدة الوثنية المترتبة التي تمثّل شخصية بوذا في البوذية المتأخرة ! ، فكذاك يشعر المرء أن شخص عيسى النحيل المكدود قد أضرّ به كثيراً ذلك الجو الوهمي وتلك الروح التقليدية اللذان فرضهما على صورته في الفن المسيحي الحديث تبجيلاً خاطئاً أجوف ، لقد كان عيسى معلماً ذا خصاصة ، يتجول في « أرض يهودية » المتتربة اللافحة الشمس . ويعيش على هبات عرضية من الطعام . ومع ذلك فإنه يصوّر على الدوام نظيفاً ممشط الشعر ، مرجّله ، صقيل الإهاب ، نقى الثياب ، مستقيم العود . ومن حوله سكون لا يريم كأنما هو منزلق في الهواء . وهذا وحده قد جعله وهماً لا يؤمن به الكثير من الناس الذين لا يستطيعون أن يميزوا بين لباب القصة وبين زخرف استطرادات التحسين والتحلية غير الموفقة التي يضيفها بعض المتبتلين الأغنياء ^(٢) .

(١) الاب بولس الياس . يسوع المسيح ص ١٧ — ١٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٧ .

خرافة ظهور العذراء في كنيسة الزيتون

وقبل أن نترك الحديث عن المسيح وأمه إلى الحديث عن المسيحية ،
يجدر بنا أن نقف وقفة مع السيدة العذراء بمناسبة حادث خطير وقع بهصر
سنة ١٩٦٨ •

والذى يطالع الأناجيل الأربعة بعناية وعمق لا يجد بها لمريم البتول
أكثر مما أوردته المصادر الإسلامية ، فليست لها قدسية خاصة ، وكل
ما تناله من إجلال يرتبط بأنها أم عيسى ، وليس في الأناجيل قط ما يثبت
لها معجزات في حياتها ، ولا أى دور من الدعوة •

بيد أن بعض المسيحيين في مصر اتجهوا في القرن العشرين اتجاها
عجيبا ليثبتوا أن السيدة العذراء تظهر للناس وتشفى الأمراض ، ومن
الواضح أن هذا الاتجاه عودة للفكر المسيحي بالنسبة لفهم التاريخ ، ذلك
الفكر الذى شرحناه في الجزء الأول من موسوعة التاريخ الإسلامى ،
والذى يقضى بأن التاريخ البشرى ليس تاريخ أحداث وحضارات وإنما
هو تاريخ خوارق ومعجزات يتحتم قبولها دون تفكير فيها • ولكن هذا
الاتجاه نحو التاريخ مات منذ أمد بعيد في العالم كله وسخر المفكرون منه •
ثم جاء مسيحيو مصر فعادوا بعقارب الساعة للوراء ورجعوا بالفكر
التاريخى إلى الخرافات والترهات ، وقد نفخوا في هذه الخرافات بكل
قواهم فترة من الزمن ثم ماتت خرافاتهم في مدى وجيز :

فقد أنتهز بعض المسيحيين بمصر فرصة الهزيمة النكراء التى حلت
بجيشنا في يونيو سنة ١٩٦٧ بسبب اضطراب القيادة السياسية والعسكرية
ولم يشاعوا أن يشاركوا الشعب آلامه ، ورأوا أن القيادة السياسية كانت
تتلمس الطريق لإرضائهم ولو على حساب الحق والاسلام ، فلم يضيعوا
هذه الفرصة ، وأرادوا أن يكسبوا جولة من النصر ، فادعوا أن العذراء
ظهرت للناس وأعدت الإبصار للعميان والقوة للكسيح •

وخرجت صحيفة « وطنى » المسيحية تهل وتذيع ، ولم يعد لها من عمل إلا تأييد هذه الفرية الهزيلة ، وقد حاولتُ آنذاك كما حاول غيرى أن نرد هذا الباطل ، ولكن أوامر القيادة السياسية منعت أى نقاش فى هذا الموضوع ، فسكتنا حتى أذن الله للحق أن ينبجج ولصوت الباطل أن يخفت ، ولكن ذلك لم يتم إلا بعد ضحايا كثيرين سقطوا فى الزحام الذى جمعته الدعاية الظالمة ، وبدل أن تشفى العذراء المرضى تسببت هذه الفرية التى ارتبطت بالعذراء فى قتل الأبرياء •

ومعى الآن كتاب كتبه باحث مسيحي أوربى يعرض هذه المهزلة ومنه نقتبس كلماته ليكون صوتاً مسيحياً يردُّ باطل أهل دينه •

باحث مسيحي يدحض هذه الفرية :

يقول Otte Meinardus فى كتابه :

Christian Egypt : Faith and Life

« فى شهر مارس سنة ١٩٦٨ صرخت كنيسة العذراء بالزيتون بشارع طومان باى صرخة مدوية بأن العذراء ظهرت بها ، وأنها تشفى المرضى وتعيد الإبصار للعميان ، وقد سُمع بهذه الصرخة آلاف من المصريين فاتجهوا ليروا هذا الأمر الجلل ، ولم تقنع القيادة المسيحية بمصر بأن يُذاع مثل هذا الخبر دون توثيق فأرسل البطريرك كرولس السادس مطران بنى سويف ليرى ذلك بنفسه وليعلنه بصفة رسمية ، وفى الثانى من أبريل أعلن هذا المطران ظهور العذراء فى هذه الكنيسة ، وأنها ظهرت عدة مرات بحجمها الطبيعى ، أو ظهر النصف الأعلى منها ، وقد أذاع المطران هذا الاعلان فى مؤتمر صحفى ذكراً أنه رأى العذراء بنفسه ، وأن آلاف الناس رأوا ذلك معه (١) •• »

ويقرر المؤلف أن الذى ظهر ليس إلا انعكاساً ضوئياً ، وليس بحال من الأحوال ظهوراً للعذراء ، كما يقرر الحقيقة التى ذكرناها وهى أن العذراء لم تكن تشفى المرضى وهى حية منذ ألفى سنة • ويذكر كذلك

أن البطريك لم يتجه بنفسه إلى كنيسة العذراء إلا بعد أربعة أشهر من هذا الإعلان ، مما يدل على تهاونه به ، ولو حدث ظهور للعذراء فعلاً لأسرع لاستقبالها والسجود لها • ولكن سلوكه كان أقل حماساً وانفعالاً من معظم الاقباط (١) •

ويستمر المؤلف فيقول إن الكنائس في شبرا وفي المعادي أخذت تتنافس في ادعاء هذا الأمر لتجذب لها جماهير المخدوعين ، بل وصل الأمر إلى كنائس شتى في جميع بلاد الشرق الأوسط أخذت تدّعي هذا الادعاء (٢) •

ويختتم المؤلف وصفه لهذه المسألة بحديثه عن كارثة بشرية تسببت عنها ، فيذكر أنه في ١٩ مايو سنة ١٩٦٨ قُتِلَ وطناً تحت الأقدام حوالي خمسة عشر شخصاً في زحام داخل كنيسة شبرا وبهذا الحدث الجلل توقف هذا الباطل وقُطِعَت ألسنة الكاذبين •

(١) المرجع السابق ص ٢٦٧ •
(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٩ •

المسيحية الحالية وواضعها

سيكون حديثنا هنا — كما قلنا آنفاً — عن مسيحية اليوم • مسيحية الكنائس • ولكن حديثنا كهذا يستلزم أن نترجم لمنشئ هذه المسيحية وواضع أسسها ومدوّن قوانينها ، ذلك هو شاعول الذي سُمّي فيما بعد بولس والذي يقول عنه Berry فيما أوردناه سابقاً « إنه هو في الحقيقة مؤسس المسيحية » ويقول عنه Wells : « إن كثيراً من الثقات العصريين يعدونه المؤسس الحقيقي للمسيحية (١) » وستكون ترجمتنا لبولس ومبادئه مأخوذة من رسائله المعتمدة لدى الكنائس • وستضع هذه الترجمة في أيدينا مفتاحاً نفهم به هذه الديانة فهماً أقرب إلى الصواب • فلنرجىء — إلى حين — حديثنا عن المسيحية في نظر المسيحيين لنتكلم عن مؤسس هذه الديانة • عن « بولس الرسول » •

شاعول (بولس) :

أول ما نذكره عن شاعول هو مقتطفات مما كتبه هو عن نفسه أو كتبها عنه تلميذه لوقا ، ننسق بها تعريفاً به ، قال بولس :

— أنا يهودى فريسيّ بن فريسي على رجاء قيامة الأموات (٢) •

— سمعتم بسيرتى قبلاً في الديانة اليهودية ، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها • وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسى إذ كنت أوفر غيراً في تقليدات آبائي (٣) •

ويقول لوقا عنه في أعمال الرسل : وكان شاول راضياً بقتل المسيحيين ، وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالاً

Outline of History vol. 3 p. 695. (١)

(٢) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ •

(٣) غلاطية ١ : ١٣ — ١٤ •

ونساء ويسلمهم إلى السجن (١) ، ولم يزل ينفث تهديداً وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم (٢) .

وعجباً أن توجد هذه الصفات في إنسان ثم يصبح رسولا ومؤسس ديانة .

وعن دخوله المسيحية يقول لوقا : « وعند ما كان بولس قريباً من دمشق ، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض ، وسمع صوتاً قائلاً له : شاعول شاعول لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتهير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرز بالمسيحية . ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملةً ذات بال غيرت وجه التاريخ هي : « ولوقت جعل يكرز في المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله (٣) » ولم تكن هذه الفكرة قد عُرِفَت من قبل ، فأصبحت نقطة التحول في الدراسات المسيحية ، وقد حدث هذا التطور لشاعول أو حدث في تفكير شاعول وهو في الطريق من أورشليم إلى دمشق ، وكان ذلك حوالي سنة ٣٨ م ، وسنعود فيما بعد لحديث أوسع يتصل بالتعاليم التي نادى بها شاعول وأسسها .

وقد دخل بولس المسيحية وأصبح معلماً لها ، وتم ذلك بهذا النسق الذي يصدقه قوم ويراها آخرون قصة مخترعة لم يجَدُ حَبْكُهَا ، ولكن هذا ينقلنا إلى سؤال آخر دقيق هو :

(١) أعمال ٧ : ٦٠ ، ٨ : ٣ .

(٢) أعمال ٩ : ١ - ٢ .

(٣) أعمال ٩ : ٣ - ٢٠ .

كيف تعلم شاول المسيحية؟ أو مَنْ هم أساتذة شاول في المسيحية؟
إن شاول قد أعد لهذا السؤال إجابة شبيهة بقضية دخوله المسيحية،
فهى إما أن تقبل وإما أن ترفض ولكنها على كل حال لا تتناقش . قال :
أعرفكم أيها الإخوة ، الإنجيل الذى بثرت به أنه ليس بحسب إنسان
لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علّمته من إنسان ، بل بإعلان يسوع
المسيح (١) .

وهكذا أخذ شاول - الذى أصبح يدعى بولس بعد دخوله المسيحية
- الزمام فى يده ، فهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يتكلم ، ولكنه قال
بصلة مباشرة بينه وبين المسيح ، صلة أدخلته المسيحية وسكنت فى نفسه
تعاليم جديدة . وبهذه الدعوى لم يصّر لأحد حق فى أن يناضله فيما ينشره
من تعاليم . ما دام يقول إن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح .
وعلى هذا لم يكن لبولس أساتذة تلقى عنهم المسيحية ، فهل كان
له زملاء؟ وهل كان له تلاميذ؟

نعم كان له زملاء وكان له تلاميذ ، ففى وسط المحنة التى كان يمر
بها المسيحيون استخف الطرب المسيحيين عندما رأوا بولس أكبر أعدائهم
ينضم إليهم ، وقد تشكك بعضهم فى أمره ولكن برنابا دافع عنه وأحسن
تقديمه إلى هؤلاء (٢) وبعد أن أعلن بولس فكره الذى يتنافى مع المسيحية
الحقيقية ، نفر منه زملاؤه وتلاميذه كما سنرى فيما بعد ، ولم يبق معه إلا
تلميذه لوقا . ويقول عنه بولس « إنه الطبيب الحبيب (٣) » وآمن
لوقا برسالة بولس وأخلص لها ولم يعرف من المسيحية سواها . فخدم
أستاذه وأحله محلاً رفيعاً لا يقل عن مقام عيسى نفسه . وكتب لوقا رسالة
أعمال الرسل . ولكنها فى الحقيقة قصة حياة بولس فهى لبولس كإنجيل
متى ومرقص للمسيح . كلها وصف لأعماله وإشادة بمعجزاته . وكتب

(١) غلاطية ١ : ١١ - ١٢ .

(٢) أعمال ٩ : ٢٦ - ٢٧ .

(٣) كولوسى ٤ : ١٤ .

لوقا إنجيله فأفرغ فيه أفكار أستاذه ، وهكذا تبادل بولس ولوقا المدح والمنفعة فأصبح لوقا في الصف الأول إذ أصبح من كتبة الأنجيل مع أنه هو وأستاذه لم يريا عيسى قط • وأصبح « الطبيب الحبيب » • وكافأ لوقا أستاذه على احتفائه به فأصبح خير داعية لأفكار بولس • واختلطت أفكار بولس ولوقا حتى قال القديس ترتليانوس أسقف قرطاجة : إن إنجيل لوقا ينسب كله إلى بولس (١) •

بولس يدعو لمذهبه ويهاجم سواه :

وقد سبق أن تكلمنا عن الاضطهادات التي واجهت المسيحية منذ عهدا الأول ، تلك الاضطهادات التي كان عيسى نفسه ضحيتها • وقد استمرت الاضطهادات بعد عيسى فأحقت بحوارييه وأتباعه • وكان من أسباب ذلك أن فنيت المسيحية أو أوشكت • ويقول Perry : وبعد صلب المسيح ذاب أتباعه واختفت دعوته ولم يعد أحد يسمع شيئاً عن هذه الدعوة (٢) •

وفي خلال هذا الظلام الحالك ظهر بولس ، وأحاط نفسه بالضمانات التي سبق أن أوردناها ، فلم يقيد نفسه بما تلقاه غيره عن عيسى بل راح يقول في صراحة إنه الوحيد الذي أوتن على المسيحية الصحيحة (٣) وعلى إنجيل مجد الله المبارك • (٤) • وأن كل ما يخالف ما يقول به من تعاليم ، كلام باطل دنس ، مخالف للعلم ، كاذب الاسم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان ، ولهذا يجب الإعراض عن مثل هذا الكلام (٥) •

يا لله !! كيف جاز لمعلم ديني أن يصف زملاءه بهذه الأوصاف ؟ وراح بولس يعلن ديانة استمد لها عناصر من الثقافات الأجنبية التي كان بولس على علم واسع بها • يقول Wells « وقد أوتى بولس قوة

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٢١ •

(٢) Religions of the World p. 89. (٢)

(٣) تيطس ١ : ٣ •

(٤) تيموثاوس الاولى ١ : ١١ •

(٥) تيموثاوس الاولى ٦ : ٢٠ - ٢١ •

عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية : فتراه على علم عظيم باليهودية والميثرائية وديانة ذلك الزمان التي تعنتقها الإسكندرية • فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومصطلح تعبيرهم • ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها ، وهي فكرة « ملكوت السموات » ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية (١) » •

الفرق بين المسيحيين :

يقول Wells في مكان آخر (٢) :

من الراجح جداً أن بولس تأثر بالمثرائية ، إذ هو يستعمل عبارات قريبة الشبه بالعبارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ « رسائله » المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأنجيل ، أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نسب لعيسى من أقوال وتعليم ، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يُقدّم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشر به عيسى كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية ، أما ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الآلهة ، كان عيسى في نظره حمل عيد الفصح ، تلك الضحية البشرية الماثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة •

ولا زلنا على ذكر بما نقلناه من قبل عن Berry الذي يكرر عدة مرات أن المسيحية الحالية مسيحية بولس ، وأنها ديانته ، وهو مُنشئها ، ولعل من الخير أن نعيد هنا عدة سطور مما سبق أن أوردناه ، ليكون موضوعنا أكثر وضوحاً ، يقول Berry « وكان عيسى يهودياً وقد ظل كذلك أبداً ولكن شاءول كوّن المسيحية على حساب عيسى • فشاءول هو

A Short History of the World pp. 178 - 179. (١)

Outline of History Vol. 3. p. 696. (٢)

في الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود ، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد Lord استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة Cybele and Mithras فانجاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس ، وعمد كذلك - ليرضى المثقفين اليونان - فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة The Logos أو ابن الإله The Son of God أو الروح القدس «The Holy Ghost» (١)

ابتكارات بولس في المسيحية :

وتبرز هنا بإيجاز نقاطاً كبيرة الأهمية كانت عماد ديانة بولس بسطناً القول في بعضها من قبل وسنعود إلى البعض الآخر بالشرح والتفصيل فيما بعد ، وهذه النقاط التي ابتدعها بولس هي :

- ١ - أن المسيحية ليست ديناً لبنى إسرائيل فقط ، بل هي دين عالمي
- ٢ - التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .
- ٣ - كون عيسى ابن الله ونزوله ليضحى بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر .
- ٤ - قيامة عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر .

ولعل الموضوع الأول وهو كون المسيحية ديناً عالمياً كان نقطة التحول في تاريخ هذه الديانة ، ولاشك أن بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية ، وأفاض في شرحها في رسائله (١) واعترف «أن هذه النعمة أعطيت له وهو أصغر القديسين دونهم جميعاً ليبشر بها بين الأمم ولينير الجميع

Religions of the World p. 70. (١)

(٢) انظر رومية ١ : ٥ ، ١٤ - ١٦ و ٢ : ٢٥ - ٢٩ وكورنثوس الأولى ١٣ وغلاطية ٣ : ٢٦ - ٢٩ وافسس ٢ : ١٢ وما بعدها و ٣ : ٨ وكولوسي ٣ : ١١ .

في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور (١) « ويعترف الكتاب المسيحيون أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يفهموا هذه الحقيقة حتى اكتشفتها عبقرية بولس يقول William Pataun ما نصه « ولم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية وعرف أنها لليهودى والأممى والبربرى والذكر والأنثى على السواء دون تفریق أو تمييز (٢) « ومن الواضح للذى يقرأ رسائل بولس أن بولس لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عاوية المسيحية ، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره ، شأنه في ذلك شأن التذليل على عدم ضرورة الختان وعلى كثير من التعاليم (٣) .

وقد قلنا آنفاً إن عالمية المسيحية كانت نقطة التحول في تاريخ هذه الديانة ، وذلك لأن فتوح باب هذه الديانة لجميع العناصر ألزم بولس أن يدخل على ديانته تعليمات أخرى تزيل الهوة بين ديانات بنى إسرائيل وأفكار الأمم المختلفة الذى فتح لهم باب المسيحية ، وبخاصة الوثنيون الأوروبيون واليونانيون ، وأتباع ديانة متراس وغيرهم ، ولهذا قال بولس بالتثليث وبنزول عيسى ليكفّر بنفسه عن خطيئة البشر ، وبعدم ضرورة الختان . وغير ذلك من العقائد والشعائر التى لها صلة بديانات هذه الأمم واتجاهاتها ، فتدفق الغربيون لذلك على دين بولس بينما نفر منه الشرقيون ، وكان هذا سبباً في نقل المسيحية من دين شرقى إلى دين غربى تقريباً .

بولس يسترضى السادة :

وعمدت مهارة بولس إلى إرضاء طبقة السادة والطبقة الحاكمة فجعل

(١) انفسس ٣ : ٨ - ٩ .

(٢) Christianity ضمن كتاب « اديان العالم الكبرى » ترجمة حبيب

سعيد ص ١١٧ .

(٣) انظر رسالة بولس الى اهل رومية ٥ : ١٢ وما بعدها و ٩ : ٧

وما بعدها .

طاعتهم ديناً كإطاعة المسيح ، قال للعبيد « أيها العبيد أطيعوا سيادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدعة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح عالمين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ^(١) » ويقول في رسالة أخرى « جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفتري على اسم الله وتعليمه ^(٢) » ويكتب إلى تلميذه تيطس « ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ويطيعوا ^(٣) » .

تحوّل :

وعلى هذا شهد العقد الرابع والخامس من الميلاد المسيحي دين عيسى وهو يذبل ، وتفنى بعض مراجعه ويختفى البعض الآخر ، وينشئت أتباعه ويخبو ريحه ، كما شهد هذان العقدان دين بولس وهو ينبثق باسم المسيحية ، وتوضع له المراجع في صورة أناجيل ورسائل ، وتحدد قواعده وأركانه وتنهال عليه الجماهير ، ويبدو أن أتباع بولس وجدوا أحياناً لونا من التسامح وبخاصة من الطبقة الحاكمة التي لم تجد في اتجاه بولس ما وجدته في اتجاه عيسى من عنصرية ، ومن حيث عدم شغل الوظائف ، وعدم الخدمة العسكرية وغيرها مما يثير الحكم ، فقل اضطهاد الحكام لهم من أجل ذلك .

وهنا نعود إلى السؤال الذي سبق أن أوردناه ، وهو الحديث عن زملاء بولس وتلاميذه فنتساءل مرة أخرى :

ما موقف الحواريين وأتباع عيسى الحقيقيين من أفكار بولس ؟

الجواب على ذلك أن صراعاً ضخماً قام بين بولس وأنصاره من جانب وبين المسيحيين الحقيقيين من جانب آخر ، وقد طال مدى هذا الصراع ،

(١) أفسس ٦ : ٥ - ٧ .

(٢) تيموثاوس الأول ٦ : ١ .

(٣) تيطس ٣ : ١ .

وامتد قرونًا بعد وفاة بولس ، ونتائج هذا الصراع كانت مطابقة للمنطق والاعتقل ، نفى جانب بولس كانت قلّة محدودة جدا من المثقفين المسيحيين ، وكثرة ساحقة من الجماهير وكان جانب المسيحيين الحقيقيين بالعكس أى كان معهم جماهير المثقفين وقلّة من العامة ، أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها (its Sympathy) في جانب بولس وأتباعه ، وابتداء من مطلع القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لاتجاهات بولس ، وإلزاماً للناس باتباعها كما سيأتى إيضاحه فيما بعد .

ذلك موجز هذا الصراع ولكن لدينا إيضاحات ذات بال عن هذا الصراع وعن دور بولس نفسه فيه ، وتلك الإيضاحات مأخوذة من كلام بولس ، فالذى يطالع رسائل بولس إلى الفيلبيين والكولوسيين والغلاطيين ورسالته إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس يجد من ذلك الشيء الكثير ، ويجد شيئاً آخر مهما هو سلوك بولس مع مخالفيه في الرأى وتحقيره لهم وإغراؤه بهم ، ونحن هنا سننقل صورة سريعة لهذا الصراع من هذه الأقوال .

لقد أشرنا آنفاً إلى أن أفكار بولس انتشرت في الغرب بين الوثنيين واليونان أكثر من انتشارها في الشرق الذى هو مشرق النبوات السماوية التى كانت الوحداية في قمة تعاليمها ، وقد وضّح بولس نفور الشرق من تعاليمه بكلمات صريحة حيث قال في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس « أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عنى ^(١) » .

بولس يستغيث بعد أن انفض أغلب المسيحيين عنه :

وانفض أكثر أنصار بولس عنه ، وهو يكتب بهذا إلى تلميذه تيموثاوس في نفس الرسالة السابقة فيقول : « بادر أن تجيء إلىّ سريعاً لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي ،

وكريسكيس ذهب إلى غلاطية وتيطس إلى دالماتية • لوقا وحده معي • اسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً • في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني (١) » •

وقد ذكرنا من قبل أن برنابا هو الذي أيّد بولس وقدمه للمسيحيين حينما نفر هؤلاء منه في أول عهده بادعاء المسيحية ، ولكن برنابا عاد فتخلّى عن بولس بعد أن ظهرت اتجاهاته ، وفي ذلك يقول بولس : « حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى رياء الآخرين » (٢) :

وهكذا انفضت آسيا وانفض الحواريون والمثقفون المسيحيون من حول بولس وتركوه وحده أو مع قلة قليلة ممن لم يعرفوا من المسيحية إلا آراءه مثل مريده لوقا وقليلين من أمثاله ، فماذا كان موقف بولس من هؤلاء الذين ارتدوا عنه ؟

هجوم بولس على معارضييه :

والجواب على ذلك عجيب للغاية ، فقد كان بولس قاسياً عليهم ، حقوداً ، محقراً شأنهم مغرباً بهم ، وهاك رسالتيه إلى تيموثاوس ، كلاتهما هجوم وحقد وإغراء وتحقير ، ونحن نقتبس منهما ومن غيرهما من الرسائل نماذج تصور لنا موقف بولس من المسيحيين الآخرين :

كتب إلى مريده تيموثاوس يقول :

طلبت إليك أن تمكث في إفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكي توصي قوماً ألا يعلموا تعليماً آخر ، ولا يصيخوا إلى خرافات وأنساب لا حدّ لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان ، وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء ، الأمور

(١) تيموثاوس الثانية ٤ : ٩ - ١٦ •

(٢) غلاطية ٢ : ١٣ •

التي إذ زاغ قوم عنها انصرفوا إلى كلام باطل يريدون أن يكونوا معلمى
الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه (١) .

ويقول له في موضع آخر :

إن كان أحد يعلم تعليما آخر فقد تصلف وهو لا يفهم شيئا . بل
هو متعل بمباحثات ومماحكات الكلام التي منها يحصل الحسد والخصام
والافتراء والظنون الردية ، ومنازعات أناس فاسدى الذهن وعادمى
الحق يظنون أن التقوى تجارة . تجنب مثل هؤلاء (٢) .

ويختم بولس هذه الرسالة بقوله :

يا تيموثاوس ، احفظ ، الوديعه ، معرضا عن الكلام الباطل الدنس ،
ومخالفات العلم الكاذب الاسم الذى إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة
الإيمان (٣) .

وفي رسالته الثانية لتيموثاوس يقول له :

والمباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها عالما أنها تولد خصومات (٤) .

وفي رسالته إلى الفلبين يقول :

أرجو فى الرب يسوع أن أرسل لكم سريعا تيموثاوس لكى تطيب
نفسى إذا عرفت أحوالكم ، لأن ليس لى أحد آخر نظير نفسى يهتم
بأحوالكم بإخلاص ، إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع
المسيح (٥) .

(١) تيموثاوس الاولى ١ : ٣ - ٧ .

(٢) تيموثاوس الاولى ٦ : ٣ - ٥ .

(٣) المرجع السابق ٦ : ٢٠ - ٢٤ .

(٤) ٢ : ٢٣ .

(٥) رسالة الى فيلبى ٢ : ١٩ - ٣١ .

وفي رسالته إلى تيطس يقول :

يجب أن يكون الأسقف ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبّخ المناقضين ، فإنه يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل ويدعون العقول ولا سيما الذين يقولون بالختان الذين يجب سدّ أفواههم ، فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها ، معلّمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح^(١) .

وفي رسالته إلى الكولوسيين يقول :

• يسلمّ عليكم أرسترخس ومرقس ويسوع المدعو بّسطس^٥ هؤلاء هم وحدهم العاملون معي للكلوت الله^(٢) .
وتعليقتنا على هذه الألفاظ التي ذكرها بولس في رسائله ضد الحواريين ، هو الدهشة أن تصدر مثل هذه الألفاظ من داعية ديني .

وهجوم يوحنا أيضا على المسيحيين الحقيقيين :

وقد انضم إلى بولس في هذا الهجوم تلميذه الحبيب لوقا ، وقد سبق الحديث عنه ، وهناك رسائل ثلاثة تنسب إلى يوحنا وفيها هجوم مماثل على مخالفي بولس والذين قاوموا أفكاره ، وأغلب الظن أن هذه الرسائل وضعت باسم يوحنا ولم يكتب يوحنا منها حرفاً واحداً ، وربما ارتفع هذا الظن إلى اليقين لو تعمقنا في دراسة أسلوب هذه الرسائل وأفكارها وقارناها بأسلوب بولس وأفكاره ، وهذه الدراسة تقودني للقول بأن رسائل بولس والرسائل المنسوبة إلى يوحنا صدرت من معين واحد ، وأنا أدعو القارئ لمطالعة هذه الرسائل بأناة ، وأغلب الظن أنه سيصل إلى نفس النتيجة .

وعلى كل حال فإن صح هذا التقدير أمكن ضم هذه الرسائل إلى بولس ، وإن لم يصح فيوحنا كان مثل لوقا سار على نهج بولس وتفكيره ، تعال بنا نقتبس من هذه الرسائل نماذج من هجومها على مخالفي بولس .

(١) رسالة إلى تيطس ١ : ٩ - ١١ .

(٢) رسالة إلى الكولوسيين ٤ : ١٠ - ١١ .

فمن رسالته الأولى :

سمعتهم أن ضد المسيح يأتي ، قد صار الآن أصدقاء للمسيح ، منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا . . . من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الأب والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً ، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً ، احذروا الذين يضلونكم (١) .

ومن رسالته الثانية :

قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد ، هذا هو المضل وال ضد للمسيح ، انظروا إلى أنفسكم لئلا نضيّع ما عملناه ، كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله ، ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الأب والابن جميعاً ، إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ، ولا تقولوا له سلام ، لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة (٢) .

ومن رسالته الثالثة :

كتبتُ إلى الكنيسة ولكن ديوتريفس لا يقبلنا ، ومن أجل ذلك إذا جئتُ فسأذكره بأعماله التي يعملها هاذرا علينا بأقوال خبيثة ، وإذ هو غير مكثف بهذه الأقوال لا يقبل أتباعنا ويمنعهم ويطردهم من الكنيسة (٣)

وبعد ، نريد أن ننقل إلى موضوع هام جداً ، هو :

(١) يوحنا الأولى ٦ : ١٨ وما بعدها .

(٢) يوحنا الثانية ٧ — ١١ .

(٣) يوحنا الثالثة ٩ — ١٠ .

ماذا عمل الحواريون ؟

ما هو موقف المسيحيين الحقيقيين ؟

ما هو هذا التعليم الذى حذر منه بولس ويوحنا ؟

ماذا كتب هؤلاء الذين قال عنهم يوحنا إنهم ينكرون الابن ولا يعترفون بألوهيته ؟

هل يمكن أن هؤلاء جميعاً لم يكتبوا شيئاً ؟ ولم يشرحوا آراءهم ولم يدافعوا عن اعتقاداتهم ؟

الإجابة التى هى يقين لا يحتل شكاً ، وعلم لا يحتل ظناً ، أن هؤلاء كتبوا وتكلموا وناضلوا ، وهذا واضح تمام الوضوح من كلام بولس ويوحنا . لكن أين ما كتبوه وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم ؟

الجواب أنه ليس فى أيدينا شيء ، فلا بد أن يكون قد ضاع ودُمّرت يد الطغيان والغوغاء فى العصور المظلمة كما دمرت إنجيل عيسى ، أو قتل إن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير ، وأخفاه ذووه وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية حيث تقرر أن يُختار الكتاب المقدس للمسيحيين فقدمه أصحابه للمجتمعين ، ولكن القائلين بالتوحيد وهم الأغلبية الساحقة بهذا المجمع غلبوا على أمرهم ، وانعقد المجمع بدونهم فى أقلية تقول بألوهية المسيح واتخذت قراراً بذلك كما سنرى فيما بعد وهؤلاء الذين قالوا بألوهية المسيح هم الذين اختاروا من بين الأناجيل والرسائل الموجودة ما لا يعارض هذا القرار ، وقضوا على سواها بالفناء كما سنرى عند الكلام عن الكتاب المقدس ، ولم يظهر لنا من الثروة التى قُضِيَّ عليها بالدمار إلا إنجيل برنابا ، وقد كُتِبَ فى القرن الثامن عشر ، وذكر برنابا أنه ألف إنجيله ليرد على الضلالات التى يذيعها بعض الناس ومنهم بولس ، وسيأتى حديث خاص عن برنابا وإنجيله فيما بعد .

ومرت حقبة من الزمن انهزمت فيها مبادئ عيسى وفنى حواريوه •
وضاع التراث الفكرى الذى خلفوه أو اختفى ، وتمّ النصر لأنكار
بولس أو رجح النصر ، وبخاصة عندما أيدت القوة الرومانية في مطلع
القرن الرابع هذا الاتجاه وحاربت ما سواه كما سيأتى شرحه ، ولكن
الحق كنه لم يختف ، بل ظل من حين إلى آخر يبرق فتغتنى العيون
التي تكره النور ، وأغلب الظن أن الحق سيكون له النصر في النهاية ،
وسيكون له الفوز في آخر المطاف • •

بولس ومصادر المسيحية :

سيأتى الحديث فيما بعد عن مصادر المسيحية ، ولكننا هنا نتحدث
عن علاقتها ببولس ، وهذه المصادر قسماً قسماً يُعرف بالأسفار
التاريخية وذلك يشمل الأناجيل التي وصفت حياة عيسى وتحدثت عن
معجزاته وعظاته كما يشمل كذلك رسالة أعمال الرسل التي وصفت حياة
الرسل بوجه عام وجهود بولس بوجه خاص ، وقسم يعرف بالأسفار
التعليمية وهو يشمل الرسائل الأخرى التي توضح تعاليم المسيحية
ومبادئها وشعائرها وقوانينها •

وهناك رأى هام سنوضحه عند الحديث عن هذه المصادر ، وإجماله
هنا أن هذه المصادر بقسميها من عمل بولس أو من عمل أتباعه وليست
الأسماء الموضوعه عليها إلا أسماء مستعارة غير حقيقية (١) •

وأحب هنا أن أتجه بدراستى اتجاهها هو إلى العلم أقرب منه إلى
الظن وعناصر هذا الاتجاه هي :

١ - الأناجيل والأبحاث التي تعارض اتجاه بولس فنيت إلى الأبد،
وفي قمتها إنجيل المسيح ثم ما كتبه الحواريون كما أشرنا سابقاً •

٢ — ما لم تظهر فيه معارضة لأفكار بولس كإنجيل متى وإنجيل مرقس حَفِظَ من أن يسلم إلى الفناء وليس مُسْتَبَعَدًا أنه دخله بعض التغيير من أنصار بولس بالحذف أو الزيادة وبخاصة عند ترجمته من الآرامية إلى لغات الأمم التي دعاها بولس للمسيحية .

٣ — أما إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا والرسائل فهي بولسية كلها أي منسوبة الى بولس وأتباعه بلا شك ، وإذا تذكرنا ما أوردناه آنفاً من التعاون الكامل بين بولس ولوقا ويوحنا أدركنا أن الجمهرة الساحقة من هذه المصادر من عمل بولس وتلاميذه ، فهناك إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا وهناك أربع عشرة رسالة من عمل بولس وثلاث من عمل يوحنا وهناك رؤيا يوحنا ورسالة أعمال الرسل وهي من وضع لوقا ونتيجة ذلك أن الجزء الأكبر — إن لم يكن الكل — من مصادر المسيحية ذو صلة كبيرة بقلم بولس وجنانه ، ومن وضعه أو من وضع مريديه .

بقي من المصادر رسالة هامة كتبها يعقوب ، وهي طراز وحدها ، وعجيب أن أفلقت من التدمير واستطاعت أن تأخذ مكانها في العهد الجديد ، والذي يقرأ هذه الرسالة يدرك أنه أمام أسلوب جديد وأفكار جديدة ، ليس بها حديث عن ألوهية المسيح ولا عن أنه نزل ليقدم نفسه فداءً لخطيئة البشر ، ولا أنه قام من الأموات وجلس على يمين أبيه ، ولا طَعَنَ في غيره من المسيحيين وإيعاز " بهم ، بل عظة هادئة ، وأمثال سهلة التناول دون صناعة أو زخرفة أو ثورة . ومن قول يعقوب نقتبس السطور التالية :

— لا يذم بعضكم بعضاً أيها الإخوة . الذي يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس ، واحد هو واضح الناموس القادر أن يخلِّص ويُهْلِك ، فمن أنت يا من تدين غيرك ؟

— هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غداً إلى هذه المدينة أو تلك وهناك نصف سنة واحدة ونتجر ونربح ، أنتم الذين لا تعرفون أمر

الغد ، لأنه ما هي حياتكم ؟ بخار يظهر قليلا ثم يضمحل ، عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذلك ، وأما الآن فإنكم تفتخرون في تعظيمكم ، كل افتخار مثل هذا رديء ، فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له (١) » .

تلك رسالة فريدة بين رسائل وأناجيل العهد الجديد ، وربما كان في أصولها الأولى معارضة واضحة لآراء بولس ، ولكن ذلك الشيء اختفى وبقي قائماً جانب الوعظ السلبي الهاديء .

والخلاصة الواضحة أن مصادر المسيحية الموجودة الآن هي أو أكثريتها الساحقة من عمل بولس أو من عمل مردييه ، وما سوى ذلك فقليل ، ويبدو أن يداً لعبت بذلك القليل فتركته لا يؤيد ولا يعارض كما رأينا في رسالة يعقوب وفي إنجيل متى .

بولس والتشريع في المسيحية :

قلنا آنفاً إن الرسائل تسمى « الأسفار التعليمية » وقد كتب بولس وحده أربع عشرة رسالة وهي وحدها تمثل في حجمها خمسة أسداس الرسائل جميعاً ، ويمكن القول دون تردد إن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في المسيحية ، وإن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته .

وعلى هذا لم يكتف بولس بأن يضع مبادئ المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة ، فهو الذي أوصى بما نراه اليوم في الكنائس من التسابيح والاعاني الروحية والمزامير والتراتيل (٢) وهو الذي يقول بعدم وجوب الختان ويدلل على ذلك بقوله

(١) رسالة يعقوب ٤ : ١١ — ١٧ .

(٢) انفسس ٥ : ١٩ .

« دُعِيَ أَحَدٌ وَهُوَ مَخْتُونٌ فَلَا يَصِيرُ أَغْلَفٌ ، وَدُعِيَ أَحَدٌ فِي الْغُرْلَةِ فَلَا يَخْتَتِنُ ، لَيْسَ الْخِتَانُ شَيْئاً وَلَيْسَتْ الْغُرْلَةُ شَيْئاً بَلْ حَفِظْ وَصَايَا الرَّبِّ (١) »
ويجيز بولس الزواج للأساقفة بقوله : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم
بعلاً امرأة واحدة ، وليكن الشمامسة كلُّ بعلاً امرأة واحدة (٢) ويتكلم
بولس عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة ، ويقرر
بوضوح أن الرجل أفضل من المرأة وأنها خلقت من أجله وفيها يلي بعض
فقرات من رسائله عن هذا الموضوع :

— أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة
فهو رجل ، ورأس المسيح هو الله ... الرجل لا ينبغي أن يغطى رأسه
لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فتغطي رأسها لأنها مجد الرجل ،
والرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ، لأن الرجل لم يخلق من أجل
المرأة بل المرأة من أجل الرجل (٣) .

— أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس
المرأة كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة ، أيها الرجال أحبوا نساءكم
كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها (٤) .

— لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل
يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ، ولكن إن كنَّ يتردن أن يتعلمن شيئاً
فليسلن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالمرأة أن تتكلم في الكنيسة (٥) .
وينهى بولس عن السرقة والزنا والكذب والسب والسفاهة والطمع
والهزل وعبادة الأوثان (٦) .

- (١) كورنثوس الأولى ٧ : ١٢ — ١٩ .
- (٢) تيموثاوس الأولى : الإصحاح الثالث .
- (٣) كورنثوس الأولى ١١ : ٣ — ١٠ .
- (٤) أفسس ٥ : ٢٢ — ٢٤ .
- (٥) كورنثوس الأولى ١٤ : ٣٤ — ٣٥ .
- (٦) اقرأ رسالته إلى الانبياء ٤ : ٢٥ — ٢٩ و ٣ : ٥ — ٥ .

وقيل أن نترك موقف بولس من التشريع نوضح أنه أحيانا كان ينسب آراءه إلى عيسى ، وكان أحيانا يعترف بأنه يشرِّع من عنده هو وبرأيه هو ، وفي ذلك يقول : « أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ألا تفارق المرأة زوجها ... وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب : وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأياً ... » (١) .

بولس والمسيحية :

وبعد هذه الدراسة الموجزة الشاملة نسأل أنفسنا سؤالاً مهماً هو : ماذا أراد بولس بالمسيحية ؟ لقد أحدث بولس في المسيحية أحداثاً خطيرة ، نقلها من ديانة إلى بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ، ونقلها من التوحيد إلى التثليث ، وقال بالوهية المسيح والوهية الروح القدس ، واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر ، وألغى المعالم التي نادى بها عيسى نفسه كالختان وعدم أكل لحم الخنزير ، وفي كلمة واحدة خلق ديناً جديداً كما سبق القول وسلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه ، وطمس بذلك الديانة المسيحية الحقيقية . لماذا كل هذا ؟ وماذا أراد بولس بالمسيحية ؟

يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته لمتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد ، سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسحها ، فهو قد دخلها في الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحاً يطعن بها ، ومثل هذا كثير في تاريخ الأديان ، وفي الإسلام كثيرون من هذا النوع من أشهرهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وأشعل فيه من الثورات ونشّر من المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظلّ يُعلن يهوديته ، ولكن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما عاشت ونمت أفكار بولس ، ذلك لأن القرآن كان محفوظاً ومكتوباً ، وهو خير حارس للإسلام ، أما إنجيل عيسى فضعاف بين طيات الأحداث ،

(١) كورنثوس الأولى الاصحاح السابع الفقرات ١٠ ، ١٢ ، ٢٥ .

فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي انزلها بها أعداء من الداخل وأعداء من الخارج ، فخرت مسيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس .

الفاتيكان يعترف :

والعجيب أن الفاتيكان يعترف إلى حد كبير بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها ، فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ بعنوان « المسيحية عقيدة وعمل » ما يلي :

كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحدیثی الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع (١) .

وذلك أمر يستدعي الدهشة فليس لإنسان أن يسمح لمؤمن أن يظل على ما كان عليه قبل الإيمان ، ولكن بولس لم يكن يهتم بالمسيحية ، وكان تشويها وتدميرها هدفا من أهدافه .

(١) المسيحية عقيدة وعمل نسخة الفاتيكان ص ٥٠ .

المسيحية في نظر المسيحيين

بعد هذا البيان الشامل الذي أوردناه عن بولس نستطيع أن نعود إلى أسس العقيدة المسيحية اليوم وهي :

١ — التثليث •

٢ — تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة—ه
التي ارتكبها أبو البشر •

٣ — أن الإله الأب ^(١) ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم،
فالإله الابن — لأنه حيناً ظهر بمظهر الإنسان — أقرب لفهم
بني الإنسان.

وهناك عبارة دقيقة للمؤرخ الشهير Wells تستنكر كل هذه المبادئ
وما سيأتى ذكره من شعائر ، وترى أنها جميعاً موضوعة ولا سند لها من
الأناجيل ، ويجدر بنا أن نورد عبارة Wells هنا لأنها مرتبطة بكل
المبادئ والشعائر ، ولنذكرها إجمالاً قبل أن نتحدث عن كل من هذه
المبادئ على حدة ، يقول Wells من العسير أن تجد أية كلمة تنسب
فعلاً إلى عيسى ذكر فيها مبادئ الكفارة ، أو الفداء ، أو حضّ فيها
أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني (٢) •

(١) الأب بمد الهزة في اللغة السريانية معناه الله ولكن النصارى
عندما ترجموا العهد الجديد للغة العربية ابقوا الـمـدة مع ان مقصودهم ما يقابل
الابن ، ولتصحيحها ينبغى ان تكتب من غير مد (اقرأ الانجيل والصايب لعبد
الاحد داود ص ٨ بالهامش) •

وسنطعى بعض التفاصيل عن أسس هذه العقيدة :

١ - التثليث في المسيحية :

نستريح القاريء العفو إذا صدرنا حديثنا عن التثليث بخرافة ننقلها من مسيحي واسع الاطلاع ، مفروض فيه عمق الفكر ودقة التعبير ولكنها موضوعات المسيحية يزل فيها كل مسيحي يريد أن يتمسك بها ويعلل لها ، والاقْتَباس الذى ننقله فيما يلى هو حديث عن « سر الثالث » وهاك نصه :

« من الناس مَنْ يقولون : لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أليس في تعدد الأقانيم انتقاص لِقَدْرِ الله ؟ وأليس من الأفضل أن يقال : الله أحد وحسب ؟

« لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة (يوحنا الأولى ٤ : ١٦) ولا يمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون الله سعيداً ، فالمحبة هى مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهى إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان ، وتفترض مع ذلك وحدة تامّة بينهما . وليكون الله سعيداً — ولا معنى لإله غير سعيد وإلا انتفتت عنه الألوهية — كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغبته ، ويكون بالتالى صورة ناطقة له ، ولهذا وكَدَّ اللهُ الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته ، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغبته ، وبادل الابن الأب هذه المحبة ووجد فيه هو أيضاً سعادته ومنتهى رغبته . وثمره هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس . هو الحب إذا يجعل الله ثلوثاً وواحداً معاً .

« ولا يصح أن يكون هذا الكائن الذى حبس اللهُ الأب محبته عليه إلا الابن ، ولو كان غير الابن ، ولم يكن خليفة محدودة ، بشراً أو ملاكاً

واحدة ، قد يكون ذلك هو الطبيعي ، ولكن الواقع غير ذلك ، الواقع أن التثليث كجملة ظهر أولاً عند المسيحيين ، أخذوه من الثقافات المحيطة بهم ، تلك الثقافات التي أثرت على مسيحية بولس ونقلتها - كما سيأتى - إلى عبادة ثالوث مقدس ، فأصبحت هذه الحقيقة مسلماً بها ، وأصبح الاتجاه العام وبخاصة بين الجماهير هو الإيمان بثالوث مقدس قريب الشبه بالثالوث الذى كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا المسيحية .

ولكن الإيمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة ، تلك هى محاولة التوفيق بين الوحدانية التى هى سمة الأديان السماوية ، والتى قالت بها التوراة بصراحة وبين القول بعبادة الثالوث ، وحينئذ جدّ جدّهم ، وجندوا جنودهم ، وأعملوا عقولهم وقالوا كلاماً يوفّقون به بين الوحدانية والتثليث ، لكنهم عندما قالوا ذلك لم يكونوا يقنعون به ، وصرحوا بعدم اقتناعهم أحياناً كما سيأتى . ولكن على كل حال لم يكن بد من الاستمرار فى القول بالتثليث وافق العقل أو لم يوافقه . وعندما ثبت القول بالتثليث بدأت المرحلة الثانية ، مرحلة البحث عن أفراد هذا الثالوث .

وكان من اللازم - فى البحث عن هذا الثالوث - أن يكون الله جل جلاله الإله الأول فى هذا الثالوث ، ذلك لأن المسيحية ديانة سماوية الأصل وهى وليدة اليهودية ، والتوراة كتاب مقدس عند المسيحيين وهى تقول بالوحدانية وقد أشاد عيسى بالله وأفاض فى الثناء عليه وكل هذا جعل من اللازم الاعتراف بالله ، وبدأ المسيحيون بعد هذا يبحثون عن الإلهين الآخرين ، فقالوا بألوهية المسيح فأصبح ثانى الآلهة ، ثم قالوا بألوهية الروح القدس لأنهم كانوا يريدون أن يدعوا الصلة بالله وتلقّى العلم منه ، فقالوا بألوهية الروح القدس ، وأنه ينزل عليهم ويمتلئون به ، ويعرفون بواسطته مالا يعرف البشر ، فأصبح الروح القدس بذلك ثالث الآلهة ، وتم بذلك الثالوث الذى يريدون .

وسنتبع في دراستنا نفس الخطوات التاريخية التي مرَّ بها المسيحيون للأخذ بهذه العقيدة فننتكلم أولاً عن عقيدة التثليث ومحاولتهم إثباتها ، ثم نتتبَّعهم وهم يبحثون عن أفراد هذا الثالوث، فيحاولون إثبات ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .

تعدد الالهة وعقيدة التثليث :

أما موضوع تعدد الآلهة فموضوع يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة ، قال به المصريون القدماء ، وقال به الأشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان على اختلاف في عدد الآلهة ومكانتهم واختلاف في تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض ، أو صلتهم بالبشر (١) .

أما التثليث فلعله كان تحديداً لهذا التعدد الذي بثُلغ فيه أحياناً ، ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال ، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ والتي لا يزال لها بقايا في عالمنا الحاضر (٢) وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به ، ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية ، وتُسجد لهما الجماهير ، وينجب الزوجان ، ثم يعيّن البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد . فتسجد له الجماهير أيضاً ، ويتم بذلك الثالوث .

تلك هي الفكرة الأولى للتثليث ، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة ، وأصبح الثالوث معبوداً معروفاً لكثير من الأمم .

ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث وذلك في الألف الرابع قبل

(١) انظر تاريخ الفلسفة للدكتور إبراهيم مدكور ص ٦ — ١٩ .

(٢) انظر الابطال وعبادة البطولة لكارليل في أمكنة متعددة .

الميلاد ، فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة ، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً أى جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر ، كل مجموعة ثلاثة ، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون هذه المجموعة من إله السماء ، وإله الأرض ، وإله البحر ، أما المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع ... (١)

وبينما كان البابليون يقولون بالتثليث كان المصريون والإسرائيليون - والطائفتان أعرق في الحضارة الدينية من البابليين - يقولون بالتوحيد (٢) ومن نشيد آمون : « الإله الجليل سيد الآلهة أجمعين ، الإله الأكبر الذى يحيا بالحق ، الواحد الفرد الذى صنع كل ما هو موجود » *

ووقفت حضارات أخرى أقدم جداً من المسيحية بين بين ، بين التعدد الذى قال به البابليون وبين التوحيد الذى قال به المصريون والإسرائيليون فظهرت بدعة التعدد في وحدة والوحدة في تعدد ، وقد قال بها الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام ، فقد كان عندهم « براهما » و « فشنو » و « سيفا » وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد أو كانوا يعدون « براهما » إليها واحداً له ثلاثة أقانيم ، فهو « براهما » من حيث هو موجود ، وهو « فشنو » من حيث هو حافظ ، وهو « سيفا » من حيث هو مهلك (٣) *

واتجهت مدرسة الإسكندرية نفس الاتجاه ، يقول Wells : وبعد الفتح الإغريقي أصبحت مدينة الإسكندرية الجديدة مركزاً لحياة مصر الدينية ، بل أصبحت في الحق مركز الحياة الدينية للعالم الهليني كافة ،

(١) الدكتور ابراهيم مذكور : تاريخ الفلسفة ص ٦ .
(٢) القول بالتوحيد هنا لا يتناقض مع ما ذكرناه عن المصريين من قبل من القول بتعدد الآلهة ، إذ أن هناك تعدداً ولكن هناك كبير الآلهة ،
(٣) أدريان الهدل الكبرى للمؤلف ص ٤٨ .

فأقام بطليموس الأول معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم كان يُعبد فيه نوع ما من ثالوث الأرباب مكون من أوزيريس وإيزيس وحورس ، ولم يكن الناس يعدّونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاثاً لإله واحد (١) .

عودة الى التثليث في المسيحية :

لقد سرّنا مع عقيدة التثليث منذ العهد البدائي ، منذ عبادة الأبطال حتى مدرسة الإسكندرية التي قامت عقب إنشاء مدينة الإسكندرية سنة ٣٣١ ق م وورثت حضارات مختلفة وقام بها علماء مصريون وساميون ويونان ورومان ، وعرفت اليهودية طريقها إليها ، كما انسابت إليها أفكار وثنية كثيرة ، وقد استمرت المدرسة تباشر مكانتها الثقافية حتى ميلاد المسيح وبعد ميلاد المسيح ، ومن أشهر علمائها « أفلوطين ٢٠٥ — ٢٧٠ م » وعلى يده كان تجديد مذهب أفلاطون حتى عُرف مذهب أفلاطون بالأفلاطونية الحديثة ، وخالصة مذهب أفلوطين أن في قمة الوجود ، يوجد « الواحد » أو « الأول » وهو جوهر كامل فياض ، وفيه يحدث شيئاً غيره هو « العقل » وهو شبيه به وهو كذلك مبدأ الوجود ، وهو يفيض بدوره فيحدث صورة منه هي « النفس » وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر (١) . أو بعبارة سهلة موجزة ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة : (الواحد — العقل — النفس) .

كيف انتقلت هذه الأفكار إلى المسيحية ؟

الجواب على ذلك سهل يسير ، فقد مرت بالمسيحية عهدٌ ضعف واضطهاد تحدثنا عنها فيما سبق ، وطبيعة هذه الهزائم أضعفت المقاومة ، وقضت أن يستتر المسيحيون ، أو على الأقل يكتموا تدينتهم بين اضلاعهم فلا يعرفه أحد ، وامتد الاضطهاد إلى إنجيل عيسى فالتهمة وقضى عليه ،

(١) الدكتور ابراهيم مذكور : تاريخ الفلسفة ص ٦٥ .

وهكذا فقدت المسيحية كثيراً من رجالها في قمتهم المسيح نفسه ، وفقدت أكثر مراجعها الأصلية ، فأصبح مصدر المسيحية واهناً أو معدوماً .

ودخل بولس المسيحية كما سبق وكان عارفاً بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية ووجد بولس الميدان خالياً ، واستخف الطرب بعض المسيحيين لأن بولس عدو المسيحية اللدود قد انتسب إليها ، وبدأ بولس يضع البذور التي نقل بها المسيحية من الوحدانية إلى التثليث (١) ووافقت فكرة التثليث الجماهير ، وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها ، ومن الوثنية لبدائيتها ، فوجدت في الدين الجديد ملجأً لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم .

ولم يفتك هذا الباب بعد بولس بل ظل مفتوحاً ، واستطاع بعض أتباع بولس أن يصيروا من آباء الكنيسة وذوى الرأي فيها . وتم امتزاج تقريبا بين آراء مدرسة الإسكندرية وبين المسيحية الجديدة ، ويقول ليون جوتييه Gauthier : « إن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية ، فاللاهوت المسيحي مقتبس من المعين الذي صبغت فيه الأفلاطونية الحديثة ، ولذا نجد بينهما مشابهاً كثيرة (٢) .

والآن بعد القول بالثالث بقي على المسيحيين أن يجدوا حلاً للأمر الآتية :

- ١ - ما الطريق للتوفيق بين التوراة التي تقول بالوحدانية والتي يقدسها المسيحيون ، وبين التثليث الذي اعتنقه المسيحيون ؟
- ٢ - ما وظيفة كل من أفراد هذا الثالث ؟

(١) انظر أعمال الرسل الاصحاح التاسع .

(٢) المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية من ٩٣ .

٣ — كيف يتم فهم « وحدة في تثليث ، وتثليث في وحدة ؟ »

٤ — يقولون الابن مولود غير مخلوق ، والابن ليس أحدث من الأب . فما معنى هذا ؟

لقد حاولتُ جهدي أن أصل إلى جواب لهذه الأسئلة عن طريق القراءة أو المحادثة مع المسيحيين ، ولكنى أقرر أنني لم أستطع فهم إجاباتهم ، بل صرح كثير منهم — كما سيرد في كتاباتهم — أن هذه المسائل مسائل اعتقاد لا فهم . فاعتزضت بأنها مسائل أساسية ، وهي المدخل للدين فكيف لا تفهم ؟ ولكنى لم أتلق جواباً على اعتراضى ، واتبع بعضهم التعبيرات الإنشائية التى لا توضح مقصوداً . كقول بعضهم « المحبة السرية التى بين المسيح والله » وقول الآخر « كل ثروات اللولاء والتعبد اخترنت في فكر يسوع المسيح عوناً على فهم حقيقة الله . . . » وغير ذلك مما سيرد فيما بعد ، ولذلك فمن الخير أن أنقل للقارئ هذه الأقوال كاملة ليرى فيها رأيه :

١ — يقول الدكتور يوسف بوست في قاموس الكتاب المقدس (١) : طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فإلى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير ، غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الالهية على السواء .

٢ — ويقول William Patoun ، إذا أردنا أن نفهم طبيعة الله في المسيحية ، فهناك نراه : الله الذى عاش معه يسوع في صلة وثيقة لا تتقصر عراها ، صلة الابن بالأب ، وكل ثروات اللولاء والتعبد التى خلفها كتاب العهد القديم ، كلها اخترنت في فكر يسوع المسيح عوناً لنا على فهم حقيقة الله ، فهو الإله الذى تفوق قداسته كل تصورات الإنسان

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٦ .

عيناه أظهرنا من أن قريبا الشر ، هو خالق البشر والمسيطر على العالم ، هو الأب ، ويحمل هذا اللقب كل معاني العطف والمودة والحنان .

• • • • •

ويسوع يعلن الأب لا في كلمات ينطق بها فقط ، بل في حياته وشخصه وبينه وبين الأب علاقة سترية متينة الأواصر لم يستطع تلاميذه أن ينتقصوا إلى مكنوناتها « أنا في الاب والأب في » ، ومن رأى فقد رأى الأب « فإن رمنا أن تعرف طبيعة الله ، على قدر ما يستطيع الإنسان أن يعرف ، فلا نذحكة عن الرجوع إلى شخص يسوع (١) .

٣ - ويقول القس بولس سباط في ذلك ما يلي : يرى النصارى أن البارئ تعالى بجوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، وله ثلاث خواص ذاتية كثف المسيح عنها القنصاع وهي الأب والابن وروح القدس ، ويشيرون بالجوهر الذي يسمونه البارئ ذا العقل المجرد إلى الأب ، وبالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته (أى الذى يعقل ذاته) إلى الابن ، وبالجوهر عينه الذى يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى زوج القدس ، ويريدون بالجوهر ما قام بنفسه مستغنياً عن الظرف (٢) .

٤ - ويقول القس ابراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا (٣) : يطيق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد « بابن العلى أو ابن الله » فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله ، وإلا لقليل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله ، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث

(١) أديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعيد من ١٠٤ و ١٠٨ .
(٢) المشرع ص ١٣ - ١٤ .
(٣) تفسير بشارة لوقا ص ٦٩ - ٧٠ .

الكبير والصغر ولا الزمنية ولا الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله ، وهى محبة متبادلة ، وما المحبة التي بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها ، ويراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذى حاز رضا الله وأطاع وصاياه ، فقبل الموت ، موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : هذا ابنى الحبيب الذى به سررت ، له اسمعوا . وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لأنه تمم إرادة الله فى الفداء . ويراد بها إظهار التشابه والتماثل فى الذات وفى الصفات وفى الجوهر ، كما يكون بين الأب والابن الطبيعيين ، فقليل عن المسيح إنه بهاء الله ورسم جوهره ، وقال هو عن نفسه من رأى فقد رأى الآب ، أنا والآب واحد ، ويراد بها دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شئ الذى منه وبه وله كل الأشياء ، وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون إدراكها العقل .

— ويقول القس بوطر (١) موضحا الثالث ومبيناً لماذا لم يظهر بوضوح الابن وروح القدس فى التوراة ولا قال بهما اليهود : بعد ما خلق الله العالم ، وتوَجَّ خليقته بالانسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدايته ، كما يتبين ذلك من التوراة ، على أن المذقق لا يزال يرى بين سطورها إشارات وراء الوجدانية ، لأنك إذا قرأت فيها بامعان تجد هذه العبارات : « كلمة الله ، أو حكمة الله ، أو روح القدس » ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعانى لأنه لم يكن قد آن الوقت المعين الذى قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة فى ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم فى اللاهوت . . . ثم لما جاء المسيح إلى العالم أَرانا بتعاليمه وأعماله المدونة فى الإنجيل

أن له نسبة أزلية سرية الى الله تفوق الإدراك ، فهو مسمى في أسفار اليهود « كلمة الله » وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة ، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحا ، ليسكن بين المؤمنين وقد تبين أن بهذا الروح أيضاً نسبة أزلية إلى الله فائقة كما للابن ويسمى الروح القدس ، وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمى بكلمة الله والمسمى بروح الله في نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران في الإنجيل ، فما لمحت به التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح ، وإن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم (١) ، وكل من أثار الله ذهنه وفتح قلبه في فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر « الكلمة » بمجرد أمر من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر « الروح » بالقوى التأثيرية ، بل لابد له أن يعلم أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوية في الكمالات الإلهية ، ومتميزة في الاسم والعمل ، والكلمة والروح القدس اثنان منها ، ويدعى الأقتنوم الأول الأب ، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأثياء ومرجعها ، وأن نسبته للكلمة ليست صورية ، بل شخصية حقيقية ، ويمثل للأفهام محبته القائمة وحكمته الرائعة ، ويدعى الأقتنوم الثانى الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعى أيضاً الابن ، لأنه يمثل للعقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشورته ، وللتمييز بين نسبته هو إلى أبيه ونسبة كل الأثياء إليه ، ويدعى الأقتنوم الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه وبين الأب والابن ، وعلى عمله في

(١) يرد السيد عبد الاحد داود على دعوى أن الوحدة لاتنافى التثليث بقوله : تدعى الكنيسة أن الثالوث لم يتشكل من ثلاثة آلهة ، ولكنها ما دامت تعترف بوجود نسبة بين الاقانيم ، وأن لكل منها صفات وواجبات ليست للآخرين فمعنى هذا هو التغاير وعدم الكمال لكل منها وحده ، وصفة النقص هذه تنافى الالهوية (لنظر الانجيل والصليب ص ٩) .

أرواح البشر ، وحثهم على طاعته ، وبناء على ما تقدم يظهر جليا
عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ إلى ولادة بشرية ، ولكنها
سريّة فائقة بين أقنوم وآخر في اللاهوت الواحد ، وإذا أراد أن
من تلك النسبة لم تكن هناك عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة
حدة في الذات ، والإبانة للمشورة الإلهية ، وأما من حيث الولادة
رية فالله منزّه عنها ، ولأجل هذه الإيضاحات الجليّة علم خدام
المسيحي واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن في
ثلاثة أقانيم حسب نص الكلمة الأزلية ، ولكل منها عمل خاص
بشـر .

ويختم هذا المؤلف شرحه لعقيدة التثليث بقوله : قد فهمنا ذلك على
طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل حين
يسف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض ، وأما في
الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية .

وذلك اعتراف هام من المؤلف بأن العقيدة لا يمكن فهمها على نطاق
من هذا ، وهو ينتظر يوم الكشف عن البصائر ليتمكن للبصيرة التي
سف عنها أن تدرك هذا الاعتقاد وتستسيغه ، ونحن ننتظر معه ،
كنا نعتقد أن هذا اليوم لن يجيء ، وأنى يجيء يوم تلتقى فيه
عدانية بالتثليث وتصبح فلسفة الإغريق ديناً يدعى أنه نزل من
سد الله ؟

والذي قال به القس بوطر قال به أيضا الدكتور الخوري جرجس
رج ، وألفاظه هي :

لا تقل في قلبك كيف يمكن أن يتجسد الله ويصير إنسانا ، فدع ذلك
من شأنه الخاص (١) .

(١) شرح رسالة القديس بولس الى اهل رومية ص ١٣٩ .

ويقول القس وهيب عطا الله : إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً (١) .

* * *

وبعد ، لقد رأى القارىء الصعوبات الجمة التى نجمت عن القول بالتثليث ، وقد حاول المسيحيون — دون نتيجة — أن يجدوا لها حلاً ، وقد طرقت حلول كثيرة نعود إلى إيجازها فيما يلى :

١ — التوفيق بين التوحيد فى التوراة والتثليث عندهم ، فقالوا إن التثليث موجود فى التوراة ولكنه غير واضح فوضحه العهد الجديد . وجادلوا أن يدللوا على ذلك كما رأيت آنفاً فى كلام القس بوطر . وأحياناً كانوا يدركون أن ما فى التوراة لا يساعدهم على القول بالتثليث وأن مثل ما قال به القس بوطر ظاهر الصنعة ، فكانوا يلجئون الى طريق آخر يوضحه لنا حبيب سعيد بقوله : قد يقال : هل فى نظر المسيحية شئ ما يعدو حدود العهد القديم ، أى دين اليهودية ؟ وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد وجواب جد خطير ألا وهو أننا فى الواقع نشرح العهد القديم فى ضوء العهد الجديد (٢) . وهو بهذا كما ترى يحتّم أن يوجّه العهد القديم وجهة العهد الجديد ، أو قل يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً .

٢ — عكس الحل السابق بأن حاولوا التوفيق بين التثليث عندهم والتوحيد فى التوراة ، فكانهم سلموا بالتوحيد وراحوا يخضعون اعتقادهم له ، ومن أجل هذا ابتدعوا قولهم « تثليث فى وحدة » وفى ذلك يقول

(١) طبيعة السيد المسيح ص ١٨ .

(٢) أديان العالم الكبرى ص ١٠٧ .

يوحنا في رسالته الأولى : « إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد (١) .

٣ - الطريق الثالث الذي لجئوا إليه هو إعلان عدم خضوع مثل هذا الاعتقاد إلى العقل ، فقالوا إن هذا شيء يجب الإيمان به واعتقاده أولاً ، وبعد ذلك يجتهد المسيحي في فهم ما اعتقد ، كما قال بذلك القديس انسلم . ويقول حبيب سعيد . إن الإنسان لن يبلغ هذا الإيمان عن طريق المطارحات النظرية ، بل بإلهام من الله وإعلان منه (٢) .

٤ - وقد اهتدى قليل منهم إلى الحل الصحيح وهو القول بالتوحيد الخالص وترك القول بالتثليث . وقد كان لهذا الرأي أتباع من المسيحيين على مدى العصور وفي مختلف البلاد . ومن هؤلاء برنابا وهو من الحواريين وأريوس المصري (٣٣٦) وسرفيتوس الأسباني (١٥٥٣) ومن مشاهير الإنجليز نذكر تشبري (Cherbury) المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر وغير هؤلاء مئات أو آلاف من المفكرين المسيحيين ظهوروا في مختلف الأزمنة والأمكنة ، ولكن صيحة هؤلاء لم تتغلب على ضجيج الكنيسة وقديسياتها ، ولم تصل إلى قلوب العامة والجماهير .

على أن القول بتثليث في وحدة أي ياله واحد له أقانيم ثلاثة يقود إلى مشكلة أخرى ، هي : كيف خرج أحد هذه الأقانيم الثلاثة ودخل رحم مريم ثم امتزج بالناسوت وأصبح إنساناً في مظهره ؟ ألا يدل ذلك على تعدد ظاهر ؟ لأن معبود النصارى لو كان واحداً له أقانيم ثلاثة لما أمكن خروج أحد هذه الأقانيم وحده ونزوله إلى الأرض . . . ولقد أدرك القس بولس سباط هذا الاعتراض فراح يقرر أن هذا الأقنوم مع نزوله

(١) رسالة يوحنا الأولى : ٧ ، ٥ .

(٢) أديان العالم الكبرى ص ١٠٦ .

إلى الأرض ظل أقنوماً يمثل جانباً في الإله الواحد ولم ينفصل عنه حتى بعد اتحاداه بالناسوت (١) . وعندى أنه كلام يصعب الاقتناع به .

الوهية المسيح ومؤتمر نيقية :

بقي أن نسأل : متى بدأ اعتبار عيسى إلهاً ؟ ومتى بدأ اعتبار روح القدس إلهاً ؟

وقد سبق أن أوردنا إجابة عن السؤال الأول فيما اقتبسناه من كلام Wells & Berry وغيرهما ، ولكننا ونحن بصدد إيضاح شامل لهذه المسألة نعود إلى Wells مرة أخرى فنورد عبارته كاملة عن هذا الموضوع . يقول H. G. Wells « كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس ، وكان اسم بولس في الأصل شاول ، وكان في بادئ الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ، ثم اعتنق المسيحية فجأة ، وغير اسمه فجعله بولس ، وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم ، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها ، وهي فكرة « ملكوت السموات » ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط ، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر . »

فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية .

• • • • •

(١) اقرا المشرع ص ٤٠ - ٤١ .

« وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالقسيس الحليق ، وتقديم النذور ، والهياكل والشموع والتراتيل والتماثيل التي كانت لعقائد متراس والإسكندرية ، بل تبنّت أيضاً حتى عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوتية •

« وراح القديس بولس يُقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة للذهاب إلى أن شأن عيسى كثنان أوزوريس : كان ربا مات ليعث حيا وليمنح الناس الخلود (١) » •

وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضا خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة التي سبق أن تحدثنا عنها ، تلك الاضطهادات التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون (حتى سنة ٣١٣) وفي خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت الى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تناقض ظاهر في كل تعاليمها ، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه ، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل ، وراه آخرون إلها ، واثبتت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية •

تدخل قسطنطين وصيحة أريوس :

وهنا جمع قسطنطين إمبراطور الروم البطاركة والاساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية Nicea سنة ٣٢٥ ليضع حداً لهذه الاختلافات ، وليقرر حقيقة المسيح ، وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨ وفي هذا الاجتماع صاح عالم مصرى اسمه أريوس صيحته التي كان يرددتها دائماً : « إن

الأب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن»
أما كنيسة الإسكندرية — والإسكندرية عريقة التأثر بالتفكير المصرى
القديم وبالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث
— فقد قاومت أريوس ، وانضم الى كنيسة الإسكندرية كنيسة روما ،
واختلف المجتمعون وتضاربوا ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار (١) ،
« فقرر الإمبراطور أن يفصل فى الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبنى
رأى صديقه الممثل الدينى للغرب « كاهن روما » فأصدر أمره بإخراج
الرؤساء الروحانيين الموحدين ، ونفى الكثيرين منهم ، وقتل أريوس مع
بعض من أيدوا رأيه ، واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبالوهية المسيح
وعددهم ٣١٨ ، فاتخذوا قرارا بذلك ، وعند كتابة نص القرار اعترض
أكثرهم على عبارات المساواة بين الأب والابن ولكنهم خافوا أن ينزل
بهم ما نزل بمعارضى التثليث ، فوضعوإمضاءاتهم على هذه
الوثيقة (٢) » .

وفيما يلى نص هذا القرار :

نؤمن بالله الواحد ، الأب ، مالك كل شيء ، وصانع ما يثرى
وما لا يثرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الواحد ، بكر
الخلايق كلها ، الذى وُلد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ،
إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل
شئ . من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من
السماء وتجسد من روح القدس ، وحُبل به وولد من مريم البتول . . .
وصُلب أيام بيلاطوس ، ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى

(١) يتساءل السيد عبد الاحد داود : لماذا لم ينزل الروح القدس على
المجتمعين فيهدبهم سواء السبيل ؟ فقد ادعى كاتب رسالة أعمال الرسل أن
روح القدس نزل وينزل على الاباء الروحيين كلما حُزب امر (الانجيل
والصليب ص ٢٠) .

(٢) الانجيل والصليب ص ٢٠ — ٢١ .

السما ، وجلس عن يمين أبيه (١) ، ويضيف القرار ما يلي للتوضيح والتحذير :

* والجامعة المقدسة الكنسية الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء • أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول إنه قابل للتغيير (٢) •

وهكذا تدخلت القوة فخلقت هذا القرار الذي اتخذته أقلية المجتمعين ولم تكف القوة بذلك بل فرضت هذا القرار فرضاً على الناس وحرمت كل ما سواه ، وحرمت على الناس الحديث بما يخالفه ، وصادرت وأفنت كل ما كتب متجها غير هذا الاتجاه ، وتعدت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم عن مكان الرياسة ، ومعاقبتهم بالنفى والتشريد عند اللزوم •

وكان هذا العام (٣٢٥) أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بالوهية المسيح ، ولكن القائلين بالتوحيد لم يهدعوا على الرغم مما لاقوا من عنف ، فنجدهم كما يروى ذلك ابن البطريق يعقدون مجمعا إقليميا في صبور وقد حضره بطريرك الإسكندرية ، ووجد نفسه الوحيد بين المجتمعين الذي يعتقد بالوهية المسيح ويدافع عنها ، وقد استند الخلاف بينه وبين الحاضرين ، وانتقل الخلاف من القول إلى الفعل فاعتدوا عليه بالضرب الشديد وكادوا يقتلونه •

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة بحق : إن بطارقة الإسكندرية كانوا يمثلون فلسفة الإسكندرية أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح وهذا هو

(١) الشهرستاني . الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٤ .
(٢) Pengajaran Geredja Kathotlk p. 92. وتاريخ الاقباط

مفتاح التاريخ الصحيح (١) ونضيف أن القوة أيدت كنيسة الإسكندرية وعسفت بأعدائها ، فضعفوا بمرور الزمن وكثرة التضحيات •

أسس تأليه المسيح :

وقبل أن نترك ألوهية المسيح يجب أن نعرف للأسس التي جعلتهم يتخذون هذا القرار الخطير •

وقد سبق أن أجبنا عن هذا السؤال وبيننا أن الفلسفة الإغريقية وجدت طريقها إلى المسيحية وبخاصة في عهود ضعفها ، وكانت هذه الفلسفة من أهم العوامل التي أدت إلى رسم هذه الصورة للمسيح ، ولكن القسس المسيحيين لا يعترفون بذلك بطبيعة الحال ، وربما لا يعتقدونه ، ويرون أن الأسس التي أدت إلى اتخاذ هذا القرار الخطير الذي قضى بألوهية المسيح هي ما ورد في كتبهم المقدسة ، وتبيننا لذلك نسوق بعض آيات من الأناجيل المعتبرة عندهم والتي اعتبروها مرجعا للمقول بألوهية المسيح ، فمن ذلك :

• ما رواه متى عن الله : هذا هو ابني الحبيب به سررت (٢) •

وقول يوحنا في وصف المسيح : في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ••• وكان الكلمة الله كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان • والكلمة صار جسدا ، وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا (٣) •

ويروى متى : أن رئيس الكهنة سأل المسيح مرة وقال له : استحلحك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ فأجابه المسيح أنا هو (٤) •

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٢١ •

(٢) متى ٣ : ١٧ •

(٣) يوحنا ١ : ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٤ •

(٤) متى ٢٦ : ٦٢ •

وفي أعمال الرسل أن فيليبس أحد الحواريين كان يسير مع خصي
فمراً بماء فطلب الخصي من فيليبس أن يعمّده فقال فيليبس إن كنت
تؤمن من كل قلبك عمدتك • فقال الخصي : أنا أومن من أن يسوع هو
ابن الله ، فعمّده فيليبس (١) •

مناقشة هذه الأسس وردّها :

تلك هي أدلة القوم لهذا الموضوع الخطير ، وهي أدلة كما ترى
متداعية ومناقشتها لا تحتاج الى جهد ، فلنمض في مناقشتها على
النسق الآتى :

أولاً - أبان الكاتب الكبير Kalthoff أن الاعتقاد بألوهية المسيح
سبق كتابة الأناجيل ، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل
بعيد عن الصواب ، يقول Kalthoff :

إن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر
واحد من الأناجيل ، وإن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية
(الميتافيزيقية) التي كانت ذات سيطرة ، وكانت آراؤها شائعة ، وتكاد
تكون عامة أو عالمية (٢) •

ثانياً - يثبت Pllicederer المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهية
المسيح فيقول : إن معالم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأخبار ، والخيال
الشرقي ، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها ، ومن هذه الأصباغ
جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد ، وكل ما يمكن تقريره
دون تردد هو أن تصور المسيح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية في
عهدا الأول كما كان هدف دعائها (٣) •

(١) أعمال ٨ : ٢٦ - ٢٧ •

(٢) Der Brewer Radikalismus p. 101.

(٣) The Early Christian Conception of Christ p. 6.

ثالثا — إن ما يرويه متى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلا على مثل هذا الأمر الخطير ، وخاصة إذا اتضح لنا أن هذه الأناجيل من صنع هؤلاء أو قل إنها على الأقل من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت لهم ، لأن الصلة بين إنجيل عيسى وهذه الأناجيل مقطوعة ، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً ، وسيأتى مزيد من الإيضاح لذلك عند الكلام على الأناجيل .

رابعا — إن كلمة ابن الله ، أو قول الله تعالى : هذا ابني الحبيب ، لو صح هذا أو ذلك لما كان دليلا على ألوهية المسيح فإنه استعمال مجازى معناه التكريم . وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : الفقراء عيالى .

ويقول H. D. A. Maier مدير Ripon Hall, Oxford ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدّع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية ، ولا من الناحية الفكرية العقلية ، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به ، والاعتماد عليه ، والحاجة إليه (١) .

خامسا — ورد في الأناجيل عدة مرات على لسان عيسى عليه السلام قوله عن نفسه : « ابن الانسان » فكيف يعد إليها مع هذا التعبير الثابت عن بشريته ونسبته .

سادسا — وردت في هذه الأناجيل عبارات كثيرة تقرّر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول ، وإليك بعض هذه العبارات .

يروى متى عن عيسى قوله : إن أباكم واحد الذى فى السموات (إصحاح ٢٣ الفقرة ٨) .

ويروى مرقس قول عيسى : الرب إلهنا إله واحد • وليس آخر
سواه (١٢ : ٣٠ - ٣١) •

وجاء في إنجيل متى : هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل
(إصحاح ٢١ الفقرة ١١) •

• وجاء في إنجيل لوقا : قد خرج فينا نبي عظيم (٧ : ١٦) •

• ويروى لوقا عن عيسى قوله : لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم •
يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين (١٣ : ٢٣) •

• ويروى يوحنا : إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم (٦ : ١٤
و٧ : ٤٠) •

• ويروى يوحنا عن عيسى : وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته
من الله (٨ : ٤٠) •

• ويروى يوحنا كذلك عن عيسى : إني أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى
وإلهكم • (٢٠ : ١٨) •

• وفى رسالة أعمال الرسل : أن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى
سيقيمكم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم ، وكل
نفس لا تسمع لذلك النبي تتباد من الشعب وجميع الأنبياء أيضاً من
صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا ، سبقوا وأنبتوا بهذه الأيام
(٣ : ٢٢ - ٢٣) •

• سابعا — إن بولس استعمل هذا التركيب « ابنى الحبيب »
استعمالاً مجازياً كذلك • فقد ورد فى رسالة كورنثوس الأولى قول بولس
عن تيموثاوس : أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب (١) •

(١) كورنثوس الأولى ٤ : ١٦ •

ثامنا — يقول Harnack ما يلي عن شخصية المسيح (١) : ووصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء ، وأن خضوعه له تام ، ويُدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلنا أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله وفيما يلي كلمات Harnack نفسها :

Christ Described the Lord of Heaven and Earth as His God and Father, as the Greater, as the only God. In all things he is Dependent on and Submissive to God; and over against His God even includes himself among other men (2).

تاسعا — ورد في دائرة المعارف البريطانية ما نصه : ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، وكان قائما بنسبه العادي ابنا لمريم منسوبا من جهة الأب إلى يوسف النجار (٣) .

عاشرا — نشرت جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٩٦٦ وثيقة دينية اكتشفت حديثا ، وقد جاء فيها ما ترجمته : تعتقد المسيحية أن عيسى ابن الله المقدس ، ولكن مؤرخى الكنيسة يسلمون بأن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبنى إسرائيل .

مرة أخرى نعود إلى ما سبق أن أجبنا به من أن فلسفة مدرسة الإسكندرية وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا المسيحيين إلى القول بالوهية المسيح أو القول بتعدد الآلهة ، ويؤكد Harnack أن تعدد الآلهة هو « من عمل أتباع المسيح وهو بعيد كل البعد عن عمل المسيح وقوله (٤) ويقول السيد محمود أبو الفضل : إن الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون

What is Christianity p. 126. (١)

What is Christianity p. 126. (٢)

Encyclopaedic Britannica Vol. 5. p. 636. (٣)

What is Christianity p. 160. (٤)

في عهدهم الأول دفعهم إلى الهجرة ، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية فأخذوا عن مدرستها ورحل البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية : ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة (١) .

وهناك دليل عجيب على ألوهية المسيح يقدمه الأب بولس إلياس الخورى ، وهذا الدليل أقرب إلى الخرافة في رأى أى عاقل ، يقول الأب بولس : استباح السيد المسيح حق تعديل الشريعة وتكملها فصار سامعيه بقوله « قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل فإن من قتل يستوجب الدينونة أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة » والله هو الذى قال ذلك للأولين وقد وضع عيسى نفسه بذلك موضع الله الذى شرع ، فلا بد أن يكون هو الله (١) .

ومعنى هذه الخرافة أن كثيرين منا آلهة فطالما شرحنا للناس ما فرضه الله عليهم وطلبنا منهم مزيداً من العمل الصالح ، نعوذ بالله من الخطل .

وسنورد في نهاية هذا الكتاب خلاصة هذه الأبحاث في الملحق الخاص عن « قضية الألوهية » .

أما الروح القدس فلم يتخذ بشأنه قرار في اجتماع نيقية بل نص في ذلك الاجتماع على « ترك الحرية للناس في الاختلاف على الروح القدس » .

وهكذا كان متخذو هذا القرار يتمتعون بشيء من الحصافة فلم يشاءوا أن يقولوا بالثالوث مرة واحدة ، بل اكتفوا بإعلان ألوهية المسيح وتركوا إعلان ألوهية روح القدس موضع اختلاف بين الناس فلم يثبتوها ولم ينفوها بل أجعلوها لفرصة أخرى حتى يستقر المبدأ الجديد

(١) وحدة الدين والفلسفة والعلم ص ١٢١ .

(٢) يسوع المسيح ٦٩ .

وهو ألوهية المسيح ، ثم بعد ذلك يكملوا إعلان ألوهية روح القدس حتى يكمل الثالث الإغريقي • وستنكلم فيما يلي عن وقت إعلان ألوهية روح القدس وظروف ذلك •

ألوهية الروح القدس :

الروح القدس هو الذى حل على العذراء لدى البشارة ، وعلى المسيح فى العماد ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء (١) • والذى حل على العذراء بالبشارة هو فى نظر المسلمين جبريل عليه السلام •

وقد سبق أن قلنا إن مجمع نيقية بعد أن قرر ألوهية المسيح ترك الحرية للناس فى الاختلاف على الروح القدس ، وفى ضوء هذه الحرية وجد اتجاهان يتصارعان تترغم كنيسة الإسكندرية أحدهما الذى يقول بالتثليث وأن المسيطر على العالم قوَى ثلاث : المكون الأول ، والعقل (الابن) ، والنفيس العامة (الروح القدس) ويتزعم الاتجاه الآخر بعض القسس فى مقدمتهم مقدونيوس أسقف القسطنطينية ، وقد أعلن هذا أن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع كما أعلن الأسقف أوسابيوس إنكار وجود الأقانيم الثلاثة ، وقال إن الثالث ذات واحدة اقنوم واحد وكان ذلك الخلاف داعيا لعقد مجمع جديد بيت فى الأمر أو قتل كان الأوان قد آن ليكمل إعلان الثالث فعقد الإمبراطور تاووديوس الكبير مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ولم يحضره إلا مائة وخمسون أسقفا ، وفى هذا المجمع أعلن حرمان الأسقفين السابقين ، وأسقط كل منهما من رتبته ، ثم قدم بطريرك الإسكندرية قياسا على هيئة الاقيسة المنطقية ، ولكنه فى الحقيقة بعيد عنها ، فمقدماته غير مسلم بها ، ونتأجه غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات ، وهاك نصه :

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٧٣

« ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق ، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق ، قلنا إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حي ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه اللعن (١) »

ومن النظر في هذه السلسلة التي تأخذ الشكل المنطقي بمقدماتها ونتائجها يظهر أن أساسها ومقدماتها الضرورية وهي أن روح القدس هي روح الله مقدمة ساقطة ، لا يوافقها عليها أغلب الناس ولا يستطيع أن يقيم الدليل عليها ، فالعقيدة السائدة الصحيحة هي أن روح القدس خلقه الله واتخذهُ ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيا من خلقه أو أمراً كونياً (٢) .

ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر ، ولم يجتمع ليناقش بل ليتخذوا قراراً معداً قبل الاجتماع ، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بالوهية الروح القدس وبلعن من يقول بغير ذلك ، ويقول ابن البطريق أحد المؤرخين المسيحيين في إثبات القرار وشرحه ما يلي : « زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشرة أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية ، الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبتق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له ، وممجّد ، وثبّتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، ثلاث خواص ، وحدية في تثليث ، وتثليث في وحدية ، كيان واحد ، في ثلاثة أقانيم ، إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » .

ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين ، وعذّب ولعن من خالفه ، وحرّم من الوظائف وصودرت آراؤه وقتلت .

Pengadjaran Geredja Katolik p. 93. (١)

(٢) أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٣٤ .

ولم يكتف بعض رجال الكنيسة بهذا الثلاث على هذا الوضع ، بل نراهم كأنهم تصوروا منافسة بين الله جل جلاله وبين المسيح ، فلم يقنعوا بأن يكون الروح القدس منبثقاً من الأب ، بل عقدوا مجعاً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ م وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً ، ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة ، ولا تزال عبارة « ومن الابن أيضاً » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والكنيسة الكاثوليكية ، وسبباً في عدم الالتقاء بين الكنيستين ، وتؤمن الكنيسة القبطية بمصر بأن روح القدس منبثق من الأب فقط (١) .

وهكذا اتخذت هذه المجمع سلطة صنّع الآلهة !!! يا لله من ظلم الإنسان وجهله !

وقبل أن نترك الكلام عن روح القدس يجدر بنا أن ننقل عن لوقا تصويره العجيب لروح القدس ذلك ، يقول لوقا في وصفه لاجتماع بطرس بالتلاميذ المائة والعشرين الذين اختارهم ليعلموا المسيحية :

ولما حضر يوم الخميس كان الجميع معا بنفس واحدة ، وصار بغيته من السماء صوت " كما من هبوب ريح عاصفة وملا كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت له ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتأ الجميع من الروح القدس ، وابتدعوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا (٢) .

ويقول المسيحيون إن روح القدس لا يزال موجوداً ، وهو ينزل على الآباء والقديسين بالكنيسة يرشدهم ويعلمهم ، وقد نقلت الأخبار نبأ اجتماع الرئيس أيزنهاور بالبابا في الفاتيكان (نهاية سنة ١٩٥٩) حيث قرأ البابا تحية مكتوبة بالإنجليزية أمام الرئيس أيزنهاور ، وعلقت

(١) تاريخ الاقباط للاستاذ زكى شنودة ص ٣٤١ .

(٢) أعمال الرسل ٢ : ١ - ٤ .

الأخبار أن البابا بدأ يتعلم الإنجليزية حديثاً ولذلك كانت تحيته قصيرة ومكتوبة • ليت شعري لماذا لم يعلمه الروح القدس اللغة الإنجليزية كما يقول لوقا بأن الروح القدس علم في لحظات هؤلاء الرسل لغات لم يكونوا يعرفونها •

٢ - صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر :

هذا هو الأساس الثانى من أسس العقيدة المسيحية ، وقد سبق أن تحدثنا عنه ونزيد هنا الموضوع وضوحاً ، وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين أن من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها ، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل الرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيدده وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلاماً ليكفر عن خطيئة البشر (١) ، وقد ورد فى العهد الجديد ما نصه : وإن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ماقد هلك ، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذى يكفر عن خطايا العالم • وهو الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون فى الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الابن الوحيد ، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق ، قرب الناس من الرب بعد الابتعاد (٢) •

(١) الانجيل والصليب للاستاذ عبد الاحد داود ص ٦ - ٧ وتاريخ الاقباط ص ٢٣٨ •

(٢) اقر! انجيل مرقس الاصحاح العاشر الفقرة ٤٤ وما بعدها وانجيل يوحنا ٣ : ١٦ ورسالة رومية ٣ : ٢٣ وما بعدها و ١٠ : ٥ وما بعدها والاصحاح السادس •

ويقول القس ابراهيم لوقا (١) إن المسيحية تعلم أن الله — لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه — دبّر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا ، وبهذا أخذ العدل حقه ، واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه هي نظرية الفداء .

ويصور كاتب مسيحي هو : Alfred E. Garvie هذا الموضوع في مقاله الطويل الذي كتبه عن المسيحية في :

« The Encyclopaedia of Religions and Ethics » فيقول (٢) :
« في المسيحية ينسب الكمال كله لله ، أما الإنسان فهو غير كامل ، وهو مستحق للوم على ما يرتكبه مما يبغده عن الكمال ، والصلة بين الله والناس تتعرض للوهن أو الانفصام بسبب سيئات الإنسان ، ولا بد للإنسان — لكي يعيد رفقته لله — أن يفتدى نفسه ، ولا يملك الإنسان ما يفتدى به نفسه ، وليس إلا عيسى ابن الله ليتقدم شفيعا بين الله والإنسان ، فهو الابن الذي يعرف الله كأب ، ويعلن عنه لهم أنه أب محب للرحمة يعفو عن سيئاتهم ويرحب بهم داعيا لهم أن يعودوا إليه وإن كانوا قد أذنبوا . »

« وعيسى بصدق تعاليمه وسماحتها وبحياته التي هي مثال راق ، تجذب الناس إليه ، ويوقظ ثقتهم بأنفسهم ، ويكرر لهم التوبة فيضمن لهم عفو الله ، وهذا يبدأ بقبول عيسى النزول إلى الأرض والحياة بين البشر ، ولكنه يصل القمة بأن يقدم نفسه فدية لذنوب الناس ، وتقديم عيسى نفسه فدية هكذا درجة عليا في الوساطة بين الله والناس » .

ويقول كاتب مسيحي آخر : إن خطيئة آدم عصيان ضد الله وشروء عن الصلة به ، ومعصية ضد قداسته تعالى ، وأعلن لنا يسوع وهو على

(١) المسيحية في الاسلام ص ١٧١ .

(٢) Vol. 3 p. 581.

الصليب أن الله قد تنازل ليجدد الصلة التي قَطعت خطيئتنا أو اصرها ويتخطى الشفقة التي أحدثها بيننا وبينه اعوجاجنا وزيفنا (١) .

ويعيد الأب بولس إلياس الخورى الحق إلى نصابه حينما يطن في جراءة أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها ، وفيما يلي كلمات هذا الباحث المسيحي :

ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبّر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمّله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا (٢) .

وتصوّر بعض الأناجيل عملية التعذيب التي مرّ بها عيسى قبل صلبه تصويراً لاذعاً مثيراً ، فقد جاء في إنجيل متى بعد أن وصف القبض على عيسى وتسليمه إلى الوالى بيلاطس ما يلي :

فقال الوالى للشعب : ماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أن كلامه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغباً أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا ، حينئذ جلد الوالى يسوع وأسلمه للصلب ، فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قمرزياً وضمفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه ووضعوا قصبته في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك

(١) اديان العالم الكبرى ص ١١١ .

(٢) يسوع المسيح ص ٢٨ و ٩٢ و ٩٣ .

اليهود ، وبصقوا في وجهه ، وأخذوا القصبه وضربوه بها على رأسه ، وبعد أن استهزئوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب ، وأعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرّب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب (١) .

أيها المسيحيون ، تعالوا نفكر :

ولست أدري ما الذي حدا بالمسيحيين أن يصوروا نبيهم أو إلههم هذا التصوير البشع ، وإنّ أيّ مفكر لتخطر بنفسه الأسئلة الآتية :

١ — ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأيّ عدل وأيّ رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه ؟ قد يقولون إنه هو الذي قبل ذلك ، ونقول لهم إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر ، مذنب ولو كان يريد ذلك .

٢ — إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلقى دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه ؟

٣ — ما هي صورة المسيحيين عن الله (جلّ في سماه) الذي لا يرضى إلا بأن ينزل العذاب المهين بالناس ، والعهد في الله الذي يسمونه الأب ويطلقون عليه « الله رحمة » أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات ؟

٤ — من هذا الذي قيد الله (جلا جلاله) وجعل عليه أن يلتزم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما ؟

٥ — ويدعى المسيحيون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم ، وفي أيّ شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد ، وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن

(١) اقرأ الاصحاح ٢٧ فقرة ٢٣ وما بعدها وانجيل مرقس الاصحاح ١٤.

الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل (١) ؟

٦ — وإذا كان صلب المسيح عملاً تمثلياً على هذا الوضع فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح ؟

٧ — وهل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضرورياً أو كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر ؟

الجواب عن ذلك يقدمه كاتب مسيحي هو القس بولس سباط بقوله: لم يكن تجسد الكلمة ضرورياً لإنقاذ البشر ، ولا يتصور ذلك مع القدرة الالهية الفائقة الطبيعية (٢) .

ثم يسترسل هذا الكاتب فيذكر السبب في اختيار الكلمة ليكون فداء لخطيئة البشر فيقول : إن الله على وفرة ماله من الذرائع إلى فداء النوع البشري ، وإنقاذه من الهلاك الذي نتج من الخطيئة ومعصية أمره الإلهي ، قد شاء سبحانه أن يكون الفداء بأعز ما لديه ، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً (٣) .

ونصرخ في وجه هذا الكاتب أنه ليس من الحكمة في أى شيء أن نفتدى بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس ، تعالى الله عن ذلك .

كلام فارغ وهراء :

وإجابة أخرى عن هذا السؤال نقتبسها من كاتب مسيحي آخر هو الأب بولس إلياس الذى يقول (٤) :

(١) تثنية ٢٤ : ١٦ .

(٢) المشرع ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٢ — ٤٣ .

(٤) يسوع المسيح ص ٩٧ — ٩٨ .

مما لا ريب فيه أن المسيح كان باستطاعته أن يفتدى البشر ويصالحهم مع أبيه بكلمة واحدة ، أو بفعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية جمعاء لأبيه السماوى ، لكنه أبى إلا أن يتألم ، ليس لأنه مريض بتعشق الألم ، ولا لأن أباه ظالم يَطْرَبُ لرأى الدماء ، وأية دماء ؟ ابنه الوحيد ، وما كان الله بسفاح ظلوم ، لكن الله الابن شاء مع الله الأب أن يعطى الناس أمثلة خالدة من المحبة ، تبقى على الدهر ، وتحركهم على الندامة على ما اقتترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة .

ومرة أخرى نصرخ في وجه هذا المؤلف مؤكداً أنه صور الداء أدق تصوير عندما تكلم عن الدماء والقسوة ، ولكنه عندما بدأ يجيب ويصف الدواء تعثر وكبا ، ولم يقل إلا عبارات جوفاء لا تحمل أى معنى .

ما العمل في خطايا المستقبل ؟

٨ - ونعود إلى القس بولس سباط لنسأل كما سأل : إذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك ؟ ويجيب هذا الكاتب بما يلي بالحرف الواحد : إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم ، لأنهم آنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم (١) .

ومعنى ذلك أن خطيئة واحدة محيت وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدت بعد ذلك وسيحاسبُ الناسُ على ما اقتترفوه ، وبعض ما اقتترفوه أقسى من عصيان آدم ، لقد أنكر بعض الناس وجود الله ، وهاجمه آخرون وسخروا بجنته وناره ، فلماذا كانت مظاهر التجسد لخطيئة واحدة وتتركتُ خطايا لا تُعَدُّ ؟

ابن قرار الله من عهد آدم الى عهد عيسى ؟

٩ — وأين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله ظلَّ (تعالى عن ذلك) حائرا بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبِلَ المسيح منذ حوالى ألفى عام أن يُصلب للتكفير عن خطيئة آدم .

١٠ — ويلزم في جميع الشرائع أن تناسب العقوبة الذنب ، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو ، وبين الخطيئة التي ارتكبها آدم ؟

١١ — هذا إلى أن خطيئة آدم التي لم تزد عن أن تكون أكلا من شجرة نُهي عنها ، قد عاقبه الله عليها بإخراجه من الجنة ، ولا شك أنه عقاب كاف ، فالحرمان من الجنة الفينانة . والخروج الى الكدح والنصب عقاب " ليس بالهين ، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك ، ولكنه اكتفى بذلك ، فكيف يستساغ أن يظل مضمرأ السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت صلب عيسى .

الطوفان ابتلع العصاة الا يكفى ذلك ؟

١٢ — وقد مرت بالبشر من عهد آدم الى عهد عيسى أحداث وأحداث وهلك كثيرون من الطغاة وبخاصة في عهد نوح ، حيث لم ينج إلا من آمن بنوح واتبعه وركب معه السفينة ، فهؤلاء هم الذين رضى الله عنهم فكيف بعد ذلك تبقى ضغينة" وكراهية تحتاجان لأن يضحى عيسى بنفسه فداءً للبشرية ؟

١٣ — والكاتب المسيحي الذى أسلم « عبد الأحد داود » ينتقد قصة التكفير هذه انتقاداً عقلياً سليماً فيقول إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتى وهو خطيئة آدم وغضب الله على

الجنس البشرى بسببها ، ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ، ولم
تكشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب (١) .

١٤ - ويقول هذا الكاتب إن مما حمله على ترك المسيحية ، هو هذه
المسألة وظهور بطلانها لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستسغها عقله وهى :

- (أ) نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدى .
- (ب) الله لا يخلص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية
المستحقة عليهم ، بدون شفيع .
- (ج) والشفيع لابد أن يكون إلهاً تماماً وبشراً تماماً .

ويدخل هذا الكاتب فى نقاش طويل مع المسيحيين بسبب هذه
الأوامر ، فهم يرون أن الشفيع لابد أن يكون مطهراً من خطيئة آدم ،
ويرون أنه لذلك ولد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه
من أبيه ، وسألهم الكاتب : ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن
طريق أمه مريم ؟ .

ويجيب هؤلاء بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله
الابن رحمها . ويعود الكاتب فيسأل : إذا كان الله يستطيع هكذا فى
سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه ، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة
كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر ؟ بدون انزال ابنه وبدون تمثيلية
الولادة والصلب (٢) ؟

ونضيف الى نقاش عبد الأحد داود أن قولهم بضرورة أن يكون
الشفيع مطهراً من خطيئة آدم (مما استلزم أن يولد عيسى من غير أب ،
وأن يطهر الله مريم قبل دخول عيسى رحمها) يحتاج الى طريق طويل

(١) الانجيل والصليب ص ٧ .

(٢) الانجيل والصليب ص ١٢٤ ، ١٢٧ .

معقد • وكان أيسر منه أن ينزل ابن الله مباشرة في مظهر الانسان دون أن يمر بدخول الرحم والولادة ، ونضيف كذلك أن قول المسيحيين بالتطهير يتعارض مع اتجاه مسيحي آخر سبق أن أشرنا اليه ، وهو أن ابن الله دخل رحم مريم ليأخذ مظهر الانسان وليتحمل في الظاهر بعض خطيئة آدم الذي يبدو ابن الله كأنه ولد من أولاده ، ثم يصلب ابن الله تكفيراً عن خطيئة البشر الذي أصبح كواحد منهم • ويبقى في هذا الموضوع أن نسأل أسئلة أخيرة هي :

هل كان الأنبياء جميعاً قبل عيسى مدتسين خطاة بسبب خطيئة أبيهم آدم ؟

وهل كان الله غاضباً عليهم أيضاً ؟

وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر ؟

حقيقة قصة الصلب للتكفير :

قلنا إن مبدأ التثليث ورد للمسيحية من الفلسفة الاغريقية ، ونقول هنا كذلك إن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية في شيء ، ويبدو أنها وردت الى المسيحية من عقائد أخرى وبخاصة عقيدة الهنود ، إذ أننا نجدها معتقدة سائداً عند الهنود قبل المسيح بمئات السنين ، فهم يعتقدون أن « كرشنا » المولود البكر الذي هو نفس الإله « فشنو » الذي لا ابتداء له ولا انتهاء ، تحرك حثواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الانسان ، ويصورونه مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديخ المملوء لاهوتا لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر •

وفي بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم « أندرا » سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكي يخلص البشرية من ذنوبهم ، وأن صور

الصلب موجودة في كتبهم (١) .»

وقبل أن نترك هذا الموضوع نحب أن نقرر أن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد قصة الصلب ، ويعجب الانسان كيف تختلف هذه الأناجيل في أساس هام من أسس ديانتهم ، ولو صح أن هذا أساس ، وأن المسيح أنبأ به ، لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً ، أما التفاوت بين الأناجيل في ذلك الموضوع فيصوره الأستاذ عبد الوهاب النجار بإيراد نصوص هذه الأناجيل كاملة حول هذه المسألة ، ثم يناقشها فيعدد أربعة وثلاثين وجهاً من أوجه التضاد بين هذه النصوص ، ولا شك أن هذا التضاد يسقط قيمة الاستدلال بهذه النصوص . وبالتالي يسقط قيمة الفكرة (٢) .

٣ - المسيح يحاسب الناس :

هذا هو الأساس الثالث من أسس العقيدة المسيحية ، ويرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن ، وذلك لأن الابن - بالإضافة الى ألوهيته وأبديته - ابن الانسان أيضاً ، فهو أولى بمحاسبة الانسان (٣) .

ويعتقدون أنه بعد أن ارتفع الى السماء جلس بجوار الأب على كرسي استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا . وقد جاء في رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس « لابد أننا جميعاً نظهر أمام

(١) ١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية للاستاذ محمد طاهر

التنير في عدة صفحات .

ب - تفسير المنار للسيد رشيد رضا ج ٦ ص ٣٢ .

ج - شبهات النصارى وحجج المسلمين للسيد رشيد رضا ص ١٥

د - قصص الأنبياء للاستاذ عبد الوهاب النجار ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٢) اقرا عن الانجيل و صلب المسيح « قصص الأنبياء » للاستاذ النجار

ص ٤٣٢ - ٤٤٨ .

(٣) Encyclopaedia Britannica Vol. 5 632.

كرسى المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ، خيراً كان أو شراً» (١) .

وهناك نصوص أخرى في العهد الجديد تقرر هذا المبدأ ، نورد بعضها فيما يلي :

١ — جاء في رسالة بولس الى أهل إفسس قوله : أقام الله المسيح من الأموات ، وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رئاسة وسُلطان وقوة وسيادة ، وأخضع كل شيء تحت قدميه (٢) .

٢ — وفي رسالته لأهل رومية : إننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح (٣) .

٣ — وفي إنجيل يوحنا : الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن (٤) .

٤ — ويروى يوحنا عن عيسى قوله : أنا أسمع وأدين ودينونتي عادلة (٥) .

وليس لنا أن نناقش هذه العقيدة بعد أن ناقشنا أسسها وأثبتنا بطلانها ، وأنها مبنية على ألوهية المسيح وهو أساس باطل ، وإذا ثبت أنه بشر نبي لم يكن له الحق أن يحاسب أو يدين ، وقد جاء في الوثيقة التي أشرنا لها من قبل والتي نشرتها جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٩٦٦ النص الآتي منسوباً الى عيسى : لن أحاسب الناس على أعمالهم ، أو أحكم عليهم ، الذي أرسلنى هو الذى يصنع ذلك .

(١) راجع الاصحاح الخامس .

(٢) الاصحاح الاول . الفقرة ٢٢ .

(٣) اصحاح ١٤ الفقرة ١٠ .

(٤) اصحاح ٥ الفقرة ٢٢ .

(٥) اصحاح ٥ الفقرة ٢٠ .

والتفكير الاسلامى فى هذا الموضوع يجعل الرسل شهوداً أمام الله على أنهم بلّغوا الرسالة ، كما تشهد أعضاء الانسان عليه بما فعل ، أما الحكم النهائى فهو لله الذى يحكم لا معقب لحكمه ، فإذا قارنا هذا التفكير الإسلامى بالتفكير المسيحى نجدته متقارب الأصول من حيث أن كل نبي يحضر محاسبة قومه ويعلن أمام الله العلى العظيم أنه بلّغهم ما أمّر به ولكن الحكم النهائى فى اعتقاد المسلمين لله العلى العظيم ، والحكم عند المسيحيين للمسيح ، وسبب ذلك الانحراف فى التفكير المسيحى ، هو ما يتخيله المسيحيون دائماً من منافسة بين الله العلى العظيم ، وبين عيسى ، وهذا الخيال المريض لم يجعل المسيحيين يقنعون بالتفكير العام الذى يقضى بأن الحكم لله وأن الرسل شهداء على أقوامهم كما سبق ، لم يقنع المسيحيون بذلك فوضعوا عيسى على كرسى بجوار الله وحكموا له أنه هو الذى سيتحاسب ويدين وأن الله تنازل له عن هذا السلطان ، إن المسيحيين فى كثير من الأحيان لا يريدون أن يقنعوا بمساواة المسيح لله ، بل يحاولون أن يرتفعوا به إلى غاية أعلى وهى سبق الابن للأب (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) .

وربما جاز لنا أحياناً أن نفهم أن تفكير المسيحيين قريب الصلة بعبادة الأبطال وربما كانوا الى عبادة الأبطال أميل .

الاسلام والمسيحية الحالية :

لقد رأينا المسيحية الحالية ، مسيحية بولس ، ورأينا انحرافها الذى أبعدها عن المسيحية الحقيقية ، ومن أجل هذا الانحراف واجه المجتمع الإسلامى من أول ظهوره وثنية رومانية تسمى نفسها بالمسيحية والحق أنها لا صلة لها بمسيحية عيسى ، فقد اتضح للمسلمين دون عناء أن المسيحية الحالية ، خليط من وثنيات العالم القديم ، ولا يوجد بها طقس من الطقوس ، أو عقيدة من العقائد الا كان من الممكن إعادته لما قال به أفلوطين بالأسكندرية ، أو ما انحدر عن تقاليد اليونان والرومان ،

والمجتمعات البربرية في أوروبا ، وقد أوضحنا ذلك فيما ذكره ، Berry ،
من قبل .

ومن الواضح أن الإسلام كان يتعارض تعارضاً جذرياً مع وثنية
الروم وقد وقف الاسلام منادياً بالمسيحية الحقبة التي تقود للإسلام ،
مصححاً أفكار المنحرفين ، فاستجاب له الكثيرون ، وآثر آخرون أن
يغمضوا عيونهم عن النور ، فظلوا في طيات الظلام ، ومجاهل الانحراف .

شعائر المسيحية

الشعائر المسيحية لا تسمو الى مكانة العقائد التي سبق الكلام
عنها ، فالعقائد أساس لدخول المسيحية ، وبدون الايمان بها لا يكون
الانسان مسيحياً ، أما الشعائر فإنها لازمة ، وعلى المسيحي أن يقوم بها،
ولكن الشخص على كل حال يُعتبر مسيحياً قبل أن يقوم بها ما دام قد
اعتنق العقائد السابقة . وكانت هذه الشعائر سبعة ، ويقول الأستاذ
عمر عنایت (١) : إن هذه الشعائر نشأت من القسم الذي كان يحلفه
الجندي الروماني قبل انخراطه في سلك الجيش ، وأهم هذه الشعائر :
التعميد ، والعشاء الرباني ، وتقديس الصليب وحمله ، وقد تأثرت طريقة
أداء بعض هذه الشعائر بطريقة أداء القسم سالف الذكر ، فكما لزم أن
يؤدى القسم في حضرة ممثل للجيش فإن التعميد يلزم أن يؤدى بواسطة
ممثل للكنيسة ويلزم كذلك أن يُقدم الخبز والخمر في العشاء الرباني
بواسطة آباء الكنيسة (٢) ، وستنكلم فيما يلي كلمة عن كل من الشعائر
السالفة :

التعميد :

تكاد تتفق كل الفرق المسيحية على ضرورة التعميد ، وكان التعميد
موجوداً قبل المسيحية عند اليهود كان يحيى يعمّد الناس في نهر الأردن

(١) العقائد ص ١٠٤ .

(٢) Pengadjsran Geredjs Katolik Hal. 300 .

ولذلك سُمِّيَ (يوحنا المعمدان) وقد قام يوحنا بتعميد المسيح كما سبق القول .

ولم يتفق المسيحيون على وقت التعميد ، فبعضهم يعمد الشخص في طفولته ، وبعضهم يعمده في أى وقت من حياته ، وبعضهم يجرى التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة السيئات وتطهير من الذنوب فيحسن أن يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده ، وقد عمّد قسطنطين حامى المسيحية وهو على فراش الموت ، والغالب أن يتم التعميد في الطفولة حتى ينشأ الانسان — كما يقولون — طاهراً مبرّراً من الذنوب .

وطريقة التعميد هي رش الماء على الجبهة أو غمس أى جزء من الجسم في الماء ، ويكثر أن يغمس الشخص كله في الماء ، ولا بد أن يقوم بهذه العملية كاهن يعمد الانسان باسم الأب والابن وروح القدس . ولا يقوم غير الكهنة بالتعميد إلا للضرورة ، وحينئذ يسمى التعميد « تعميد الضرورة » (١) . ولا تجيز الكنيسة القبطية التعميد بالرش إلا للضرورة كذلك ، وتلزم أن يكون بالتغطيس ، وأن يكون ثلاث مرات ، الأولى باسم الأب ، والثانية باسم الابن ، والثالثة باسم روح القدس (٢) .

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع عن التعميد :
« فريضة مقدسة يشار فيها بال غسل بالماء باسم الأب والابن والروح القدس الى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح ، وهي ختم عهد النعمة كما كان الختان في الشريعة الموسوية ، والعمودية تدل على اعترافهم العلنى بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس

Pengadjsran Geredjs Katolik pp. 147-154. (١).

وانظر كتاب « وحدة الدين والفلسفة والعلم » للسيد محمود أبو الفيض

ص ١٢٢ .

(٢) زكى شنودة : تاريخ الاقباط ص ٨ .

كإلههم ومعبودهم الوحيد • ولا يجوز أن يعمّدوا إلا إذا اعترفوا
بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله (١) » •

ويذكر الأب بولس إلياس عن سر المعمودية أنها تمحو الخطيئة
الأصلية في النفس وتلدها ثانية (٢) •

العشاء الرباني Saciament

يطلق عليه أيضاً « التناول » وهو أيضاً عادة أخذت عن الأديان
السابقة للمسيحية (٣) ، ويُرّمز بالعشاء الرباني الى عشاء عيسى الأخير
مع تلاميذه اذ اقتسم معهم الخبز والنبيد ، والخبز يرمز الى جسد
المسيح الذي كُسرَ لنجاة البشرية ، أما الخمر فيرمز الى دمه الذي
سفك لهذا الغرض ، ويُسْتعمل في العشاء الرباني قليل من الخبز وقليل
من الخمر لذكرى ما فَعَلَ بالمسيح ليلة موته وكذلك ليكون هذا طعاماً
روحياً للمسيحيين فمن أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمر استحال الخبز
الى لحم المسيح والخمر الى دمه فيحصل امتزاج بين الآكل وبين المسيح
وتعاليمه (٤) وسيأتى مزيد من الايضاح لهذا الموضوع عند الكلام عن
الاستحالة •

وقد جاء في رسالة بولس لأهل كورنثوس عن العشاء الرباني ما يلي:
« إن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً ، وشكر ، فكسر ،
وقال : خذوا وكلوا • هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ، اصنعوا هذا
لذكرى ، وكذلك أعطاهم قليلاً من الخمر وقال : خذوا واشربوا هذا
هو دمي المسفوك لأجلكم ، وإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا

(١) انظر كذلك Pengadjaran Geredja Katolik H. 147-154.

(٢) يسوع المسيح ص ٢١٠ .

(٣) عمر عنایت : العقائد ص ١٠٥ .

(٤) انظر كتاب « وحدة الدين والفلسفة والعلم » للسيد محمود

ابو الفيض ١٣٢ .

الكأس تخبّرون بموت الرب حتى يعود (١) ، ومن أجل هذا يعتقد المسيحيون أن الخبز يرمز الى جسم المسيح الذى كسر لنجاة البشرية ، وأن الخمر يرمز الى دمه الذى سفك لهذا الغرض أيضاً (٢) .

وجاء فى انجيل يوحنا قول عيسى : والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم ، ومن يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية يثبت فىّ وأنا فيه ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى (٣) .

تقديس الصليب وحمله :

إن تقديس الصليب عند المسيحيين سبق صلب المسيح نفسه ، فقد ورد عن المسيح قوله « إن أراد أحدٌ أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى (٤) » ومعنى حمل الصليب عندهم هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت فى أبشع صورته ، أى صلباً على خشبة كما يفعله بالمجرمين والآثمين ، وقويت فكرة تقديس الصليب بعد صلب عيسى ، فأصبح أداة تذكّر المسيحيين بالتضحية الضخمة التى قام بها المسيح من أجل البشر . ومن العجيب أن الكنيسة التى تعلن الحرب على الأصنام هى بذاتها تقدس صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب وتوصى بتقديسه (٥) .

قد يقول المسيحيون إن الصليب ليس إلا رمزا ، ونجيبيهم أن العرب فى جاهليتهم الأولى قالوا عن عبادتهم للأصنام « ما نعبدهم إلا ليقربونا

(١) كورنثوس الاول ١١ : ٢٣ - ٢٦ .

(٢) Pengadjaran Geredja Katolik Hal. 197.

(٣) الاصحاح السادس ، اقرا الفقرات ٥١ - ٥٨ .

(٤) لوقا ٩ : ٢٣ .

(٥) عبد الأحد داود : الانجيل والصليب ص ٨ .

الى الله زلقى (١) » ومع هذا فقد عيّنت عليهم عبادتهم للأصنام مع أنهم كانوا في عهد جاهلية •

من الواضح أن هناك علاقة بين تقديس الصليب عند المسيحيين وبين النظم الرومانية التي كانت تجعل حمل الصليب دليلاً على صدور الحكم بالإعدام صلباً ، فحمل المسيحيون الصليب استعداداً لهذه الحالة ، فالتعبير بحمل الصليب مستعار من العادة التي قضت بها الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمله كل يوم •

المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية

تحدثنا عن العقائد المسيحية ، وعن شعائر المسيحيين ، ووقفنا ووقفه بعد كل من هذه العقائد وتلك الشعائر نذكر مصدرها ، ونبيّن أنها جميعاً ليست من المسيحية الحقيقية في شيء ، وأنها تعاليم دخيلة على الدين المسيحي كما علمه عيسى بن مريم عليه السلام .

وكان من بين المراجع الكثيرة التي انتفعت بها وأنا أعدد الطبعات المتعددة لهذا الكتاب ، مجموعة مراجع بالغة الأهمية . كانت كبيرة النفع في تبيان المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية التي تعلّمها الكنيسة ، وهذه المراجع هي :

ألاو — كتبها مسيحيون مصريون لهم صلة بالدراسات المصرية القديمة ، وستحدث عنها بعد قليل .

ثانياً — The Life of Buddha by Edward Thomas

ثالثاً — The Sources of Christianity by Khwaja Kamal ud-din

رابعاً — Pagan Christs by L. Ropertson

وستتكم عن هذه المجموعة من المراجع موضحين اتجاهاتها في الحديث عن المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية .

ومجموعة المراجع العربية التي أشرنا لها في « أولا » تشمل الكتب الآتية :

١ — مجد الكتاب المقدس للاستاذ صابر جبره .

٢ — كنائس القاهرة القبطية للاستاذ رعوف حبيب .

٣ — في رحاب المعبود توت للدكتور سامي جبره .

الفكر المصرى فى المسيحية :

يقول الدكتور صابر جبره إن كلمة الحياة عند قدماء المصريين ترسّم بما يرسم الصليب ، وليس بعيداً إذاً أن يكون رسم الصليب مقتبساً من الفكر المصرى ، بمعنى نهاية الحياة ، أو الحياة التى تلى الصلب ، ويقول كذلك • إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث فى المسيحية (١) •

ويقول الأستاذ رءوف حبيب فى حديثه عن نشأة المسيحية بمصر : المصريون من أسبق الشعوب التى اعتنقت المسيحية ، إذ وُجد المصريون فى حياة المسيح صدى لقصة أوزوريس الإله الذى ذهب ضحية روح الشر ، وكذلك اتفقت قصة المسيح من ناحية نظام الثالوث الأقدس مع قصة التثليث فى الفكر المصرى (٢) • (أوزوريس وإيزيس وحورس) ويتضح من كلام الأستاذ رءوف حبيب عن تطابق العقائد بين الفكر الفرعونى والفكر المسيحى أن تفكيراً مصرياً عميقاً ظهر فى المسيحية •

ويقول الدكتور سامى جبره (٣) إن كثيراً من المفكرين يتجهون الى أن الثالوث يرجع الى خمسة عشر قرناً على الأقل قبل مولد المسيح ، فقد وُجدَ فى مصر فى ذلك التاريخ ، وتأثر الفكر المسيحى بالفكر المصرى وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعونى والفكر المسيحى • ونختتم حديثنا عن التشابه بين العقائد المصرية وبين الفكر المسيحى باقتباس من الدكتور محمد حماد (٤) يقول : المسيحية كدين ليست بعيدة فى أسسها عن العقائد المصرية القديمة ، وهناك تشابه كبير بين الاثنين فى كثير من الوجوه •

الفكر البوذى فى المسيحية :

أما الرجوع الثانى فقد عقد فصلاً خاصاً لمناقشة المقارنة بين البوذية

- (١) مجد الكتاب المقدس : ص ١٠٣ •
- (٢) كنائس القاهرة القبطية : ص ١
- (٣) فى رحاب المعبود توت : ص ٢٤ •
- (٤) الفنون والطرز القبطية : ص ٦ •

والمسيحية (١) • ويتضح من هذا الفصل أن المسيحية استعارت كثيراً من معتقداتها وشعائرها من البوذية ، فالتثليث ، والأقنيم ، وقصة الصلب للتكفير عن خطيئة البشر ، والزهد ، والتخلص من المال للدخول في ملكوت السموات ، والرهبانية ... كلها مستعارة من البوذية التي سبقت المسيحية بعدة قرون •

المسيحية اقتباس من مصادر متعددة :

وأما المرجع الثالث فدراسة واسعة مستفيضة حول الأصول التي انحدرت منها عقائد المسيحية الحالية وشعائرها ، وهذا المرجع يصور المسيحية ثوباً مهلهلاً تكوّن من مجموعة كبيرة من الرقاع ، جاءت كل رقعة منها من وادٍ ، فبعض المعتقدات انحدرت من الأديان الوثنية ، وبعضها من ديانة متراس ، وبعضها من البوذية ، وبعضها من الفلسفة الإغريقية ، وبعضها من الخرافات التي يدين بها البدائيون وهكذا •

الوثنية في المسيحية :

وأما المرجع الرابع فإن عنوانه : « المسيحية الوثنية » وهذا العنوان خير دليل على اتجاه مباحثه •

وإذا اكتفينا بما أوردناه عما اقتبسته المسيحية من الفكر المصرى فإننا ينبغي أن نطيل وقفنا لنوضح ما اقتبسته المسيحية من البوذية والوثنية •

وقد ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ، ويلاحظ غوستاف لويون تشابهاً واضحاً بين الديانتين من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع ، ونقتبس منه قوله : إنك تلاحظ تماثلاً عجيباً من كل وجه بين صيام عيسى في البرية حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ، وصيام بوذا في الآجام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضاً ، ويذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسى مع المرأة التي طلب منها أن تسقيه وهي من الطبقة الدنيا ، بما حدث لعيسى من السامرية وما قاله

لها ، وكلتا الديانتين أمرتا بالاحسان والزهد ، وكلتاها ناطقا الخطيئة بالنيات كما تناط بالأعمال ، وكلتاها ابتدعتا الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد في تاريخ العالم . ويختم غوستاف لوبون هذه المقارنة بقوله : وليس مما نبالي به كثيراً أن تكون إحداها مدينة للأخرى فلا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب (١) .

أما نحن فإننا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب ، ولذلك نقرر أن مسيحية بولس استعارت هذا وسواه من البوذية ، فطبيعة اللاحق أن يستعير من السابق ، ولا يمكن للعكس أن يكون ، وبخاصة أن هذه الاتجاهات دُوِّنت قبل ظهور عيسى ، وهي وليدة الحياة الهندية وسائرة في أفقها (٢) .

وبمناسبة الاشارة الى بولس هنا نقتبس من Khwaia Kamalud - din

اقتباساً يقرر انقطاع العلاقة بين الأناجيل والكنايس ، على الرغم من تأثر الأناجيل برسائل بولس تأثراً جعلها لا تعارض هذه الرسائل وتكتفى بالاتجاه التاريخي عن المسيح ، يقول Khwaia Kamalud - din :

إذا درسنا الأناجيل دون نظر لما كتبه القديس بولس ، فإننا نجد تعاليم عيسى وكلماته لا تتسق مع اتجاه الكنايس في عهدنا الحاضر (٣) .

فمن أين اتخذت الكنايس قدوتها ؟ وما المصدر الذي استقت منه الكنايس اتجاهاتها ؟ .

في الاجابة عن هذا السؤال يقول هذا المؤلف في طبعته الأخيرة بحروفه :

I am glad to say that none of my Church Critics have questioned the correctness of the facts that lead me to conclude that most of the Furnitnue of current Christianity has been borrowed from Paganism.

(١) حضارة الهند ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .

(٢) انظر أديان الهند الكبرى للمؤلف .

(٣) The Sources of Christianity p. 15. (٣)

يسرنى أن أسجل أنه ، من بين المسيحيين الذين تعرضوا لكتابتى هذا بالنقد والمناقشة ، لا يوجد واحد عارض الحقائق التى ذكرتها به ، والتى قادتنى الى أن أقرر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية (١) » •

وهذا المؤلف هو Ropertson يذكران تفاصيل الديانات الوثنية التى استعارت المسيحية شعائرها وعقائدها ، كما يذكران هذ الشعائر وتلك العقائد المستعارة ، وفيما يلى بعض التفاصيل لهذه المسائل :

مقارنة العقائد الوثنية بعقائد المسيحية الحالية :

قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدر عددأ كبيراً من الآلهة فهناك مثلاً آبلثو الذى كان يقدرسه الإغريق ، وهيركوليس معبود الرومان ، ومثرا معبود الفرس ، وأدونيس معبود السوريين ، وأوزوريس وإيزيس وحورس معبودات المصريين ، وبعل معبود البابليين ، وسواهم كثيرون وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس ، وفى هذه الأديان أو أكثرها كانت توجد المعتقدات الآتية :

- كل هذه الآلهة ينسب لها أنها وُلِدَتْ فى نفس الفترة [الشهر أو الموسم] التى ينسب لعيسى أنه ولد فيها •
- كل هؤلاء وُلِدوا فى كهف أو حجرة أو بعيداً عن الناس •
- كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشرى •
- كلهم كانوا يُنْعَتُونَ ، المخلص — المنتد — الوسيط •
- كلهم قُتِلوا بقوى الشر والظلام •
- أُلْقِي بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى •
- هبُوا جميعاً من مدافنهم بعد الموت وصعدوا الى عالم السماء •
- أسسوا جميعاً خلفاء لهم ورسلاً ومعابد •

ويتضح من هذا أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات (١) ، ويمكن أن نعطي تفاصيل أوسع عن أحد المعتقدات السابقة لنرى مدى صلة المسيحية بها :

متراس : هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون ، ثم نزحت الى روما حوالى سنة ٧٠ ق.م ، وانتشرت في بلاد الرومان ، وصعدت الى الشمال حتى وصلت بريطانيا ، وقد اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك ومدينة شستر وغيرها من مدن انجلترا وتذكر هذه الديانة أن :

- مَثرا كان وسيطاً بين الله والبشر .
- وأن مولده كان في كهف أو زاوية من الأرض .
- وأنه ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر .
- كان له اثنا عشر حوارياً .
- مات ليخلص البشر من خطاياهم .
- دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .
- صعد الى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون .
- كان يَدْعَى مُخلصاً ومنتقداً .
- ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع .
- كان أتباعه يعمدون باسمه .
- وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس (١) .

The Sources of Christianity pp. 29 - 30. (١)

Roportson : pagan christs p. 338. (٢)

ويقول Repertson إن ديانة متراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية (١) .

مقارنة بين محاكمة بعل ومحاكمة عيسى :

وإذا كانت ديانة متراس قد أمدت المسيحية بهذه التعاليم فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معينة للمسيحية في موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل في تمثيلية مؤثرة كانت، تُمثِّل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة ، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحزن ، وقد اكتُشِف في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، وسُجِلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته . وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل منذ عهد بختنصر وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع ، وعندما عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم ، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة ، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل وهذا الاسم هو المسيح ، حتى ليتمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة منتحلة تماماً وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين :

محاكمة بعل	محاكمة عيسى
١ - أخذ بعل أسيراً	أخذ عيسى أسيراً
٢ - حوكم بعل علناً	وكذلك حوكم عيسى
٣ - جرح بعل بعد المحاكمة	اعتدى على عيسى بعد المحاكمة
٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل	اقتيد عيسى لصلبه على الجبل

محاكمة عيسى

وكان مع عيسى قاتل اسمه
باراباس محكوم عليه بالإعدام ،
ورشح بيلاطس عيسى ليُعْفَى
عنه كالعادة كل عام ، ولكن
اليهود طلبوا العفو عن باراباس
وإعدام عيسى

عقب تنفيذ الحكم على عيسى
زلزلت الأرض وغامت السماء

وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى
لا يسرق حوازيوه جثمانه •

مريم المجدلية ومريم أخرى
جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان
عليه

قام عيسى من مقبرته في يوم أحد
وفي مطلع الربيع أيضاً وصعد
إلى السماء (١) •

محاكمة بعل

٥ - كان مع بعل مذبذب حكم عليه
بالإعدام ، وجرت العادة أن
يُعْفَى كل عام عن شخص
حكم عليه بالموت : وقد
طلب الشعب إعدام بعل
والعفو عن المذبذب الآخر •

٦ - بعد تنفيذ الحكم على بعل
عمّ الظلام وانطلق الرعد
واضطرب الناس

٧ - حرس بعل في قبره حتى
لا يسرق أتباعه جثمانه

٨ - إلهات جلسن حول مقبرة
بعل يبكينه

٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى
الحياة مع مطلع الربيع وصعد
إلى السماء

مقارنة بين حياة بوذا وحياة عيسى :

وهناك مقارنة أخرى ، هذه المرة بين بوذا وبين عيسى ، وقد أورد
هذه المقارنة كل من T. W. Doane (٢) و Edward Thomas (٣) و Khwaja

Khwaja Kamal - ud - din : The Sources of Christianity (١)
pp. 44 - 49.

Bible Mythology pp. 287-297. (٢)

The Life of Boddha pp. 237 - 248. (٣)

Kamal - ud - din (١) ومنهم من أفاض فيها ومنهم من أوجز ، وفيما يلي خلاصة ما ذكره هؤلاء المؤلفون .

عيسى

بوذا

وعند مولد عيسى ظهر هذا النجم أيضاً يبشر بمولد المخلص، وقاد جماعات المجوس نحو مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له

١ — عند مولد بوذا ظهر نجم في السماء يبشر به ، وقد رثى هذا النجم يسير نحو مكان مولده ، وتبعه من رآه ليسجدوا للوليد

ولد عيسى في الخامس والعشرين من ديسمبر أيضاً .

٢ — ولد بوذا في اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر كما تذكر الأساطير الهندية .

وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة في الجو مسبحة في الحقول بالقرب من بيت لحم ، وكانت تسبح بحمد (المبارك) وتقول : للناس المسرة وعلى الأرض السلام .

٣ — عند مولد بوذا احتفلت الملائكة بولادته وسبحت بحمده قائلة إن المبارك قد ولد اليوم ليمنح السلام للناس والمسرة للأرض .

وكان عيسى خطراً كذلك على ملك هيرودوس ولذلك أراد هيرودوس قتله لولا أنه فرّ إلى مصر مع أمه .

٤ — كان مولد بوذا خطراً على الملك والسلطان فهدده ملك بنباسارا وأراد قتله ، حتى لا يكون سبباً في القضاء على سلطانه .

وعند بدء دعوة عيسى ظهر له

٥ — وعندما كان بوذا على وشك

بوذا

عيسى

- أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان (Mara) ليحاول تضليله .
- ٦ — قال مارا لبوذا ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح إمبراطور العالم .
- وقال الشيطان لعيسى : إذا عبدتني سأجعلك ملكا على العالم كله
- ٧ — ولم يهتم بوذا بمارا وصاح به : ابتعد عني .
- ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به : أخسأ أيها الشيطان .
- ٨ — وبعد أن انتصر بوذا على مارا أمطرت السماء زهورا وعبق الهواء بعبير طيب .
- ٩ — وصام بوذا فترة طويلة .
- ١٠ — وتعهد بوذا بالماء المقدس ، وفي أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدس
- وعمد يحيى عيسى في نهر الأردن وكان ذلك أيضا في حضرة روح الله وروح القدس .
- ١١ — وتقبل صلاة البوذيين وتقودهم إلى الفردوس ما دامت تقدم باسم بوذا .
- ١٢ — وعندما مات بوذا ودفن وعندما مات عيسى ودفن أزاحت

بوذا

عيسى

- شُقَّ قبره بقوة من قوى
ما فوق الطبيعة وعاد للحياة •
- قوة من قوى ما فوق الطبيعة
الحجارة عن قبره وعاد عيسى
إلى الحياة •
- ١٣— وصعد بوذا إلى السماء بعد
أن أتم دعوته على الأرض •
- وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء
دعوته على الأرض •
- ١٤— وسيعود بوذا إلى الأرض
في آخر الزمان ليوصل دعوته
ويستعيد مجده ويملا الأرض
سعادة ونعيما •
- وسيعود عيسى كذلك ليحكم
الأرض من جديد وينشر دعوته
ويملا الأرض بالخير والسلام •
- ١٥— وسيوكل كل حساب الناس
إلى بوذا بعد البعث •
- وسيوكل لعيسى أيضاً أن يحاسب
الناس في الدار الآخرة •
- ١٦— وبوذا لا أول له ولا نهاية
وهو خالد •
- وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو
خالد كالآب •
- ١٧— ويروى عن بوذا أنه قال :
إنني أحمل سيئات البشر عنهم
ليصلوا إلى السلامة •
- وعيسى مخلص البشر الذي قدم
نفسه فداءً ليكفر عن خطيئة أبيهم
آدم •
- ١٨— ويروى عن بوذا قوله :
أخف أعمالك الطيبة وأعلن
على الناس سيئاتك التي
ترتكبها •
- وبما علمه عيسى لأصحابه أن
يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا
سيئاتهم وخطاياهم •

بوذا

عيسى

١٩— وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم •
وقال عيسى لأتباعه : أحبوا أعداءكم وباركوا لأغنيكم وأحسنوا لمن يبغضكم •

٢٠— ونصح بوذا حواربييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقير ليُقبَلوا في الدعوة •
واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقير ليدخل ملكوت الله •

٢١— وكان هدف بوذا الأسمى أن يكونَ ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء •
ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت السماء •

٢٢— ونادى بوذا بعدم الزواج وشبهه الزواج بالاحتراق في الفحم ، ولم يُجِزْهُ إلا عند خُوف الزنا •
ويقرر الفكر المسيحي أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة ولكن إذا خاف الزنا جاز له أن يتزوج فالزواج خير من الاحتراق بالنار •

ولم تكف المسيحية باقتباس الأحداث وإنما اقتبست أيضاً الأيام والتواريخ ، فمولد عيسى وصلبه ودعوته للحياة تقع في أيام تتفق تماما مع أحداث وثنية ترتبط بمثل هذه الأيام كما سبق القول (١) •

أما حادثة العشاء الرباني التي سبق أن أوردناها فهي بتفاصيلها الدقيقة واردة في ديانة متراس حدوك النعل بالنعل كما يقولون (٢) •

The Sources of Christianity p. X. (١)

Justin Martyr : The Christianity p. 14. (٢)

وبعد ، فقد اتضحت لنا المصادر الحقيقية للمسيحية الحالية ، ونقرر هنا بيقين أن هذا ليس خافيا على الكهنة المسيحيين الذين يقودون هذا الزكب ، ويقول الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي القسيس الذي أسلم : إن المسيحية في أصولها دين سماوى جاء به المسيح من عند الله ، ولكن الكهنة في كل زمان ومكان كانوا يحتكرون الأسرار لأنفسهم ، تلك الأسرار التي لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحييدون عنه ، وإنه ليمنعنى من الدخول في أسرار الكنائس عديد من الاعتبارات سوف تزول ويأتى الوقت الذى نفضح فيه عن كل شيء (١) .

وأنا بدورى أرجو أن يفصح الأستاذ الهاشمي عما عنده من أسرار ، فلقد قادته هذه المعرفة الى الهداية وأصبح عليه أن يعمل لهداية الآخرين .

→ الكنيسة في خدمة السياسة الغربية :

ويتصل بالمصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية مصدر جديد تمارسه الكنيسة هذه الأيام ، أى بعد انحسار الاستعمار الغربى ، فإن الدول الاستعمارية أوحت للكنائس بمبادئ جديدة لتضعها الكنيسة ضمن المعتقدات المسيحية بالنسبة للدول النامية وحدها ، ففى ذلك حفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من تسلط الغرب على الدول النامية .

ويندهش الباحث عندما يرى كبار رجال الكنائس يتناسون المسيحية ومبادئها الأصلية السمحة ، ويجندون أنفسهم لخدمة الاستعمار ، وهم يتخذون الدين المسيحى وسيلة للضغط على الشعوب المسيحية النامية حتى لا تتطور ، وحتى تبقى بمنأى عن الرقى والتصنيع والتقدم ، وإذا كانت الكنيسة في الغرب تقرر مبدأ فصل الدين عن الدولة ، فإنها لا تقرر ذلك بالنسبة لبلاد الشرق ، ليظل كلام الكنيسة سيفا مصلتا على الرقاب ، وإذا كانت الكنيسة في الغرب تبارك التصنيع ، فإنها تعارضه في الشرق ،

(١) الابيان في كنه الميزان ص ٤٦ .

لان العامل — في زعمها — يعتبر نفسه خالقا وهذا يتنافى مع الإيمان
واعتبار الإنسان مخلوقا •

وترى الكنيسة أن الثروة التي ستعود على البلاد من التصنيع
ستجلب الشر على المسيحيين بالبلاد النامية ، لأن ارتفاع مستوى المعيشة
تصعبه كثرة الخطايا والشرور •

وترى الكنيسة أن التقدم لن يتم إلا بالتضحية بالتراث والتقاليد
الموروثة ، ولذلك فهي تقرر أن الاحتفاظ بالتراث والتقاليد خير من التقدم
الاقتصادي •

وتتخذُ المجالس الكنسية العليا وسيلة لرعاية هذه السياسة
الظالمة •

لست أنا الذي أقول هذا القول ، وإنما هي كلمات مسيحي مثقف
هو الدكتور رمزي فهيم ، فقد هاله ذلك الدور الذي تقوم به الكنيسة في
هذا المجال ، فكتب لصحيفة الأخبار يقول (١) :

« منذ عدة سنوات كنت أقرأ عن اجتماعات وقرارات مجلس
الكنائس العالمي ، ولقد فوجئت حين وجدت أن ما يتعرض له من مسائل
ليست من الموضوعات الدينية التي ينتظر أن تكون هي موضوع اهتماماته،
فمثلا عقد المجلس مؤتمراً في مدينة سالنيك باليونان سنة ١٩٥٩ ، قرر
فيه أن السياسة هي المجال الذي يتحتم على الكنيسة في دول إفريقيا
وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه ، والغريب أن المجلس يقرر في نفس
المؤتمر أن المبدأ الغربي الذي يقضى بفصل الدين عن الدولة لا يمكن
اقتباسه في الدول النامية ، وهنا يثور التساؤل : هل هناك نوعان من
المسيحية أحدهما يُطَبَّق في بلاد الغرب والآخر (يُفَبَّرَك) بواسطة
(الخبراء) ليُعمل به في الدول النامية •

(١) صحيفة الاخبار في ١١ ابريل سنة ١٩٦٦ •

« ويتابع هذا المؤتمر قراراته فيطالب الكنائس في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تراقب خطط التنمية ، فتميز فيها بين ما يتفق وإرادة الله وبين عمل الشيطان ، وأن تكون رقيقة تعلن للقوم أين يقف الله ومن أين يطل إبليس العدو . »

« أما كيف يمكن أن يكون في خطط التنمية مكان للشيطان ، فإن المجلس يعثر على إبليس في عملية التصنيع بالذات التي تقوم بها حالياً الدول النامية ، فهو يرى أن الإنتاج الذي يحققه التصنيع يملأ النفس غروراً فيعتبر العامل نفسه أنه الخالق الذي يستغنى عن كل إله آخر . أما الله فإن مكانه في نظر المجلس هو في الحقل وفي القرية ، بحيث أن الانتقال من العمل الزراعى الى الصناعة — وهو الأمل الذي تحاول الدول النامية الوصول اليه لحل مشكلاتها الاقتصادية — هذا الانتقال يترتب عليه أفدح الأضرار بالإيمان الدينى وبالعائلة . »

« بل يصل استخفاف المجلس بوطنية المواطنين في البلاد النامية ، وبفهمهم للدين ، إلى الحد الذي يقرر فيه في مؤتمر نيودلهى الذى عقد سنة ١٩٦١ أن الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة في أى وطن وتحت أى نظام سياسى . »

« والواقع أن المجلس يحاول في النصف الثانى من القرن العشرين أن يقنع المواطنين في الدول النامية بالمحافظة على مستواهم الاقتصادى الذى حددته لهم الدول التى كانت تستعمر بلادهم وتستغل مواردهم ، فبعد أن يعدد المجلس سوءات التصنيع وخطط التنمية ، مثيراً كل ما يخطر على البال من صعوبات ومعوقات في طريق تنفيذها ، يعود للقول بأنه حتى على فرض إمكانية تحقيق ما تصبو إليه هذه الدول فإن التقدم الاقتصادى وارتفاع مستوى المعيشة ستأتى معهما بالضرورة كثرة من الخطايا والشور فنحن مدنسون بالشر حتى أننا نجد صعوبة في التعرف على ما يريد الله أن نعمله بمستوى المعيشة العالى حين نصل إليه . »

« بل إننا نقرأ في كتابات أقطاب هذا المجلس أنهم يحاولون وضع التقاليد والتراث الشعبيين في مواجهة التقدم الاقتصادي والسياسي ، ويقولون إن التقدم لن يتم إلا على حساب التراث وأن الشعوب حين يطلب إليها أن تختار بين التقدم والمحافظة على القديم ستختار دون تردد قديمها بسبب ما يتطلبه التقدم الاقتصادي من جهود وتضحيات » •



ولعل هذه المصادر المصطنعة هي التي أوحى الى Wells بأن يورد مقارنة قصيرة بين الإسلام من جانب والبوذية والتاوية والمسيحية من جانب آخر ، استمع إليه يقول بعد أن تكلم عن طرد البوذية من الهند :

أصبح الآريون تحت سلطان دينين هما المسيحية والإسلام ، وهما ساميان خالصان ، وتتخذ البوذية والتاوية والمسيحية — بخلاف الإسلام — أثواباً من الطقوس والمراسم التي يلوح أنها مستقاة عن الهلثيين ، من مصر ، أرض المعابد والكهانات ، ومن العقلية الأشد بدائية وأولية ، عقلية الشعوب الحامية السمراء (١) •

(الذهاب المسيحي) طبيعة المسيح والآراء حولها

إن تقرير ألوهية المسيح لم يكن عملاً سهلاً ، بل كان عملاً معقداً ، سبب كثيراً من الاختلافات والاتجاهات ، لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب ، بل بين الجماعات التي اتفقت على المبدأ واعتنقته ، ثم عادت تفكر فيه ، وعلى هذا أوجدت المشكلة مجالاً للتفريق بينهم ، وقد تحدثنا فيما سبق عن الاختلاف بين من قالوا بألوهية المسيح وبين من أنكروا هذا المبدأ ، ونريد هنا أن نتحدث عن الاختلافات التي حصلت بين الطوائف التي اجتمعت حول القول بألوهية المسيح .

وكان مصدر الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير في طبيعة المسيح للتوفيق بين الألوهية التي صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقاداً ملزماً ، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشى على الأرض ، وكان يأكل كما يأكل الناس ، ويتحدث كما يتحدثون ، وكان على العموم إنساناً في مظهره على الأقل ، ومرة أخرى اتخذ المسيحيون الجامع وسيلة للحديث عن طبيعة المسيح كما اتخذوها من قبل وسيلة لإثبات ألوهيته ، وسنتحدث فيما يلي عن آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح . وأهم الاتجاهات التي اتجهوا إليها في ذلك ، ثلاثة :

١ — مذهب النسطوريين :

مذهب النسطوريين ينسب إلى نسطور الذي كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٣١ ، ومذهب النساطرة محاولة للعودة إلى التوحيد أو القرب منه ، ويقول نسطور (١) شارحاً مذهبه : إن مريم لم تلد إلهاً ، لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ، ولأن المخلوق لا يلد الخالق ، فمريم ولدت إنساناً ، ولكن كان إلهاً لللاهوت . وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان ، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته ، أي

(١) زكي شنوده : تاريخ الاقباط ١٥٩ .

اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازياً فمنحه الله المحبة
ووهبه النعمة •

وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين في المسيح ، ذلك
القول الذي سيبينه الكاثوليك والذي سنشرحه فيما بعد ، ونبين اتفاقه
وعدم اتفاقه مع رأى نسطور ، أما الكنائس الشرقية فقد اتخذت موقفاً
معارضاً لنسطور وقالت بطبيعة واحدة ••• كما سيأتى •

وقد اعتبر ذلك بدعة من نسطور ، ولذلك طُرد من منصبه ونفى
من القسطنطينية ، ولكن مذهبه لم يمِت ، وأحياء فيها بعد عالم مسيحي
اسمه برصوما كان مطران نصيبين ، ومن ثم انتشر في الشرق ، ولا يزال
حتى الآن شائعاً في العراق والموصل والجزيرة •

٢ - مذهب الكنائس الشرقية (الأرثوذكس) : المذهب اليقوبي :

يجدر بنا أن نشرح هذا المذهب قبل أن نشرح مذهب الكاثوليك ،
إذ كان مذهب « الأرثوذكس » ردّاً فعل لعقيدة نسطور ، ثم إنه أُعلن
قبل أن يعلن الكاثوليك اتجاههم •

وقد أعلن مذهب الأرثوذكس عن طبيعة المسيح في مجمع عقيد
لهذا الغرض بمدينة إفسس بالأناضول سنة ٤٣١ ، واتخذ المجمع قراراً
يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريرك الاسكندرية ، وهو يقضى بأن المسيح
طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، ففى المسيح أقنوم واحد تمّ بعد الاتحاد
بدون اختلاط ولا امتزاج ، ولذلك فالعذراء تدعى بحق والدة الإله ،
وفيما يلي نص كلمات البابا كيرلس سابق الذكر : إن لسيدنا يسوع
المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الانسانية اتحاداً تاماً بلا
اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، فالعذراء والحالة هذه هى بحق والدة

(١) سار نسطور الى مصر بعد النفي وأقام بأخميم حتى مات •

الإله ، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد ، لذلك هي حقا أم الله (١) .

الناسوت له
دخول في
اللاهوت

وبلغة أخرى يقولون بأن الكلمة (الإله الابن) انقلبت لحما ودما فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وينتشر المذهب الأرثوذكسى فى مصر والنوبة والحيشة .

وقد يسمى هذا المذهب بالمذهب اليعقوبى نسبة الى داعية مشهور اسمه يعقوب البرادعى قام بالدعوة له ونشره .

وكان هذا الاتجاه حول طبيعة المسيح من الأسباب التى فصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية .

٣ - مذهب الكاثوليك : الملكانية :

مذهب الكاثوليك هو مذهب الطبيعتين والمشيئتين وقد اعتنقته كنيسة روما ، واتخذت به قراراً فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ، وهذا المذهب يقول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، فالمسيح أقنوم إلهى بحت ، ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والانسان ، ومن الواضح أن هذا القول متأثر الى حد ما باتجاه نسطور سالف الذكر الذى يرى بأن المسيح إنسان غمره اللاهوت بعد ولادته ، ولكن الكاثوليك يختلفون عن نسطور فى اعتقادهم أن مريم ولدت الاثنى جميعاً ، فهى قد ولدت يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الانسانية ، فهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد ، وقد حضر زوج الملكة مجمع خلقيدونية ولذلك يسمى هذا المذهب بالمذهب الملكانى .

وكنيسة هؤلاء من الطقس البيزنطى ، وتنتشر الملكانية فى سوريا ومصر وفلسطين ، ولهم جالية كبيرة فى الولايات المتحدة ، ولصلاتهم بالطقس البيزنطى تسمى كنيستهم بكنيسة الروم .

(١) زكى شنوده : تاريخ الاقباط . ١٦٠ - ١٦١ .

٤ - المذهب الماروني :

المذهب الماروني نسبة الى رجل اسمه يوحنا مارون دعا سنة ٦٦٧ الى أن للمسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد ، ولكن البطارقة لم يقبلوا ذلك وأشاروا على الامبراطور أن يعقد مجمعا ، فعقد مجمع بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وكان ذلك تأكيدا لمذهب الكاثوليك ، وقد لعن هذا المجمع كل من يقول بغير ذلك .

اليسوعيون والكنيسة الكاثوليكية :

وقبل أن نترك الطوائف المسيحية يجدر بنا أن نتكلم كلمة عن اليسوعيين : الذين أخذوا شهرة واسعة في مجال الدعوة للمسيحية ، وقد تأسست جماعة اليسوعيين سنة ١٥٢٤ ومؤسسها فارس أسباني اسمه اجناسيوس ، قد أسسها عقب أن جرح في الحروب بين المسلمين والأسبان في الأندلس ، فكرس بقية حياته لخدمة الدين والدعوة للمسيحية في ظل الكنيسة الكاثوليكية ، واعترف البابا سنة ١٥٤٠ بهذه الجمعية فكثر أعضاؤها وزادت قوتها ، وكانت نظمها عسكرية صارمة ، واتخذت التربية وسيلتها لنشر المسيحية ، فاهتمت بالجامعات والمعاهد العليا ، وجذبت لها أبناء الطبقة الراقية لأنهم الذين سيكون لهم مستقبل الحكم بالبلاد ، ونشروا معاهدهم وكتيباتهم في أقطار مختلفة ، واختاروا لها أحسن الأساتذة ، ووضعوا مناهجها لتشمل التربية الدينية الصارمة ولتشمل بجوار ذلك باقى المواد والعلوم حسب طبيعة الكليات .

وتحت الرقابة والعمل لتنمية أهداف الجمعية لم يوجد بالمعاهد اليسوعية ابتكار وضعفت روح التفكير الحر والابداع ، إذ كانت هذه المعاهد خاصة لأهداف دينية عتيقة ، تريد الوصول لتحقيقها أكثر مما تريد تربية النفوس والأجيال ، ولذلك لم تحقق ما كانت ترجوه من أهداف .

الحواريون والرسل

الحواريون هم أولئك الذين آمنوا بعميسى وعاونوه وتعلمذوا عليه
وعددهم اثنا عشر، وهم كما ذكر متى (١):

- ١ — سمعان المعروف باسم بطرس •
- ٢ — اندراوس أخو سمعان •
- ٣ — يعقوب بن زبدي •
- ٤ — يوحنا أخو يعقوب •
- ٥ — فيليپس •
- ٦ — برثولماوس •
- ٧ — توما •
- ٨ — متى العشار •
- ٩ — يعقوب بن حلفى •
- ١٠ — لبثاوس الملقب تداوس •
- ١١ — سمعان القانوى (الغيور) •
- ١٢ — يهوذا الاسخريوطى •

وهناك الرسل السبعون الذين يقال إن المسيح اختارهم وأرسلهم
ليعلموا المسيحية •

وهناك المائة والعشرون الذين خطب فيهم بطرس خطاباً امتلأوا
بعده بالروح القدس وراحوا يدعون للمسيحية، وعن طريق هؤلاء المائة
والعشرين اختير بالقرعة بديل ليهوذا الخائن فوقع القرعة على ميتاس،
فأكمل الاثنى عشر (٢) •

(١) الاصحاح العاشر: ٢ — ٤ •

(٢) أعمال ٢: ١٣ — ٢٦ •

الجامع

الجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية ، رَسِمَ الرسل نظامها في حياتهم ، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة ١٠٥ م برياسة الأسقف « يعقوب الرسول » للنظر في ختان الاممى (غير اليهود) ثم نسجت الكنيسة على منوالهم .

والجامع قسمان : مجامع مسكونية [أى عالمية مسكونية نسبة الى الأرض المسكونة] . ومجامع محلية أو مكانية ، وقد عقدت المجمع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى ، وشهدتها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسى لعقدتها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغى فحصها واصدار قرارات بشأنها وتسان مبتدعيتها ، وقد عقد من المجمع المسكونية عشرون مجمعا ابتداء من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ حتى مجمع الفاتيكان سنة ١٨٦٩ ولا يعترف الارثوذكس إلا بقرارات المجمع السبعة الأولى التى كان آخرها مجمع نيقية الثانى سنة ٧٨٧ ومن أهم المجمع مجمع نيقية الأول ومجمع القسطنطينية الأول ، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية التى تلتقى حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية ؛ (ألوهية المسيح وألوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثليث بذلك) .

وأما المجمع الكنائية فكثيرة . وكانت الكنائس ولا تزال تعقدتها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة ، أو رفض بعض العقائد ، أو للنظر في بعض الشئون المحلية (١) .

ولعل من الخير ونحن على ذكر بكثير من المجمع أن نللم الإمامه قصيرة شاملة بأهم المجمع المسيحية ، مسكونية أو محلية ، وأن نبين ما اتخذته من قرارات ، وفيما يلى هذا الحديث :

١ - مجمع نيقية لمعارضة أريوس : (٥٦٦ مسكوني)

عُقِدَ مجمع نيقية Nicaea سنة ٣٢٥ وكان عقده رداً على
الوحدانية التي ترعّم أريوس القول بها ، ويُعَدُّ مؤتمر نيقية أهم
الجامع المسيحية ، إذا اتَّخِذَتْ فيه أخطر القرارات ، وكان عقده بأمر
الإمبراطور قسطنطين الكبير ، وقد سبق أن ذكرنا أن عدد الذين حضروه
أولاً من الآباء الروحانيين ٣٠٤٨ وأن الخلاف اشتد بينهم حول القول
بالوهية المسيح ووصل الخلاف الى المءارك ، وتبنّت الأغلبية الساحقة
رأى أريوس ، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ثم أعيد عقد
الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبالوهية
المسيح وعددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه ، واتَّخِذَتْ فيه قرارات
خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس ، وأهم
هذه القرارات ما يلي :

(أ) القول بالوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة
البشر .

(ب) عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى
كى يكون كل منهم كما قال بولس الرسول (بعلة امرأة
واحدة) .

(ج) اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات
السابقة وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأنجيل .

٢ - مجمع صور وتجديد رأى أريوس عن الوحدانية : (٥٦٦ أقليسي)

مجمع صور الاقليمي الذي عقد بعد ذلك بوضع سنوات وقرر
وحدانية الله وأن المسيح رسوله ، فكان بذلك تجديداً لرأى أريوس
القائل بالوحدانية ، وهذا المجمع لم يُعْتَرَف به .

٣ - مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م. وقد قرر هذا المجمع أن روح القدس إله .

٤ - مجمع إفسس الأول Ephesus سنة ٤٣١ الذي تحدثنا عنه آنفا والذي تقرر فيه أن المسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة ، وأن العذراء ولدت إلهاً وتدعى لذلك أم الإله ، وكان ذلك رداً على حركة نسطور .

٥ - مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩ وقد عقد بأمر الإمبراطور ثاودويوسوس وناقش فلابيوس الذي اتهم بإحياء آراء نسطور ثم حكم بعزله ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع (١) .

٦ - مجمع خلقيدونية Chalcedon سنة ٤٥١ م وقد أيد هذا المجمع قرار مجمع إفسس الأول ورفض قرار مجمع إفسس الثاني ، ولعن نسطور وديسقورس وأتباعهما ، وكان هذا المجمع قد عقد أولاً في القسطنطينية ثم انتقل إلى خلقيدونية ، وقد حضره أساقفة روما ، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته . وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثاني منى البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة ، واتخذ المجتمعون قراراً يقول بالطبيعتين والمشيئتين ، ورفض ديسقورس طلب الإمبراطور الموافقة على هذا القرار ، فنفاه الإمبراطور بعيداً عن مصر حيث مات في منفاه ، وقد ظل أقباط مصر حتى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية (٢) .

٧ - مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ومجمع خلقيدونية ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيالاً .

(١) زكى شنودة : تاريخ الأقباط ج ١ ص ١٧٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٧ .

٨ — مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ وقد قرر هذا المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وكان ذلك رداً على المذهب المارونى الذى كان يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة .

٩ — مجمع رومة سنة ٨٦٩ وفى هذا المجمع تقرر :

(أ) اعتبار الروح القدس منبثقاً من الأب والابن .

(ب) من يريد المحاكمة فى أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى الى كنيسة روما .

(ج) المسيحيون فى جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما .

١٠ — مجمع القسطنطينية الذى عقد سنة ٨٧٩ برياسة فوسسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية وفيه تقرر أن انيثاق الروح القدس من الأب فقط ، وبهذا المجمع وسابقه تم انقسام الكنيسة الى غربية وشرقية ، وأصبحت المجامع خاصة بإحدهما وتبطل قرارات الأخرى ولا تعترف بها .

١١ — مجمع رومة الذى عقد سنة ١٢٢٥ وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

١٢ — مجمع رومة سنة ١٨٦٩ وفيه تقرر أن البابا معصوم .

ومن الواضح للباحث أن هذه المجامع اتخذت سلطة قوية وقررت قرارات تعتبر أصولاً فى الدين المسيحى ، إنها صنعت الآلهة وتحدثت عن طبيعتها ، ومنحت الكنيسة سلطة محو السيئات ، وقررت عصمة البابا ، وتلك كما ترى أشياء ضخمة لا يتصور الإنسان أنها من خصائص البشر .

لقد أخذت المجامع سلطة لم تعرفها أكثر الأديان أو كلها ، ففى الإسلام مثلاً للعلماء أن يجتهدوا ، ولكن فى الفروع ، أما عدد الصلوات

وعدد الركعات وفرائض الحج وأمثالها فلا تخضع للاجتهاد ، وليس للمسلمين أن يشرعوا فالمشرع هو الله العلي العظيم • والمسلمون بعيدون جداً عن صنع الآلهة ، والله وحده - عند المسلمين - هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول ، والعصمة لله وحده ، وليس للأنبياء مع عظيم مكانتهم عصمة إلا في التبليغ وفقاً لرأي أغلب العلماء (١) •

الكنيسة تتدخل في شؤون الدول :

وهناك نقد سياسي يوجهه النقاد الى قرارات المجمع التاسع (مجمع رومة سنة ١٨٦٩) إذ تقرّر في هذا المجمع ان جميع المسيحيين في جميع بلدان العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما ، ومثل هذا القرار يعتبر خطراً للغاية ، إنه تدخل سافر في شؤون الامم واستقلال الدول ،

لمعناه أن المسيحيين أياً كانت بلادهم يتبعون حكوماتهم بأجسامهم ويتبعون كنيسة روما بأرواحهم ، وقد كان البابا يخضع الملوك والحكومات إليه باسم هذا القرار ، هتمردت بعض الحكومات على هذا الوضع وأعلنت أنها لا دينية ، فأتجه البابا بقراره التي الرهايا بعد أن عجز عن إخضاع الحكومات ، وفي العصر الحديث نجد البابا يساوم بهذه السلطة التي بيده ، فقد حدث أن قابل البابا رئيس جمهورية أندونيسيا السابق وطلب من هذا الرئيس للسماح لعدد أكبر من المبشرين بدخول بلاده ، ووعدته نظير ذلك أن يضمن له ولاء المسيحيين بهذه البلاد ، وقد أثار هذا التصريح ثائرة المواطنين بهذا القطر عندما أدركوا أن ولاء المسيحيين من مواطنيهم إنما هو في يد رئيس كنيسة روما •

ويُعد من أصدق القول ما كتبه الأستاذ زكي شنوده في تعليقه على « الجامع » ونحن نقتبسه فيما يلي •

« كانت هذه الجامع في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الايمان

(١) انظر الحديث عن عصمة الانبياء بكتاب « الاسلام » للمؤلف الطبعة الثامنة .

المسيحي ، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الامبراطور ، لتنفيذ أغراضه ، مستفلا في ذلك مظالم بعض الأساقفة وطموحهم الى الجاه والنفوذ والسلطان ، وهكذا أصبحت المجمع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء ، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة» (١) .

ولعل من المفيد هنا أن نترجم فصلاً قصيراً من كتاب « تعاليم الكنيسة الكاثوليكية » لنعرف بوضوح مكان الكنيسة عند المسيحيين ، وكيف أن سلطان كنيسة روما انساب الى الكنائس الأخرى ، وليس فقط في الاجتهاد والتشريع وشرح الكتاب المقدس وغيرها مما احتفظت به كنيسة روما لنفسها . بل في وجوب طاعة المسيحيين للأساقفة والآباء الروحانيين دون تفكير ، كما يطيعون الله وكما أطاع عيسى أباه على حد قولهم ، ومن العجيب أن المسيحيين جعلوا عيسى إلهاً ، ثم جعلوا الأساقفة في مقام عيسى أي أحلّوهم أيضاً محل الآلهة ، فمقام الآلهة ، عندهم سهل الوصول ، ومن العجيب كذلك أن بعض من وُضع في هذا الموضع من آباء الكنيسة انحرف وحكمت عليه الكنيسة بالحرمان فكيف ينحرف المعصوم ؟ ومما يدعو للدهشة أن أساس هذا الاعتقاد أن أحد الأساقفة أوصى بذلك حوالي سنة ١٠٧ م وأصبحت وصيته مقدسة دوتنى عليها هذا الاعتقاد العجيب الذي يرفع القسيس الى مصاف الآلهة . والفصل الذي نزمع ترجمته عنوانه : « نفوذ الكنيسة » ونصه كما يلي :

نفوذ الكنيسة :

حوالي سنة ١٠٧ م كتب الأسقف اجناسيوس أسقف كنيسة أنطاكية الى المسيحيين في سميرنا Smyrna ما يلي :
« عليكم جميعاً أن تطيعوا آباء السماء كما أطاع عيسى أباه ، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل ، ولا يبشركم أحد منكم

(١) زكي شنودة : تاريخ الاقباط ج ١ ص ١٧٦ .

شأناً من الشؤون التي تقوم بها الكنيسة (بالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة) بدون حضور آباء الكنيسة، وأنتى يوجد الأسقف فإن حضوره يعدّ حضوراً للمسيح نفسه تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية •

« الأب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح، فمن أيديهم نتلقى حياة الطهر عن طريق التعميد، وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس في العشاء الرباني، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله، وهم عوض عيسى وآباؤنا الروحانيون، فعلينا أن نتعمق في احترامهم وحبهم وطاعتهم •

« وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس الى الأساقفة يصدرون الأوامر لتنظيم الكنيسة وسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية وتشجيعهم على فهم الحياة الكنسية •

« والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسم عيسى المقدس فعليهم أن يمثلوا لأوامر الأساقفة وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين » (١) •

وهكذا أعطى الفكر المسيحي للقسس وللآباء الروحانيين سلطات أسمى من سلطات البشر، وهو شيء لا يقره العقل السليم •

الكتاب المقدس

مقدمة :

الكتاب المقدس عند المسيحيين يشمل « العهد القديم » و « العهد الجديد » وقد رأينا للأسف أن المسيحيين مع تقديسهم للتوراة لم يتبعوها ، فأحلّوها ما حرّمته ، ولم يلزموا حدودها ، ولما لم يكن في وسعهم أن يتصرفوا في نصوصها لأن أصولها ثابتة عند أعدائهم اليهود ، فإنهم عمدوا الى المجامع يغيرون بها ما يشاءون مما نصت عليه التوراة ، وراحوا أحياناً يفسرون التوراة بما يناسب الإنجيل كما ظهر في محاولتهم ليجدوا في التوراة دليلاً على ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس ، ومن أجل هذا كان حديثنا عن العهد الجديد هنا أهم ، لأنه أولاً : كتاب المسيحيين المباشر ، ولأنه ثانياً : يفسر التوراة ويوجهها حسب اعتقاد المسيحيين ، أما الحديث عن العهد القديم فيجده القارىء مفصلاً في كتابنا عن « اليهودية » .

وكلمة إنجيل (Gospel) كلمة يونانية معناها (الحلوان) وهو ما تعطيه مَنْ أَتَاكَ بَبْشَرِي ، ثم أُرِيدَ بِالْكَلِمَةِ الْبَبْشَرِي عَيْنَهَا ، أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى (بشرى الخلاص) التي حملها الى البشر ، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه ، وربما استعملوها أيضاً بمعنى ملخص تعليم المسيح لأن فيه الخلاص . أو سيرة حياته وموته (١) لأن في هذه السيرة معنى الخلاص أيضاً .

وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى ، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم ، نقول إنجيل متى وإنجيل لوقا (٢) . . .

(١) متى ٢٦ : ١٣ انفسس ١ : ١٢ غلاطية ٢ : ٧ .

(٢) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٤ .

ويتكون العهد الجديد (الانجيل) من سبعة وعشرين سفرًا يمكن وضعها في ثلاثة أقسام :

١ - قسم « الأسفار التاريخية » ويشمل هذا القسم خمسة أسفار هي الأناجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا) ثم رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا ، وسميت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوى قصصًا تاريخية ، فالأناجيل تحوى قصة حياة عيسى وتاريخه وعظاته ومعجزاته ، ورسالة أعمال الرسل تحوى قصة حياة معلمى المسيحية وبخاصة بولس .

٢ - قسم « الأسفار التعليمية » وتشمل إحدى وعشرين رسالة ، وقد سبق أن تحدثنا عن الرسائل (Epistles) عند الكلام عن بولس ، وتوزع الرسائل بين كتابها كالاتى :

١٤ رسالة من كتابة بولس وبعضها محدد التاريخ ، وهى جميعاً كالاتى :

• رسالتان إلى أهل تسالونيكي سنة ٥٤ .

• رسالته الأولى الى كورنثوس سنة ٥٥ .

• رسالته إلى أهل روما سنة ٥٦ أو ٥٧ .

• رسالته الى أهل أفسس وفيلبي وكولونسي سنة ٦١ أو ٦٣ .

ثم رسالته الى أهل غلاطية ، ورسالتان الى تلميذه تيموثاوس ، ورسالة الى تيطس ، ورسالة الى فيليمون ، ورسالة الى العبرانيين ، ورسالته الثانية الى أهل كورنثوس (١) .

• ٣ رسائل من كتابة يوحنا .

• ٢ رسالتان من كتابة بطرس .

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٧ .

١ رسالة واحدة من كتابة يعقوب •

١ رسالة واحدة من كتابة يهوذا •

ومن هنا يتضح أن أكثر الرسائل هي رسائل بولس ، ويتضح
بالتالى أن بولس وضع أكثر التشاريع المسيحية •

٣ — أما القسم الثالث فهو رؤيا يوحنا اللاهوتى ، وتسمى رؤيا
لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها فى اليقظة ، وقد قرأها عدة مرات
ولم يظهر لى منها قصّدٌ ذو بال • وكان يوحنا أراد أن يظْهَر بها سلطان
المسيح بعد رفعه وصلته الدائمة بالكنايس ، وما كان أجدر بالمسيحيين أن
يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس فهى للخرافات أقرب (١) ، ويصور
يوحنا فيها السيد المسيح بالخروف المذبح (٢) ، ويكرر هذا اللفظ ، وهو
نوق ناب فى التعبير • وعن هذا التشبيه يقول الروائى الإنجليزى
المعاصر D. H. Lorance : إننى أشمئز من الربط بين المسيح وبين الخروف
المذبح ، مع أن الخراف أغبى وأجشع ما فى مملكة الحيوان •

الأنجيل تتأثر برسائل بولس :

وقصة هذه الأنجيل وعلاقتها بالمعتقدات المسيحية قصة تدعو
للعجب ، فمن الطبيعى أن تتبنى المعتقدات على الأنجيل ، ولكن الواقع
غير هذا أو قتل عكس هذا ، إذ انبثكت الأنجيل على المعتقدات ، فقد
نشأت المعتقدات بواسطة بولس ، ثم كتب بولس رسائله بين سنة ٥٥
وسنة ٦٣ م بيد أن الإنجيليين لم يبدعوا كتابة أناجيلهم إلا فى سنة ٦٣ ،
ورجحت كفة بولس وكفة معتقداته على ما ذكرنا من قبل ، فتأثرت
الأنجيل بهذه الرسائل (٣) •

(١) اقرأ الاصحاح الثانى عشر من هذه الرؤيا •

(٢) الاصحاح الخامس الفقرة السادسة وما بعدها •

(٣) انظر يسوع المسيح للاب بولس الياس ص ١٨ •

أناجيل مهمة أُنِيدَت ° :

وبجانب ما وضعه بولس ومريدوه من أناجيل ورسائل كانت هناك أناجيل متعددة تتكلم عن حياة المسيح ودعوته ، منها إنجيل عيسى نفسه وقد ورد ذكره في إنجيل مرقس (١) وفي رسالة بولس الى أهل رومية (٢) ومنها إنجيل السبعين وإنجيل التذكرة وغيرها من الأناجيل الكثيرة ، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قررة مجمع نيقية سالف الذكر ، أى قرره أولئك الذين اتخذوا قراراً بالوهية المسيح ، ومن ثم ألغى هذا المجمع كل الأناجيل التى لا تتفق وقراره السابق ، والتى لا تلائم الاتجاه الذى ابتدعه بولس الرسول ، فوافق هذا المجمع على الأسفار السبعة والعشرين سالف الذكر وكوّن منها ما أطلق عليه « العهد الجديد » ورد المجمع كل ما سوى ذلك وعده هراء بالغاً وكفراً وزيفاً يجب إفناؤه ويعاقب من قال به أو حمّله .

ومن الواضح أن هناك أناجيل ورسائل فنيت فى عهد الاضطهادات الأولى التى عانتها المسيحية ، ولكن بقى جزء كبير من الأناجيل والرسائل أخفاه ذووه ثم أظهروه عندما غلبت المسيحية أعداءها ، فقدموه لمجمع نيقية ، ولكن المجمع انحرف وأصبحت الغلبة للأقلية التى تقول بالوهية المسيح كما سبق ، وأصبح هؤلاء يتكلمون باسم المسيحيين جميعاً ، وعلى هذا قرر ذلك المجمع مصير الأناجيل ، ويحدثنا الكاتب المسيحى الذى أسلم عبد الأحد داود عن هذا التصرف ويبرز سيادته حقيقة هامة جداً هى أن الأناجيل المعتبرة الآن لم تكن معترفاً بها قبل القرن الرابع ، وهاك كلمات هذا الكاتب :

إن هذه السبعة والعشرين سفراً أو الرسالة الموضوعه من قبيل ثمانية كتاب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسه باعتبار مجموعه هيئتها

(١) الاصحاح الاول الفقرة ١٤ .

(٢) الاصحاح الاول الفقرات ٩ ، ١٦ ، ١٥ والاصحاح ١٥ الفقرة ١٩ .

بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أي من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفى مبعوث روحاني ومعهم عشرات الأناجيل ومئات الرسائل الى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلا وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بالوهية المسيح (١) . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتبهة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها (٢) .

ويبرز هذا الكاتب نقطة أخرى مهمة هي أن كاتبى الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صح نسبة الأناجيل الى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل ، ويؤكد هذا الكاتب « أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً ولا تشير إليها » (٣) .

وهناك موضوع آخر يتصل بالعهد الجديد وصلاحيته مصدراً للدين المسيحي ، فقد أثبتنا أننا أن الأناجيل اختيرت لتلائم المعتقدات التي وضعها بولس ، ومن ثم كانت الأغلبية الساحقة من « العهد الجديد » من وضع بولس ومريديه كما أسلفنا القول عند الكلام عن بولس ، ومع هذا فإنه بمرور الزمن ظهر للمسيحيين أن هذه الأناجيل لا تقى بما أرادوا أن يضيفوه للمسيحية من معتقدات ، كغفران السيئات وعصمة البابا وغير

(١) الانجيل والصليب ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥ وقد اقتبسنا أننا من الاب بولس الياس

ما يقطع بأن رسائل بولس كتبت قبل الانجيل .

ذلك ، ومن ثم اقترحوا المجامع يثبتون بها ما يشاءون من الأصول ، وإذا كانت المجامع قد أخذت الحق في تقرير ألوهية المسيح فلا ضير عندهم أن تأخذ الحق فيما دون ذلك من مسائل ، فليس هناك موضوع يرقى الى مستوى هذا الموضوع الخطير ، وعلى هذا فالمصدر الحقيقي للمسيحية هو المجامع ، هو البشر .

على أن الكاثوليك استغنوا عن المجامع واستغنوا عن الكتب المقدسة عندما أثبتوا عصمة البابا ، فانتقلت كل السلطة في إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام « الى حبر رومية الأعظم الجالس على كرسى الخلافة البطرسية ، وأصبح له الحكم فيما يختص بالأحكام والأخلاق العيسوية ، وأصبح حكمه قطعيا تجب طاعته لأنه قد وُهِبَ من الله صفة العصمة(١)»
إنجيل يوحنا كُتِبَ ليقرّر ألوهية المسيح :

ونعود مرة أخرى الى ما أثبتناه آنفا من أن المسيحيين منذ عهدهم الأول كانوا يعتقدون الشيء الذي لا يوجد في الأناجيل . ثم يوعزون لأحدهم ليكتب إنجيلا يثبت فيه ما اعتقدوه ، وقد أوضح الكتاب المسيحيون أنفسهم ظروف كتابة انجيل يوحنا :

قال جرجس زوبين اللبناني فيما ترجمه « إن ثير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية ، كانوا يرون أن المسيح ليس إلا إنسانا ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح » .

وقال يوسف الدبسي الخورى في مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل)
إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا ، والسبب

(١) عبد الاحد داود : الانجيل والصليب ص ٢٣ .

أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقص ولوقا في أناجيلهم » •

وقال أكليمينضوس الإسكندري المسيحي صاحب المؤلفات الكثيرة في حقيقة الدين المسيحي ما يلي عن إنجيل يوحنا : إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتاب الأناجيل الأخرى لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدوّن عن ترجمة المسيح إلا الأمور الحسية ، فتلبية لدعوة بطانته ، وبعد استلهاهم روح القدس عقد العزم على كتابة « انجيل روى » (١) •

فبغية يوحنا من إنجيله إظهار ألوهية يسوع (٢) •

وقد قام الأستاذ أبو زهرة بدراسة بعض هذه النقول واستنتج منها أمرين :

أحدهما : أن الاناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقص ولوقا) ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح أو هكذا كانت قبل تدوين الانجيل الرابع •
• (انجيل يوحنا)

ثانيهما : أن الاساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الانجيل الذى يدل عليها (٣) •

ونضيف الى هذين أمرا ثالثا هو الاعتقاد باستحالة أن تهمل الاناجيل الثلاثة الاولى أساسا هو في الحقيقة أهم أسس الدين المسيحي وهو ألوهية المسيح ، فلو أن لهذه الألوهية أصلا في الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة •

وهناك عالم مسيحي متبحر هو الاب بولس إلياس مؤلف كتاب « يسوع المسيح » ، وهذا العالم يثبت الغفلة والخطأ على أصحاب

-
- (١) انظر يسوع المسيح للاب بولس ص ١٩ •
 - (٢) المرجع السابق ص ٣٢ •
 - (٣) محاضرات في النصرانية ص ٣٥ •

الانجيل أو الانجيليين كما يسميهم ، ومثل هذه الصفات تفقدنا الثقة فيما يُنسب لهؤلاء وفيما يلي نسوق نصيّن من الكتاب السابق عن خطأ الانجيليين في موضوع خراب أورشليم ، قال الكاتب :

« ومن المؤكد أن مرقس كتب إنجيله قبيل سنة ٧٠ م أى قبل خراب أورشليم في عهد تيطس ، لأنه لو كان كتبه بعد هذا التاريخ لما كان أخطأ فهم نبوءة المسيح عن خراب أورشليم كمتى ولوقا اللذين ظنّا أن المسيح يَمُصِدُ من نبوءته هذه خراب العالم والدينونة الأخيرة لا خراب أورشليم وكان أصلح خطأه ، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا » (١) •

وقال في موضع آخر :

« وضع لوقا إنجيله وكتاب أعمال الرسل ، ومن الثابت الراجح أنه كتب إنجيله قبل سنة ٧٠ م أى قبل خراب أورشليم ، وإلا لما كان أخطأ مثل ما أخطأ متى ومرقس فهم نبوءة المسيح عن هذا الحدث الهام ، وهذا دليل على أن الانجيليين ردّدوا أقوال المسيح على علاقتها دون أن يفهموها في بعض الأحيان (٢) •

والآن • بعد هذا العرض العامّ للإنجيل ، يجدر بنا أن نتكلم كلمة عن كل من هذه الإنجيل المعتمدة عند المسيحيين لنرى مقدار صلاحيتها لتكون أساساً للمسيحية •

إنجيل متى :

متى أحد الحواريين الذين سبق أن عددناهم ، مات سنة ٧٩ ببلاد الحبشة حيث كان قد اتخذها موطن دعوته ، ويتفق جمهور المسيحيين على النقاط التالية :

١ — متى كتب إنجيله بالآرامية ، ولكن النسخة الآرامية لا وجود لها ، ولا يعرف بالضبط تاريخ تأليفها •

(١) ص ١٥ : ٢٦ •

(٢) ص ٢٧ : ٢٨ •

٢ — ظهر كتاب باللغة اليونانية قيل إنه ترجمة إنجيل متى ، ولم يعرف المترجم ولا تاريخ الترجمة .

وعندما توجد هذه الشكوك حول أى كتاب تقل قيمته كمصدر أو تتمم .

انجيل مرقص وانكار الوهية المسيح :

مرقص من السبعين الذين تحدثنا عنهم فيما سبق ، وقد طاف في البلاد داعياً للمسيحية ثم اتخذ مصر مقراً له ، وقد قتل سنة ٦٢ م (١) . ومعنا باحث مهم شرح إنجيل مرقص ، هو وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو ، وهو يرى أن إنجيل مرقص ما هو إلا خلاصة مشاهدات بطرس أعظم الرسل وخلاصة مواعظه ، فقد كان مرقص قريباً من بطرس حتى كان هذا يصفه بأنه ابنه (٢) ، وأن إنجيل مرقص — بسبب اقتباسه آراء بطرس — كان مصدراً استقى متى ولوقا نهجه وكثيراً من عباراته وألفاظه (٣) .

ويذكر وليم باركلي أن مرقص كان يؤكد الجانب البشرى في المسيح حتى أن الكتّاب الذين اتبعوه اضطروا الى إدخال بعض التعديلات في كثير من عباراته فبينما يذكر مرقص أن يسوع كان نجاراً يتخرج منى فيذكر أنه ابن نجار ، ويوضح مرقص الاحتياجات الجسدية للمسيح فيذكر أنه كان يتجوع (١١ : ١٢) ويتعب فيحتاج للراحة (٦ : ٣١) (٤) ويقرر وليم باركلي أن مرقص صحب بولس عندما بدأ رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا (خال مرقص) ولكن مرقص لم يكمل الرحلة لأنه لم يرض تماماً عن اتجاهات بولس وتصرفاته . وعندما بدأ بولس

(١) يلاحظ القارئ تضارباً واضحاً بين التأكيد بأن الانجيل كتبت بعد سنة ٦٢ م وبين اسناد انجيل لمرقص الذى قتل سنة ٦٢ .

(٢) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد : انجيل مرقص ص ١٣ ترجمة القس فهيم عزيز .

(٣) المرجع السابق ص ١١ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦ .

رحلته التبشيرية الثانية لم يقبل برنابا أن يصحبه بل افترق عنه دون رجعة (١) .

وقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار أن مرقص كان ينكر الوهية المسيح هو وأستاذه بطرس (٢) . ومن أجل هذا يقول Wells إن النقاد يميلون الى اعتبار إنجيل مرقص أصح ما كتب عن شخص عيسى وأعماله وأقواله وأجدرها بالثقة (٣) .

وعلى هذا فإى كلام عن الوهية المسيح بهذا الانجيل ليس إلا تحريفاً أدخله عليه الكتاب المتأخرون .

جثمان القديس مرقص بين القاهرة والبندقية :

بقى أن نذكر عن القديس مرقص معلومات جديدة ترتبط باسمه ونستمد هذه المعلومات من كاتبين مسيحيين هما الاستاذ زكى شنوده والباحث Otto Meinardus ويقول الاستاذ زكى شنوده كلاماً طويلاً يصعب قبوله ، فهو كعادة المسيحيين العرب ينسب للقديس مرقص أنه أمسك يد اسكافي كانت تنزف دماً فشفاها في الحال ، وكان ذلك دافعاً للاسكافي أن يدخل المسيحية ، وأن يجمع أقاربه وأصحابه ليكونوا باكورة المؤمنين في مصر ، ويذكر الأستاذ زكى شنوده أن مرقص استمر في دعوته ، وأن أتباعه كثروا ، فشيد أول كنيسة بالاسكندرية ، وأسس أول مدرسة لاهوتية ، وسرعان ما كثر عدد المؤمنين وتوطدت دعائم الكنيسة .

بيد أن الاستاذ زكى شنوده ينتقل فجأة من مظهر القوة الى مظهر الضعف فيذكر أن القديس كان يحتفل بعيد القيامة في الكنيسة مع شعبه

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) انظر محاضرات في النصرانية ص ٥٥ .

(٣) The Outline of History Vol. 3, p. 680.

فهجم عليه أعداؤه ، ووضعوا حبلاً في عنقه ، وراحوا يجرونه في طرقات مدينة الاسكندرية حتى نزف دمه ، ثم ألقوه في السجن ، وفي اليوم التالي فعلوا به نفس الفعل حتى أسلم الروح ، ولعل من الصعب أن نوفق بين التطور والكثرة التي ذكرها الأستاذ زكي شنوده وبين الضعف المهين الذي يواجهه القارىء في الصفحة التالية من كتاب هذا الباحث ، بحيث لم يوجد من يدافع عن القديس أو يحميه من الأعداء .

ويختتم الأستاذ زكي شنوده حديثه عن مرقس بكلام أشبه بالأسطورة فهو يرى أنه دفن بالاسكندرية عقب قتله ، وأن بعض البحارة البنادقة سرقوا في القرن التاسع الميلادي جسمه ما عدا الرأس فقد بقي بمصر ، ولا تزال الرأس بالكنيسة المرقسية الكبرى بالاسكندرية أما الجثمان فقد دُفن في كنيسة فخمة في البندقية سميت باسمه وهو يعتبر شفيح المدينة .

ليث شعري لماذا قنع البحارة البنادقة بالجثمان وتركوا الرأس (١) .
ونجىء للباحث الآخر الذي يكشف اللثام عن أسطورة أخرى ترتبط بجثمان القديس مرقس ، فهو يروى أنه في مارس سنة ١٩٦٧ أرسل البابا كرولس السادس بطريرك الاسكندرية وجميع افريقية خطاباً الى بابا روما يرجو قداسته أن يعيد للكنيسة القبطية جثمان القديس مرقس ، وأن اتصالات جرت بين بابا روما وكاردينال البندقية انتهت بأن وعد البابا بتسليم بقايا الجثمان ، وبناء على ذلك سافر الى روما وفد كبير يضم المطارنة ، وبعض كبار الأقباط والمسيحيين الأحباش ، وأعد في القاهرة استقبال حافل لما قيل أنه جثمان القديس ، وجاء شيء سمي بالجثمان ودفن في احتفال ضخم بالكاتدرائية المرقسية الجديدة بأرض الأنبارويس بالعباسية .

ويقرر Otto مؤكداً أن قبر القديس مرقس بالبندقية لم يفتح

إطلاقاً ، وأن الوفد القبطي لم يذهب الى البندقية ، بل ذهب الى روما وتسلم صندوقاً رخامياً صغيراً في حجم علبة الكبريت به قطعة من العظم لا تزيد عن فلتر السجارة ، وقد حرص الوفد أن يضع هذا الصندوق الصغير داخل صندوق كبير ليواجه الجماهير التي كانت محتشدة في المطار في انتظار الجثمان (١) .

وهذا القول يصورُ هذا الحدث في صورة تدعو للخجل والأسف وليس هذا التصرف إلا خداعاً للجماهير .

بقي أن نتساءل : لماذا لم يَضمَّ الذين قاموا بهذه الأسطورة جثمانَ القديس الى رأسه بالاسكندرية ؟

انجيل لوقا :

ليس لوقا من الحواريين ولا من تلاميذهم ، وانما هو تلميذ بولس . وقد تكرر ذكر هذا في رسائل بولس كما سبق ، ويقولون إنه كان طبيباً وبعضهم يقول إنه كان مصوراً . ولوقا يبدأ انجيله بجملة ذات شأن هي : « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به » (٢) . وقد سبق لنا حديث كاف عن بولس ومريديه وبخاصة لوقا الطبيب الحبيب .

انجيل يوحنا ومن الذي كتبه ؟

سبق أن تحدثنا عن إنجيل يوحنا وسنزيد الحديث هنا وضوحاً ، ولهذا الانجيل أهمية خاصة في دراسة المسيحية ، ذلك لأنه الانجيل الذي نص صراحة على ألوهية المسيح ، وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الانجيل

(١) Christian Egypt : Faith and Life pp. 142-143.

(٢) لوقا ١ : ١ - ٤ .

ألف لهذا الغرض ، ولهذا لا يقوى هذا الانجيل ليكون حجة في هذا الباب؛ وهناك استدلال آخر يقلل من قيمة هذا الانجيل أو يزيلها تماما ، ويلزم لا يوضح هذا الاستدلال أن نعود إلى الوراء لنتذكر ما سبق أن قلناه من أن مدرسة الاسكندرية هي مصدر التثليث وألوهية المسيح ، وفي ضوء هذا نسير في الاستدلال :

الشائع أن هذا الانجيل كتبه يوحنا الحواري الذي كان يحبه المسيح ويصطفيه ، ولكن هذا الشائع لا أساس له من البراهين ، وكثير من كتاب المسيحية يؤكدون أن هذا الانجيل لا بد أن يكون من كتابة يوحنا آخر لا علاقة له بيوحنا الحواري ، وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية مايلي: « أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شهك كتاب مزور أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين أحدهما للآخر ، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ولا يفرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وإنما لنراف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى » •

ونسبة هذا الكتاب الى يوحنا الحواري هوجمت قبل دائرة المعارف البريطانية بمئات السنين أيضاً ، وكان تلاميذ يوحنا الحواري أحياء ولكنهم لم يردوا هذا الهجوم ولم يذكروا قط أنهم سمعوا من أستاذهم هذا الانجيل أو أى خبر عنه •

من إذا مؤلف هذا الانجيل ؟ ومن يكون ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب ونسبه الى يوحنا ؟

الاجابة سهلة ، فالتأليف الفلسفى روح مدرسة الاسكندرية ،
وعقيدة التثليث عقيدة مدرسة الاسكندرية ، وإذا فالأستاذ استادلن على
حق حينما قال : « إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة
الاسكندرية (١) » .

* * *

ونختم كلامنا على الأنجيل الأربعة بعبارة مهمة ختم بها باحث
غربى دراسته عن الأنجيل ، وهذه العبارة هى :

إن فلسفة الإغريق ، والقانون الرومانى اثرا فى تدوين الأنجيل ،
وجعلا الأنجيل لا تمثل حقيقة المسيحية ، والباحث المنصف فى تاريخ
الكنيسة لا يستطيع ولا لحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة ، وأغراضا غير
كريمة ، ومقاصد خاطئة ، كانت أسبابا رئيسية مسيطرة أحيانا ، دفعت
الى هذا التبديل الذى حدث فى الأنجيل (٢) .

انجيل برنابا :

تحدثنا فيما سبق عن الأنجيل الأربعة المعتبرة عند المسيحيين .
وأمامنا الآن إنجيل آخر جدير بحديث أطول هو انجيل برنابا ، ذلك لأن
هذا الانجيل يمكن أن يكون حلقة الاتصال بين المسيحية والاسلام ، أو
أنه هو الحلقة المفقودة بين هاتين الديانتين ، ولا تعترف الكنيسة بهذا
الانجيل ولا تقيم وزنا لما ورد فيه .

وقد تترجم هذا الانجيل الى اللغة العربية فى مطلع القرن العشرين،
وقام بترجمته الدكتور خليل سعادة وقدم له مقدمة تاريخية علمية ،
ونشره السيد محمد رشيد رضا وقدم له كذلك مقدمة علمية طويلة ، ونريد

(١) انظر محاضرات فى النصرانية للأستاذ ابو زهرة : ص ٤٩ .

(٢) Alfred E. Garvie : Encyclopaedia of Religions and

Ethics Vol. 5. p. 634.

أن نستعرض الانجيل نفسه ، ونستعرض هاتين المقدمتين ، ونربط حديثنا
بالأناجيل الأخرى وبالدراسة التي قمنا ونقوم بها فيما يختص بالمسيحية

نريد أن نشرح النقاط الآتية :

- ١ — من هو برنابا ؟
 - ٢ — الى أي حد تصح نسبة هذا الانجيل اليه ؟
 - ٣ — ما أوجه الخلاف بين هذا الانجيل والأناجيل الأخرى ؟
 - ٤ — ما الأسباب التي دفعت برنابا الى تأليف إنجيله ؟
- ولنبداً الكلام عن هذه النقاط :

١ — من هو برنابا ؟

بناء على انجيل برنابا يدخل برنابا هذا ضمن الحواريين الاثنى عشر
فقد ورد في هذا الانجيل ما نصه : « فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي
عاد الى نفسه ليسلك في شريعة الله ، جمهور غفير ، صعد الجبل ، ومكث
كل الليل بالصلاة ، فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثني عشر
سماهم رسلا ، منهم يهوذا الذي صلب ، أما أسماؤهم فهي : اندراوس
وأخوه بطرس الصياد وبرنابا الذي كتب هذا مع متى العشار الذي كان
يجلس للجباية ، ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي ، وتداوس ويهوذا
وبرثولومارس وفيليبس ويعقوب ويهوذا الاسخريوطى الخائن (١) » .

وسواء كان برنابا من الحواريين أو ليس منهم فإنه معدود من
الصف الأول بين أتباع المسيح ، وقد ورد اسمه في رسالة أعمال الرسل
عدة مرات نورد منها هنا بعض النماذج :

— ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا (٢)

(١) برنابا ١٤ : ٩ — ١٢ .

(٢) أعمال ٤ : ٢٦ .

— ولما جاء شاعول (بولس) الى اورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافون غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره الى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب ٠٠٠٠٠ (١) ٠

— وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون ، برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر ، ولوكيوس القيرواني ، ومنابن الذي تربى مع هيرودوس رئيس الربع ، وشاول ، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا الأيادى ثم أطلقوها ٠

فهذان إذْ أُرْسِلَا من الروح القدس انحذرا الى سلوكية ، ومن هناك سافرا فى البحر الى قبرص ٠ ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود (٢) ٠

فيتضح من هذا أن برنابا إما من الحواريين الاثنى عشر وإما من الرسل السبعين ، ولا يحتمل أن يكون هناك برنابا آخر لأنه لم يرد ذكر لغير برنابا واحد فى جميع المراجع ، وملامحه واحدة فيها كلها ٠

٢ — الى أى حد تصح نسبة هذا الانجيل الى برنابا ؟

قام الدكتور خليل سعادة مترجم هذا الانجيل بدراسة واسعة حول هذا الموضوع ، ونحن نقتبس منه ما ذكره عن تاريخ هذه النسخة ، وعن رأيه فى نسبتها ، ثم نناقش هذا الرأى ، يقول سيادته :

— كانت هذه النسخة فى مكتبة البابا سكتس الخامس بروما ، وقد اختفت من المكتبة حوالى القرن السادس عشر ، ويرجح أن الذى اختلسها راهب اسمه فرامرينو (٣) ٠

(١) اعمال ٩ : ٢٦ — ٢٧ ٠

(٢) اعمال ١٣ : ١ — ٥ ٠

(٣) مقدمة المترجم ص ٥٠ ٠

— عن طريق هذا الراهب آلت هذه النسخة الى مكتبة أحد وجهاء
أمستردام حيث بقيت حتى مطلع القرن الثامن عشر .

— في سنة ١٧٠٩ كان كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا ينزل في
أمستردام ، وكانت له بهذا الوجيه صلة ، ولما رأى هذه النسخة استعارها ،
ثم ذكر للوجيه أنها عظيمة القيمة .

— في سنة ١٧١٣ أهدى وجيه أمستردام هذه النسخة الى البرنس
أيوجين سافوى الذى كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية ، ثم انتقلت
هذه النسخة مع مكتبة البرنس كلها الى مكتبة البلاط الملكى في فيينا حيث
لا تزال هذه النسخة موجودة حتى الآن وهى مكتوبة بالايطالية وعلى
هامشها تعليقات بلغة عربية ركيكة (١) .

وهناك نسخة أخرى لهذا الانجيل باللغة الأسبانية ظهرت حوالى
سنة ١٧٨٤ ولكنها فقدت بعد ذلك . ويرجح أن تكون ترجمة عن النسخة
الايطالية (٢) .

« ويجزم الثقات — كما يقول الدكتور سعادة — بأن ناسخ هذه
النسخة الايطالية هو من أهالى البندقية ، وأن اللغة التى أخذت عنها
هذه النسخة هى لغة البندقية . ويدحض هؤلاء الثقات الشبهة التى
تقول بأن هذه النسخة ترجمت عن نسخة عربية (٣) » ويقول الدكتور
سعادة مؤيداً رأى هؤلاء الثقات : « ثم إنه لم يرد ذكر لهذا الانجيل في
كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في العصور القديمة أو الحديثة .
حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم الى الأبحاث والمجالات الدينية .
مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات . وليس ذلك
فقط ، بل لم يرد ذكر لهذا الانجيل في فهراس الكتب العربية القديمة عند

(١) المرجع السابق ص (د)

(٢) المرجع السابق ص (هـ)

(٣) المرجع السابق ص (ح)

الاعراب أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة (١) » •

ويقول الدكتور سعادة إنه « يرى أن واضع هذا الانجيل يهودى أندلسى تعمق فى دراسة اليهودية ، ثم تنصر وتعمق فى دراسة النصرانية، ثم اعتنق دين الاسلام وتحمس له (٢) » •

ونرى نحن أن هذه الصورة يصعب أن توجد فى الخيال فهيات أن توجد فى الواقع ، وأى خيال يستطيع أن يصور يهوديا متعمقا فى اليهودية ينتصر ويتعمق فى النصرانية ، ثم يسلم ويتعمق فى الإسلام ويتحمس له تحمسا يحمله على كتابة انجيل ونسبته الى واحد من الحواريين أو الرسل ؟ إن هذا الرجل يحتاج أن يعمر عدة قرون كما يحتاج الى وسائل غير عادية ليصل الى هذه النتيجة ، ثم لماذا لم ينتقل مثل هذا الرجل مباشرة من اليهودية للإسلام كما فعل كثير من يهود الأندلس ؟ الحق أن مثل هذا التفكير يبدو لى مستحيلا •

ونسأل الدكتور سعادة : لماذا وضع هذا الرجل المسلم هذا الانجيل ؟ الطبيعى أنه وضعه ليحتج به المسلمون على المسيحيين فى المناظرات التى كانت دائمة الوقوع بينهم ، ولكن ما رأى الدكتور سعادة فى أن أحداً من المسلمين لم يحتج بهذا الانجيل قط ولم يرد ذكره فى تلك المناظرات الحامية كما كتب ذلك الدكتور سعادة نفسه • وكيف ينحدر انجيل كاذب كهذا الى مكتبة البابا • ثم الى البرنس أيوجين ، ثم الى مكتبة البلاط الملكى بفينا ؟ وكل هذه أوساط مسيحية لا يمكن أن تسمح لكتاب كاذب يهاجم عقائد المسيحية بأن يتسرب الى مكتباتهم ، وأن ينال العناية التى وصفها الدكتور سعادة من تجليد وتذهيب ؟ ولو حاول كاتب مسلم أن يضع انجيلا لكان أولى به أن ينسبه الى عيسى ، على أن

(١) مقدمة المترجم ص (ط) •

(٢) المرجع السابق •

التعمق في الاسلام الذي وصفه الدكتور سعادة يحتم على هذا المتعمق ألا يرتكب هذه الحماسة أو قل الخيانة الكبرى ، وهي أن يؤلف كتابا ثم ينسبه الى سواه .

ويقول الدكتور سعادة — مستقذلا على أن كاتب هذا الانجيل مسلم — ما يلي : ولو أشار الى مجيء « الرسول » نبي المسلمين من طرف خفى بإشارات تنطبق عليه دون التصريح باسمه لكان ذلك أصلح للمغاية (١) . ونحن نأخذ هذا القول دليلا على صحة نسبة الانجيل لبرنابا، فهذه الحقيقة التي ذكرها الدكتور سعادة لا تخفى على أحد ، وهذا الكاتب وصفه الدكتور سعادة بالبراعة والفلسفة العالية وكثرة الاطلاع ، فكيف تخفى عليه حقيقة ابتدائية كهذه لو كان كاذبا .

ويذكر التاريخ أمرا أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ يعدد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا (٢)) ويرجح أنه هو الانجيل الذي اختفى وضاعت نسخه . ولم تبق منه إلا هذه النسخة التي وصلت الى بر السلامة حينما أخذت مكانها في مكتبة البابا نفسه حيث لا يخاف البابا أن تكون مكتبته موضع شك وموضع اختبار ، أما غير البابا فيعتقد أنهم أسرعوا الى هذا الانجيل فانترعوه من مكباتهم وأسلموه للفناء حرصا على أنفسهم وعلى مكباتهم أن يمتد لها الفناء لو عثر على هذه النسخة فيها .

وقد احترقت وفنيت نسخ هذا الانجيل كلها وسلمت هذه النسخة من ظلام العصور الوسطى وظهرت في عصر النور حيث أصبح حرق الكتب جريمة لا تغتفر ، وبهذا استطاعت هذه النسخة الفريدة أن تحيي ما أوشك أن يندرس من معالم هذا الانجيل . ومن المؤكد بلا شك أن

(١) مقدمة المترجم ص (ن) .

(٢) المرجع السابق ص (ل) .

نسبة هذا الانجيل لبرنابا أقوى من القول بنسبة انجيل متى إليه ، وكذلك القول في سائر الأناجيل ، وهناك أدلة كثيرة يقدمها الكتاب الغربيون أوردنا بعضها آنفاً وهي تؤكد أن أغلب هذه الأناجيل من صنع بولس (١) وأن انجيل يوحنا من صنع طالب بمدرسة الاسكندرية •

٣ — ما أوجه الخلاف بين هذا الانجيل والأناجيل الأخرى ؟

يقول مترجم الكتاب (٢) إن هذا الانجيل يبين الأناجيل الأربعة المشهورة في عدة أمور جوهرية هي :

(أ) أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من جمهور عظيم •

(ب) أن الابن الذي عزم ابراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو اسماعيل لا إسحاق •

(ج) أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمد وذكرَ محمداً باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذبول وقال انه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور « لا إله إلا الله محمد رسول الله » •

(د) أن يسوع لم يصلب وأن الذي صلب إنما هو يهوذا الخائن الذي شُبه به •

والمسألتان الأولى والأخيرة تهماثنا هنا في بحثنا عن المسيحية ، ولذلك نقتبس من كلام برنابا نفسه بعض النماذج عنهما ، وهذه الاقتباسات هي في الوقت نفسه اجابة عن السؤال الرابع من الأسئلة التي تهماثنا لبيان القول عن انجيل برنابا ، وهذا السؤال هو :

(١) انظر في ذلك أيضاً دائرة المعارف الفرنسية .

(٢) مقدمة المترجم ص (م) •

٤ — ما الأسباب التي دفعت برنابا لتأليف انجيله ؟

وضَّح برنابا الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الانجيل في مقدمته التي كتبها لهذا الانجيل وهاك نصها :

« أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً ، مجتازين كل لحم نجس ، الذين ضلّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلّصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً » .

ويبين برنابا أن ادعاء ألوهية المسيح بدأ في حياة المسيح بسبب معجزاته واتجاهها في إحياء الموتى وإبراء الأكمة وغير ذلك مما ليس للبشر به عهد .

يقول برنابا : ونزل يسوع في السنة الثانية من وظيفته النبوية من أورشليم الى نايين ، فلما اقترب من باب المدينة كان أهل المدينة يحملون الى القبر ابنا وحيداً لأمه الأرملة ، وكان كل أحد ينوح عليه . فلما وصل يسوع علم الناس أن الذي جاء إنما هو يسوع نبي الجليل ، فلذلك تقدموا وتضرعوا اليه لأجل الميت طالبين أن يقيمه لأنه نبي فتقدم المسيح الى أم الميت وقال لها بشفقة : لا تبكى أيتها المرأة . ثم أخذ يد الميت وقال : أقول لك أيها الشاب باسم الله قم صحيحاً ، فانتعش الغلام .

ويواصل برنابا قوله في الإصحاح التالي : . : وكان جيش الرومان في ذلك الوقت في اليهودية لأن بلادنا كانت خاضعة لهم بسبب خطابا

أسلافنا ، وكانت عادة الرومان أن يدعوا كلَّ مَنْ فعل شيئاً جديداً ، فيه نفع للشعب ، إليها ويعبدوه • فلما كان بعض هؤلاء الجنود في تايين وبغخوا واحداً منا بعد آخر قائلين : لقد زاركم أحد آلهتكم وأنتم لا تكثرثون له ، حقاً لو زارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل ما لنا ، ، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أنه أثار شغباً بين شعب نايين ، فقال قوم منهم « إن الذي زارنا إنما هو إلها » قال آخرون « إن الله لا يثرى ، فلم يره أحد » حتى ولا موسى ، فليس هو الله بل بالحرى ابنه » وقال آخرون « انه ليس الله ولا ابن الله لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبي عظيم (١) •

المسيح ينكر القول بالوهيته ويقرُّ بشريته :

وتتكرر هذه الأحداث فيثقى عيسى المرضى أو يحيى الموتى ، وهذا يدعو الناس الى أن يحسوا ويجهروا أحياناً أن عيسى إله (٢) وينكر عيسى ألوهيته ويصرخ في وجه هؤلاء الضالين ليعيدهم الى الرشد ، ولكن بولس يتسلم هذه الدعوى فيضعها في قالب فلسفى • ويدعو بها بعد أن ادعى أنه رسول وأنه يتحدث باسم المسيح •

وقد أورد برنابا قول عيسى منكرآ ألوهيته : إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض ، أنى برىء من كل ما قال الناس عنى من أنى أعظم من بشر ، لأنى بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام (٣) •

ويدرك عيسى أن هذه الدعوى الكاذبة قد تنتشر فيهتف قائلاً : انقوا أقول لكم متكلماً من القلب : إني أقتسمر لأن العالم سيدعونى إلهاً ، وعلى أن أقدم لأجل هذا حساباً لعمر الله الذى نفسى واقفة فى حضرته إنى رجل

(١) اقرأ الاصحاحين ٤٧ ، ٤٨ •

(٢) انظر نماذج من ذلك فى الصفحات : ٧٥ — ١٠٦ — ١٠٧ — ١٣٩ —

١٤١ •

(٣) الاصحاح ٩٤ : ١ — ٢ •

فان كسائر الناس ، على أنى وإن أقامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة ، خادم الله وأنتم شهداء على هذا (١) .

أما مسألة أن المسيح لم يصلب ، فقد وضحا برنابا مقتبساً من عيسى قوله : اعلم يا برنابا أنه سييبنى أحد تلاميذى بثلاثين قطعة من نقود ، وإنى على يقين من أن من ييبنى يُقتل باسمى ، لأن الله سيغيّر منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياى (٢) .

ويقول برنابا فى وصف خاتمة المسيح على الأرض : لما دنت الجنود مع يهوذا سمع يسوع دثوَجْمٌ غفير فاستيقظ . وكان الحواريون الأحد عشر نياماً ، ثم رفع الله المسيح إليه ، ودخل يهوذا إلى الغرفة التى سعد منها يسوع فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع ودخل الجنود فأخذوا يهوذا وأوثقوه ظانين أنه يسوع (٣) .

وهكذا يتفق هذا الإنجيل فى أكثر مسائله مع القرآن الكريم ويزيل الهوة التى ابتدعها بولس والتى أبعدت المسيحية عن الأديان السماوية .

(١) الاصحاح ٥٢ : ١٠ - ١٤ .
(٢) الاصحاح ١١٢ : ٢٣ - ١٥ .
(٣) اقرا الاصحاحات ٢١٥ - ٢١٧ .

مصادر المسيحية في رأى الكنيسة

عرفنا أن مصادر المسيحية التي تعترف بها الكنيسة ، ليست من كتابة عيسى ولا من إملائه ، فكيف يجوز الاستدلال بها وكيف تتخذ وسيلة لإثبات عقائد المسيحية ؟ •

الجواب على ذلك عند المسيحيين سهل للغاية ، فهم يعتقدون أن هذه الأنجيل وتلك الرسائل موحى بها الى هؤلاء القديسين • وأن هؤلاء القديسين كانوا رسلا ، وأن الروح القدس أمدهم بالهدى والرشاد •

وهنا تتسع الهوة بين تفكير المسلمين وتفكير المسيحيين ، فإثبات الرسالة شئ ليس باليسير عند المسلمين ، فالرسول لا بد أن يشيع أمره ، وأن تكون له معجزات ، ولكن أكثر هؤلاء الرسل الذين يبلغ عددهم مائة وعشرين غير معروفين إطلاقاً ، والقليلون منهم يعرفهم خاصة المسيحيين فقط ، ولم ينسب لأكثرهم معجزات قط ، وقد نسب إلى قليلين منهم بعض خوارق ، ولكنها نسبة لا يوجد عليها دليل ثابت ، وعلى فرض صحتها فإنها ليست أكثر من أن تكون محض مصادفة أو — على أحسن تعبير — نوعاً من التكريم الذى يمنحه الله بعض الصالحين •

ونسبة الرسائل والأنجيل إلى أصحابها ليست قطعية ، ويوشك أن يكون مقطوعاً بخطأ النسبة في بعضها كإنجيل يوحنا •

ويكثر التناقض بين هذه الأسفار ، وقد عد الباحثون مئات من الأمثلة لهذا التناقض ، وخبر القبط على المسيح ومحاكمته ، موضع اختلاف كبير بين هذه الأنجيل ، والموحى به لا يمكن أن يوجد فيه مثل هذا التناقض ، وسنعطى أمثلة من التناقض عند الكلام عن نقد المسيحية •

ويتضح من الأناجيل نفسها أنها ليست إلهاماً ، فقد سبق أن اقتبسنا من لوقا السبب الذي جعله يؤلف إنجيله وذلك قوله « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المستيقنة عندنا كما سلمها لنا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس (١) » فلوقا يقرر أن السابقين ألّفوا قصصاً ، وذلك ينافي الإلهام ، وهو يقرر أنهم تسلموا هذه المعلومات من الذين كانوا منذ البدء معانين لا من روح القدس ، ثم هو يقرر عن نفسه أنه نوى وبدأ يكتب ما تتبعه من الأول فآين الإلهام وآين الوحي ؟

* * *

وبعد ، فهذه فكرة سريعة عن المسيحية ، نختمها بالدعاء والتضرع إلى الله أن يلهم القوم الرشاد حتى يعودوا إلى محيط الوحدانية السامى الذى هو أساس الأديان السماوية ، والذى بدونه يتحطم الرباط بين أتباع هذه الأديان .

ويوم يعود القوم الى التوحيد الخالص ، واعتبار عيسى عليه السلام نبياً كما كان ، يومئذ تنتهى هذه المشكلات المعقدة التى حاولوا دون فائدة أن يدللوا عليها ، وتنتهى أسطورة نزوله لتخليص الناس من خطأ آدم ، وتنتهى مشكلة الروح القدس وممن انبثق ، وتنتهى مشكلة طبيعة المسيح اللاهوتية والناسوتية ، وتنتهى مشكلة الرسل المائة والعشرين ، وتنتهى مشكلة الجامع التى تصنع الآلهة ، وتختار الأناجيل التى تثبت هؤلاء الآلهة .

ويوم يعود القوم إلى التوحيد الخالص سيظهر إنجيل المسيح ، ويقرأ الناس شعائر المسيحية كما علمها عيسى بن مريم ، وتلتقى المسيحية بغيرها من الأديان السماوية .

ليت هذا اليوم يجيء ، ولكن هيهات .

التشريع والمسيحية

مرّة التشريع في المسيحية بعدة مراحل ألمنا ببعضها فيما سبق من حديث ، ومن الضروري أن نذكر هذه المراحل هنا مجتمعة مرتبة لنرى تطور التشريع في المسيحية ونماذج منه ، وهاك هذه المراحل :

المرحلة الأولى : اتباع التشريع اليهودي :

تعتبر المسيحية التوراة وأسفار الأنبياء السابقين كتاباً مقدسة ، ويطلقون عليها « العهد القديم » كما ذكرنا من قبل ، وكانوا لذلك في عهودهم الأولى يتبعون شريعة اليهود والوصايا العشر عندهم ، وروى عن عيسى بن مريم قوله : إننى لم أجد لأغير الناموس ولكن لأقرر ، وسيأتى مزيد من إيضاح هذا في المرحلة الثانية •

ومن أجل هذا لم يأت عيسى بتشريع جديد ، وكل ما اهتم به هو الوعظ والوصية والتسامح ، ويعلل المسيحيون عدم اهتمام عيسى بالتشريع بقولهم :

(أ) إنه أراد الشريعة روحاً مُحْيِياً لا حرفاً ميتاً •

(ب) إنه أراد تجنب هذه الشريعة ما تفرضه عليها أحوال الزمان والمكان من تحوير •

(ج) إنه أراد أن يحترم حرية الإنسان فلا يسوقه مكرهاً إلى الخضوع للشريعة فيحرمه جزاء أعماله (١) •

وطبيعى أن هذا التعليل غير مقبول ، فإن عيسى لم يتحرر من التشريعات السماوية ، وإنما ألزم أتباعه بطاعة ما شرعه العهد القديم

(١) الأب بولس إلياس : يسوع المسيح ص ١٩٢ - ١٩٣ •

ثم إن التشريع الحكيم ليس حرفاً مميتاً ، ولا جامداً صلباً ، ولا يحرم الإنسان نتيجة الطاعة والامتثال ، والتشريع الحكيم يسرى في فكر الإنسان ويصبح معبراً عنه ومحققاً مطالبه ، وحامياً لحرماته .

المرحلة الثانية : عظات عيسى ومكانها من التشريع :

عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَعظِ كَمَا سَبَقَ • وَأَهْمُ مَا يَرُوى عَنْهُ عِظَةُ الْجَبَلِ وَهَآءُ مَقْتَطَفَاتُ مِنْهَا :

- طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات
- طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض
- طوبى للحزّان فإنهم يعزّون
- طوبى للجياع والعطاشى الى البر فإنهم يشبعون
- طوبى لأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله (١) •

التشابه والتناقض بين التشريع اليهودى والمسيحى :

ويرى المسيحيون أن عظة الجبل وما ماثلها نقلت التشريع فى المسيحية الى طور جديد • ويعقدون لذلك مقارنة بين الشريعة القديمة (اليهودية) والشريعة الجديدة (المسيحية) ونحن نوجز هذه المقارنة فيما يلى •

وجوه التشابه :

(أ) كلا الناموسين صادر عن الله •

(ب) كلا الناموسين يأمر بوجود حفظ الوصايا القديمة التى تسلمها موسى من الله على الجبل ، وهذا ما ذكر به السيد المسيح الشاب الغنى عندما سأله عن وسيلة لدخول الحياة الأبدية فقال : إن كنت تريد أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا المتعلقة بالله وهى :

(١) عظة الجبل كاملة فى متى : الاصحاح الخامس والسادس والسابع •

- أنا الرب إلهك فلا يكن لك آلهة أخرى •
- لا تصنع لك تمثالا ولا صورة تسجد لها •
- لا تتطق باسم الرب إلهك باطلا •
- اذكر يوم السبت انتقدسه •
- واحفظ كذلك الوصايا المتعلقة بالإنسان وهي : لا تسرق— لا تزن
- لا تقتل — لا تشهد الزور — أكرم أباك وأمك — لا تشته
- ما عند قريبك (١) •
- (ج) كلا الناموسين يجعل محبة الله رأس الوصايا •

وجوه التناقض :

أورد الكتاب المسيحيون تحت هذا العنوان صورا ليست في الحقيقة تشريعا جديدا ، ولا معارضة لشرعية موسى ، ولكنها في الغالب ألوان من التسامح ، وليس بها تعديل في التشريع إلا في الطلاق ، وفيما يلي هذه المقارنة •

(أ) نهت شرعية موسى عن القتل ، أما المسيح فقد ذهب الى أبعد من ذلك ، فنهى عن التفكير في الإساءة على العموم ، ورذل الغضب والبغض واحتقار الغير فقال : قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل فإن من قتل يستوجب الدينونة • أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة « (متى : ٥ : ٢١) •

(ب) ونهت شرعية موسى عن الزنا ، وأما المسيح فقد نهى عن كل فكرة دنس تداعب الحس والخيال فقال : « قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تزن • أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه » (متى : ٥ : ١٧) •

(ج) وأباحت شريعة موسى الطلاق • أما المسيح فأرجع الزواج الى صرامته ونقائه • فألغى الطلاق الذى ما سمح به موسى إلا لقساوة قلوب قومه ، وما سمح المسيح الا بالهجر بشرط ألا يعقبه زواج جديد •

(د) ونهت شريعة موسى عن الحنث بالعهود والحنث بالله ، أما المسيح فقد نهى عن الحلف على الإطلاق أياً كان نوعه ، فقال : قد سمعتم أيضاً أنه قيل للأولين لا تحنث بل أَوْفِ لِلرَّبِّ بِقَسَمِكَ ، أما أنا فأقول لكم لا تحلفوا ألبتة لا بالسماء فإنها عرش الله ، ولا بالأرض فإنها موطئ قدميه ، ولا بأورشليم فإنها مدينة الملك الأعظم ، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة منه بيضاء أو سوداء • ولكن ليكن كلامكم : نعم نعم ، ولا لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشر (متى ٥ : ٣٣ - ٣٧) •

(هـ) وتساهلت شريعة موسى فاعترفت بالانتقام ، وسلّمت بسنة العين بالعين ، أما المسيح فنصح بقبول الإهانة برباطة جأش ، فمن الحق أن ترد الكيل بالكيل والضربة بالضربة ، وإنما الحكمة كل الحكمة أن تبادل بالشر الخير ، فإن فعلنا فقد ركنا جهر نار على هامة المعتدى المسيء فقال : « قد سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن ، أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر » (متى ٥ : ٣٩) •

(و) ونصت شريعة موسى على محبة الاحباء وبغض الأعداء • أما المسيح فقد قال بمحبة الاحباء والاعداء ، فأضاف قوله : « قد سمعتم أنه قيل : أَحِبِّ قَرِيْبِكَ وَابْغُضْ عَدُوْكَ ، أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا الى من يبغضكم • وصلّوا لأجل من يعينكم ويضطهدكم لتكونوا بنى أبىكم الذى فى السموات ، لأنه يطلع شمس على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٣ - ٤٤) •

(ز) واكتفى الإسرائيليون بإتمام واجبات العدل لينال الانسان

النجاة ، أما المسيح فأنهم الناس أن العدل وحده يجبرُّ القلوب إن لم تمارجه دفقة من محبة (لوقا ١٦ : ١٩ - ٢٠) (١) .

ومن الواضح أن هذا ليس تشريعاً ولكنه تهذيب وتسامح ، ومن الواضح كذلك أن المسيحيين في الغالب لم يتبعوا في سلوكهم هذا الاتجاه ، بل لم يقنعوا بالعدالة التي قالت بها التوراة ، وراح أكثرهم يستعمرون الشعوب ويظلمون الناس .

المرحلة الثالثة : الرسل والتشريع :

وبعد عيسى بفترة قصيرة اتضح لقادة المسيحيين أن التشريع اليهودي شق على الأتباع الجدد وبخاصة من غير بنى إسرائيل ، وكان الختان من أهم ما شق على هؤلاء ، فأخذ المسيحيون يقللون من التكاليف والحرمان . وحصروها في الزنا ، وأكل الخنوق ، وأكل الدم ، وأكل ما ذبح للأوثان ، وأباحوا الخمر ولحم الخنزير والربا ، وهي محرمة في التوراة .

المرحلة الرابعة : بولس والتشريع :

وجاء بولس فلعب دوراً كبيراً في التشريع المسيحي ، فكان تارة يشرح ما روي عن عيسى ، وتارة يقترح من عنده هو ، وقد سبق أن تكلمنا عن هذا عند حديثنا عن بولس وعند حديثنا عن الأسفار التعليمية بالكتاب المقدس . وكان الختان من أهم ما عنى بولس بإيقافه ، وطالما صرخ في رسائله بقوله : ما هو نفع الختان (٢) ؟

المرحلة الخامسة : دور الرؤساء الروحانيين والجامع في التشريع :

وتسلم الرؤساء الروحانيون تراث التشريع من الرسل ومن بولس وظلوا يباشرونه حتى تم الاعتراف بالمسيحية فانقلت حق التشريع الى

(١) الاب بولس الياس ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) انظر مثلاً رسالته الى أهل رومية ٣ : ١ .

المجامع التي لم تكثف بالتقنين حول أمور الدنيا بل راحت تخلق الآلهة
وتقرر حق الغفران وعصمة البابا... كما سبق •

المرحلة السادسة : الكنائس والتشريع :

وقرر مجمع رومة سنة ١٨٦٩ عصمة البابا فانتقل حق التشريع إليه
كرأس للكنيسة ، وعن طريقه نَعِمَتِ الكنيسة بهذا الحق ، وقد
نَسَبَ المسيحيون عصمة الكنيسة الى عيسى ، يقول الأب بولس إلياس (١)
« لقد خول السيد المسيح الكنيسة عَيْنَ السلطان الذي تلقاه من أبيه
السماوى عندما قال لتلاميذه : كما أرسلنى الأب ، هكذا أنا أرسلكم •
وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعليم... وعصمة الكنيسة هذه
امتياز تنعم به هى والبابا رأسها نائب المسيح المنظور ، ولا يعتبر البابا
معصوماً عن الضلال إلا عندما يعلن أو يرذّل بطريقة احتفالية عقيدةً من
عقائد الإيمان ، أو تعليماً له مساس بالآداب المسيحية • ولا تزال هذه
المرحلة معمولاً بها حتى الآن •

وقد سبق أن اقتبسنا من السيد عبد الأحد داود قوله : إن المسيحيين
عندما أثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة فى إصدار القرارات
وتعيين المعتقدات والأحكام الى حبر رومية الأعظم الجالس على كرسى
الخلافة... وأصبح حكمه قطعياً (٢) •

وهكذا باشرت الكنيسة سلطاتها التشريعية ، ولا تزال تباشرها ،
ومن القرارات الهامة التى اتخذتها تيرئة اليهود من دم المسيح ، وهو
قرار لعبت السياسة دوراً لاتخاذها ، ويرى كثير من الباحثين أن عدداً من
الكرادلة الذين ائتركوا فى تأييد هذا القرار ينحدرون من أصل يهودى ،
وانهم اعتنقوا المسيحية لغرض خدمة اليهودية •

قد يقال إننا نحن المسلمين نرى أن الله أنجى عيسى من اليهود ، فهم

(١) يسوع المسيح ص ١٨٨ و ١٩٠ •

(٢) الانجيل والصليب ص ٢٣ •

بذلك لم يقتلوه ، ونجيب بأن اليهود لا يعترفون بأن شبيها لعيسى حل محله ، وعدم اعترافهم بذلك يتضمن اعترافهم بقتله أى بقتلهم له لأن هناك شخصاً قُتِلَ قطعاً ، ولكنها عادة اليهود ، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، كما نص على ذلك الذكر الحكيم (١) .

نماذج من التشريع المسيحى :

أهم العبادات عند المسيحيين الصوم والصلاة ، وتحديدتهما ليس متفقاً عليه ، ويرى كثيرون من المسيحيين أن الانتظام فى الصوم والصلاة توجيه اختيارى لا إجبارى ، ومعنى الصوم عندهم الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خال من الدسم ، ويشمل الصوم عند المسيحيين صوم يوم الأربعاء وهو يوم المؤامرة التى انتهت بالقبض على عيسى ، ويوم الجمعة لأن المسيح صلب يوم الجمعة . وصوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهى بعيد الميلاد ، والصوم المقدس وعدد أيامه ٥٥ وهى عبارة عن الأربعين يوماً التى صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعان : الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعينى المقدس ، والأسبوع الثانى أسبوع الآلام ويأتى بعد الأربعين وينتهى بأحد القيامة . ويمتنع فى هذا الصوم أكل لحم حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، ويقتصر على أكل البقول ولا يُعقَد فى أثنائه سر الزواج ، ثم يجىء صيام الرسل وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف وتتراوح مدته بين ١٥ و ٤٩ ، وصوم العذراء ومدته ١٥ يوماً تبدأ من أول شهر مسرى .

أما الصلاة فسبع صلوات فى اليوم واليلية وهى صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والحادية عشر والثانية عشرة ومنتصف الليل (٢) واهتمامهم بالصلاة أكثر من اهتمامهم بالصوم . وليس للصلاة ترتيب خاص ، وانما هى أدعية تختلف من مكان إلى مكان ، وغاية ما يلزم أن

(١) سورة البقرة الآية ٨٥ .

تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي قدمها لهم المسيح وهي :
أبانا الذي في السموات ، ليقبلك اسمك ، ^{لأبنا} ~~لأبنا~~ ملكوتك ، لتكن مشيئتك
كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم ، واغفر
لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا في
تجربة ، ولكن نجنا من الشر .

تشريعات حول الأسرة :

ومن التشريعات حول الأسرة أن الأصل أن يترهب الناس رجالا
ونساء ، ولكن لما كان ذلك غير ممكن أجاز الزواج ، وكان تعدد الزوجات
معمولا به في مطلع المسيحية تبعاً للتعدد الذي قالت به اليهودية ، ولكن
للجمع بين اتجاه المسيحية للمهنة وبين ضرورة الزواج خوف الزنا ، أصبح
الزواج مباحا من واحدة فقط ، ولا يجوز الطلاق إلا في حالة الزنا ، فإذا
تم طلاق بسبب الزنا لا يجوز لأي من هذين الزوجين أن يتزوج مرة
أخرى أما اذا كان الفراق بالموت فإن الحي يجوز له أن يتزوج ، وهم في
مسألة الطلاق يخالفون اليهودية التي تجيز الطلاق بدون زنا ، وهناك
حالة أخرى غير الزنا يجوز فيها الطلاق في المسيحية وتلك إذا كان أحد
الزوجين غير مسيحي فيصح^١ التفريق عند تهاجرهما وعدم الألفة بينهما .

الاهتمام بكثرة النسل :

ويهتم المسيحيون بكثرة النسل ويحاربون تحديده ، ومما ينسب الى
البابا بيوس الثاني عشر قوله في الاتحاد الايطالي لجمعيات العائلات
الكثيرة العدد سنة ١٩٥٨ ما يلي : إن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب
المسيحية ودليل على الإيمان بالله والثقة بعنايته الإلهية ومجلبة للأفراح
العائلية (٣) ، ويزيد اهتمامهم بكثرة النسل في البلاد التي يكونون فيها
أقلية أو مساوين في التعداد تقريبا لاتباع غير المسيحية من الديانات ،

(١) انجيل متى ٦ : ٩ - ١٢ .

(٢) مجلة الوثائق الكاثوليكية العدد ١٢٧١ سنة ١٩٥٨ .

ولذلك تراهم فى الشرق بوجه خاص يتجهون إلى إكثار النسل فى الوقت الذى يتجه فيه سواهم من أتباع الديانات الأخرى بهذه المنطقة الى تحديد النسل • !!

فقر فى التشريع :

وفى ختام هذه الدراسة نقرر أن المسيحية فقيرة فى تشريعاتها ، وأنها دين يعنى بالروحانيات ، ولا يهتم بشئون الدنيا • وهذا يؤكد أنها تكلمة لأديان بنى إسرائيل ، فقد تركت لهذه الأديان كل مسائل التشريع أو أكثرها وقنعت بتوجيه كل العناية الى الجانب الذى أهمله اليهود ، وهو جانب التسامح والحب والزهد فى الدنيا •

الطوائف المسيحية

عند حديثنا عن « طبيعة المسيح والآراء حولها » فيما سبق ، وضَّحنا أنه بسبب الاختلاف في القول عن هذه الطبيعة ، تكوَّنت مذاهب مسيحية متعددة ، ولكن هذه المذاهب لم تستقر بعد تكوينها ، فقد تَكَرَّرَ في تاريخ المسيحية حدث "عظيم لم يتخلف" هو التجاء الجانب القوي إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهاد والتعذيب والتنكيل والحرق والإفناء يسلمها على الجانب الضعيف كما قلنا من قبل ، والعجيب أن المسيحيين اضطهَدوا من اليهود والرومان ، ونزلت بهم الولايات في القرون الثلاثة الأولى ، فلما بدأ جانبهم يشتد رأيناهم يُنزلون نفس الولايات بمخالفهم من أبناء دينهم ومن أتباع الأديان الأخرى ، ومن هنا فنيت مذاهب مسيحية كثيرة كان بعضها في وقت ما له الغلبة في العدد ولكن تنقصه القوة والسلطان ، وكان فناء هذه المذاهب بسبب قسوة اليهود والرومان أحيانا ، وبسبب قسوة فرق مسيحية أخرى قويت واشتدت بالأباطرة وذوى النفوذ .

وبجانب ذلك ظهر في العصر الحديث مذهب جديد هو مذهب البروتستانت وستنكلم فيما يلي كلمة قصيرة عن أشهر الطوائف الموجودة الآن :

(أ) الكاثوليك :

كنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسيّة أو الرسولية . ومعنى الكاثوليكية أى العامة لأنها تُدعى أم الكنائس ومعلمتها ، ولأنها وحدها التى تنشر المسيحية فى العالم ، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها الى الغرب اللاتين خاصة أى الى بلاد ايطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان وسميت الكنيسة البطرسيّة أو الرسولية لأن أتباعها

يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم ،
والبابوات في روما خلفاؤه •

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة
وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة ، إذ يتكوّن منهم
المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية •
لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله ، ومن هنا
كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة (١) •

(ب) الأرثوذكس :

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو
اليونانية ، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على
العموم كروسيا والبلقان واليونان ، كان مقرها الأصلي القسطنطينية ،
وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك
القسطنطينية سنة ١٠٥٤ (٢) ، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة •

أسباب انقسام الكنيسة الى كاثوليكية وأرثوذكسية :

وينبغي أن نقف هنا لنشرح الأسباب التي دعت الى انقسام الكنيسة
الى كاثوليكية وأرثوذكسية ، وقد تكلم Garvie (٣) عن ذلك ،
وسنستعين برأيه لنضيفه الى رأينا الخاص :

إن الدارس لأسباب هذا الانقسام يجد أنها سياسية أحيانا ودينية
أحيانا أخرى :

(١) محمد فؤاد الهاشمي : الاديان في كفة الميزان ص ٤٤ .
(٢) Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol. 3p. 590.
(٣) Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol. 3p. 590.

الأسباب السياسية هي :

١ - قسّم الامبراطور تيودوسيوس Theodosius الامبراطورية الرومانية قسمين : سنة ٣٩٥ غربية وعاصمتها روما وشرقية وعاصمتها القسطنطينية ، وبعد وفاته أصبح ابن « أركاديوس » (٤٠٨) امبراطورا على الامبراطورية الشرقية ، وصار ابنه الثانى « هونوريوس » امبراطورا على الامبراطورية الغربية ، هذا التقسيم أتاح للمسيحية مركزين للسلطة والنفوذ ، وأخذت العاصمة الجديدة مكان المنافس لمدينة روما •

٢ - سقطت الامبراطورية الرومانية الغربية بهجوم البربر عليها سنة ٤٧٦ م فأعطى هذا فرصة لكنيسة روما أن تضم الى نفوذها الدينى نفوذا سياسيا ، فادعت أن من حقها أن تحكم العالم المسيحى كله ، ولم تقبل أن تقسم النفوذ مع كنيسة القسطنطينية ، وأعلنت الكنيسة الغربية أن رئيسها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحى للجميع ، ولم تقبل الكنيسة الشرقية ذلك وإن كانت فيما بعد تساهلت فاعترفت بتقدمه لها برياسته •

الأسباب الدينية :

أما الأسباب الدينية فخلاصتها أن منطقة الامبراطورية الشرقية متصلة^١ بأرض الديانات ، حيث ازدهر التوحيد فترات طويلة قبل المسيحية وفى مطلعها ثم بعد ذلك فى العصر الاسلامى ، وفى هذه المنطقة كانت هناك أسس دينية ثابتة كتحریم الدم المخنوق ودهن الخنزير ، فلما استقر الأمر بالمسيحية الى التثليث واعتبار السيد المسيح إلها بقى فى الكنيسة الشرقية بعض المظاهر التى انبثقت من الماضى ، ويظهر ذلك مما يلى :

١ - تأثرت كنيسة روما بالدم الألمانى ونشُر المسيحية بين الوثنيين أما كنائس الشرق فقد تأثرت بالتفكير الشرقى ونشُر المسيحية بين قوم قديمى عهد بالأديان ، وقد بدأ بذلك الخلاف بين الكنيستين ، ثم أخذ ينمو ويزداد حينما تساهلت كنيسة روما لتجذب لها الجرمان واللادينيين فأحلت أكل الدم المخنوق وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تقبله الكنائس الشرقية •

٣ - قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معاً ، وأصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط .

٤ - قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن ، وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الاثنين .

٥ - قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ومشئنة واحدة ، وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ومشئتان .

ولا تزال الأسباب الثلاثة الأخيرة هي قمة الخلاف بين الكنيستين . وقد سبق أن أشرنا الى أن الكنائس الغربية ظلت محتفظة بوحدتها بزعامة كنيسة روما ، ولكن الكنائس الشرقية انقسمت الى وحدات ، كل وحدة منها مستقلة وإن اتفقت جميعها في المشرق والاتجاه .

والكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الإكليروس ويبدأ من البطريرك يليه في الرتبة المطارنة ، ثم الأساقفة ، ثم القسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة ، ثم القسس العاديون ويسمون القساوسة وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور حول الكنيسة (١) .

(ج) البروتستانت :

وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية ، وقصد بهذه التسمية الى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى ، فلكل قادر الحق في فهمه ، وجميعهم متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب ، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفاً على رجال الكنيسة ، والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام

(١) محمد فؤاد الهاشمي . الاديان في كفة الميزان ص ٤٤ .

والتعاليم غير المكتوبة التي يتناولها البابوات الواحد عن الآخر ... (١)
وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا وانجلترا والدانمرك وهولندا
وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية ولكن الإنجليز اعتقدوا أن حركة
الإصلاح حركة عادلة رشيدة ، وأنها هي الأصل فيما يجب أن تكون عليه
الكنيسة الكاثوليكية ومن ثمّ استبقى الإنجليز استعمال كلمة الكنيسة
الكاثوليكية على الكنائس التي هي نتاج حركة الإصلاح دون أن يحتاجوا
أن يطلقوا عليها كلمة بروتستانتية ، وللتفريق بين تسمية الكنائس
الإنجليزية والكنيسة الكاثوليكية الأصلية أطلقوا على كنيسة روما وأتباعها
الكنيسة الرومانية الكاثوليكية « (٢) » .

وتتبع الكنيسة البروتستانتية نظاماً تعاونياً أى يتعاون أعضاؤها على
القيادة والوعظ ، مع عدم المساس بالاستقلال الذاتى لكل كنيسة .

* * *

والصراع عنيف بين هذه المذاهب فى الحاضر كما كان فى الماضى ، فقد
اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المبرزين كفرّة وملاحدة ومنعواهم
من الحج للقدس لأنهم ارثوذكس (٣) وقد ساد هذا الاتجاه جميع المذاهب
المسيحية ، فكتاب القسطاس (٤) البورتستنتى يهاجم الكاثوليكية بعنف
وكتاب الصخرة الأرثوذكسية يفندّ تعاليم كل من الكاثوليكية
والبورتستانتية ولو صدقنا هذه الكتب التى دونّها قادة مسيحيون
لانتبهنا إلى نتيجة حاسمة هى بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على
المسيحية كلها ، وقد مرّ أمدٌ طويل وفى ايرلندا بالمملكة المتحدة صراع
دموى بسبب الانتماء الى مذاهب مسيحية مختلفة .

(١) Pengadjaran Geradja Katolik p. 119.

(٢) Encyclopaedia of Religions and Ethice Vol. 5 pp. 258-259.

(٣) ميخائيل فكس : القدس عبر التاريخ ص ٥٧ .

(٤) أنظر كتاب القسطاس البورتستنتى وكتاب الصخرة الارثوذكسية

• لحبيب جرجس

الكنيسة وطقوسها وأسرارها

ويتصل بالطوائف المسيحية بحثاً عن الكنيسة وتقاليدها وأسرارها يُعنى به المسيحيون ، وقد مرّ أكثر ما به من مادة في ثنايا هذا الكتاب ، ولكن لا بأس من إيجازه هنا تبعاً لاتجاه هؤلاء الباحثين :

طقوس الكنيسة :

الطقوس في اصطلاح الكنيسة هي مجموع الصلوات والابتهالات التي تتم في الاحتفالات الكنسية ويقوم بها الكاهن مع الذين يساعدونه في أداء الأسرار المقدسة ، ومن هذه الطقوس السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة ، والبخور ، والقرايين ، وأداء الصلوات السبع التي فرضتها الكنيسة ، وهي صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ثم صلاة منتصف الليل (٢)

أسرار الكنيسة :

أسرار الكنيسة سبعة هي :

١ - سر المعمودية وقد سبق الحديث عنها .

٢ - سر المسح بالميرون المقدس ، ويمسح به عقب الخروج من المعمودية ، والميرون مزيج من العقاقير عليه بقايا تحدّرت - كما يدعى رجال الكهنوت - من الدهن الذي صنعه الرسل ولا يمسح بالميرون إلا الكهنة .

٣ - سر العشاء الرباني وقد سبق الكلام عنه .

٤ - سر التوبة والاعتراف ، ويلزم أن يكون الاعتراف أمام كاهن ، وأن يكون الاعتراف كاملاً وواضحاً ، ومن ثمار هذا الاعتراف الحصول على غفران الخطايا ويمنح الكاهن هذا الغفران !! وسنرى أن ذلك السر

سيكون من الأسباب التي أثارت كثيرين على المسيحية ، فخرجوا على الكنيسة وأنشأوا جماعة البروتستانت •

٥ - سر الكهنوت وهو السر الذي يُختار به رجال الدين ويعينون في مناصبهم الكهنوتية •

٦ - سر المسح على المريض ليشفى جسماً وروحياً •

٧ - سر الزواج للربط بين الزوجين رباطاً مقدساً دائماً (١) •

وتُسمّى هذه أسراراً حتى تُسدّل هالة من التقديس والرهبنة على القسّس الذين يزاولونها •

الرهبنة والأديرة

ويتصل بالكنائس أيضاً حديث عن الرهبنة والأديرة جدير بالذكر ، فقد عانى المسيحيون في عهد الاضطهاد صنوقاً من التعسف والقسوة كما ذكرنا من قبل ، وكان ذلك - كما يقول الكتاب المسيحيون - تدريباً للمسيحيين على التضحية وحب الفداء • فلما بدأ عهد الحرية تحسّر أولئك الذين فاتهم ركب التضحية وسفك الدماء ، فقرروا أن يضحوا بمتعهم إذ فاتهم أن يضحوا يدمائهم ولجأوا للتفرّد بالجبال ، والابتعاد عن ضجيج الحياة ، والحرمان وتعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب • والتبتل وعدم الزواج ، والعكوف على العبادة تقديراً للمسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر ، وبخاصة أنهم أدركوا بطلان هذا العالم وخداع مظهره الخلاب •

مراحل الرهبنة :

وقد مرت الرهبنة بمراحل ، فكانت في المرحلة الأولى هروباً من

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٢١٠ - ٢١٤ وتاريخ الاقباط
لزكى شنوده ص ٢٥٦ - ٢٦٤ •

الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس ، وانطلاقاً في الصحارى والبرارى ولجوءاً الى الكهوف ، بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل • مع المحافظة على الوحدة والتفرد •

وبمرور الزمن كثر عدد الراغبين في الترهيب ، ومال هؤلاء الى نوع من الاجتماع والمعاشرة إذ تعرض بعضهم الى عدوان اللصوص والمجرمين فبنوا لهم صوامع متجاورة ، ثم انتهى بهم الأمر الى بناء أسوار عالية تضم بداخلها عدداً من الصوامع ، فنشأ عن ذلك « الدير » ، وكثرت بعد ذلك الأديار وانتشرت هنا وهناك •

الرهينة استجابة لتعليمات المسيح :

على أن الرهينة لم تنشأ فقط بسبب الرغبة في التضحية والفداء بعد أن توقف الاضطهاد ، بل إن المسيحيين ينسبون أسسها الى السيد المسيح الذى احتقر المال والعتاد والتمسك بالأسرة ، ويروى عنه في ذلك قوله :

— إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعنى •

— من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابناً أو ابنة فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ، ومن أضع حياته من أجلى سوف يجدها •

— من ترك بيوتاً أو حقولاً من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية •

— للشعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه (١) •

(١) متى الاصحاح ١٦ الفقرات ٢١ وما بعدها .

أما اللجوء الى الجبال والبرارى فمقتبسة من السيد المسيح أيضا ،
فقد كان يصعد الى الجبل حين يريد أن يصلى أو يعلمّ الجموع ، ومن
يوحنا المعمدان الذى كان يعيش فى البرية ويكرّز فيها •

أسس الرهينة :

ومن أسس الرهينة عدم الزواج أى التبتل ، وعن ذلك يحدث
السيد المسيح فى قوله : يوجد خصيان ولدوا هكذا ، ويوجد خصيان
خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات
من استطاع أن يحتمل فليحتمل (١) ، وسنعود فيما بعد بالنقد لهذا النظام
الذى يجر على العالم الخراب والدمار •

وأما التقشف والفقر وتعذيب الأبدان بالجوع والعطش وخشن
اللباس فقد أعاده المسيحيون الى الاقتداء بالسيد المسيح فى زهده
واحتماله الآلام ، وبما جاء فى أعمال الرسل : إنه بمضايقات كثيرة ينبغي
أن تدخل ملكوت الله •

وأما الطاعة التامة التى يدين بها الرهبان لرؤسائهم فيرجعونها الى
قول المسيح : مع كونه ابناً تعلم الطاعة (٢) •

اقتباس من الفكر الهندى :

والباحث فى مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين فى تصرفاتهم هذه
اتبعوا المنهاج الهندى دون تحريف ، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم
... هى سياسة الهندوسية والبوذية التى وصفناها بوضوح فى كتابنا
« أديان الهند الكبرى » •

(١) متى ١٩ : ١١ — ١٢ •

(٢) انظر تاريخ الاقباط للأستاذ زكى شنودة من ١٧٨ — ١٩٢ ويسوع
المسيح للأب بولس الياس من ٢٦٧ — ٢٨١ • والدموى الرهبانية فى الكنيسة
غلاب موجته من ٣٤ •

وليس الالتحاق بالرهينة شيئاً يسيراً ، فطالب الالتحاق يختبر ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق ، وحينئذ يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة ، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات ، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم أى ضمن العلمانيين .

ويرى الباحثون الأقباط أن نظام الرهبان نشأ في مصر أول ما نشأ ، ثم نقله الرهبان الأقباط الى ايطاليا وفرنسا وغيرها من الدول (١) .

انحرافات الأديرة

تحدثنا آنفا عن الرهينة ، وأنها نشأت عن الرغبة في التضحية والفداء والطهر ، وأن الباحثين يرجعون بها الى خلق السيد المسيح ، وأن الأديرة نشأت لمساعدة الرهبان على هذه الأهداف السامية ، بيد أن حياة الطهر في الصوامع والأديرة كانت قصيرة العمر جدا ، فسرعان ما تطرقت لها الفساد وتسلطها الفسوق ، حتى أنه يُنسب الى مثنىء الأديرة « الأنبا أنطونيوس » أنه قال لزميله « مكاروريوس » :

« قم يا مقاره ، اقبل الديارة ، لأن الرهينة فسدت (٢) » .

ويقول الأنبا « باسيليوس » مطران أبى تيج : إن الأديرة لا تقي من الفساد ، وإن الرهبان يحيون حياة شريرة (٣) .

وتقول المجلة المسيحية « رسالة الحياة » ما يلي عن الرهينة والأديرة :

الأديرة تحتوى على فساد عميق ، وهيهات أن يوجد بها من يصلح

(١) تاريخ الأقباط ص ٢١٤ .
(٢) مجلة رسالة الحياة المسيحية السنة الاولى العدد السادس ص ٧٤
(٣) انظر بحثه عن الأديرة في كتابه صوت الصحوة

للبناء ، إذ أنها تضم بين جدرانها أفاقين أولى بهم غيابات السجون (١) .
وإذا كانت هذه الأقوال عن الأديرة مجملة ، فإن بين أيدينا أوثق
كتاب عن الأديرة هو كتاب « الديارات » للشابوشتى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ
(٩٩٨ م) ، وقد حققه الباحث المسيحي كوركيس عواد معتمداً على نسخة
خطية كانت عند الأب « أنستاس مارى الكرملى » نقلها بيده عن النسخة
المصورة بالفوتوغراف عن المخطوطة الوحيدة للكتاب فى خزانة كتب برلين ،
وذكر الأستاذ كوركيس عواد أن البطريك « مار° أرناطيوس » أمده
بمزيد من المعلومات عن الديارات السورانية التى تحدث عنها الشابوشتى ،
وقد نُشِرَت هذه الاضافات فى ذيل الكتاب . وكل هذا يجعل ما ورد فى
الكتاب من أحداث عن الديارات موضع تسليم من جميع الباحثين .

وسنعيش مع هذا الكتاب لنرى ما آلت اليه حال الأديرة منذ هذه
العصور المبكرة .

وأول ما نقتبسه من هذا الكتاب سطور من مقدمة المحقق يتحدث
فيها عن أن الأديرة كانت مجالات للأنس والطرب ومواطن للنزهة
واللهو ، وأن كل دير من الديارات كان محصناً بسور مكين شاهق يدفع
عنه شر الهجمات . ويقيه غائلة المعتدين عليه (٢) ، وربما جاز لنا أن نقول
إن هذه الأسوار كانت تخفى ما يدور بداخل الديارات من انحراف
وأسرار .

والديارات التى تكلم عنها الشابوشتى هى ثلاثة وخمسون ديراً
أكثرها بالعراق (٣٧ ديراً) وبعضها بالشام (١٣ ديراً) ومصر (٩)
والجزيرة (٤) وقد شملها الانحراف جميعاً مما يدل على أن الأديرة فى
أى موقع كانت قد رحبت بهذا اللون المنحرف من الحياة ، فكأن الانحراف
كان جزءاً مهمّاً من أعمالها وأنشطتها .

(١) العدد السابق ونفس الصفحة .

(٢) ص ٢٦ و ٤٩ من المقدمة .

دَيْرُ دُرْمَالِس :

ولنذهب الآن الى صلب الكتاب فأول دير تكلم عنه الشابوشتى هو « دير دُرْمَالِس » وعنه يقول المؤلف : هو من البقاع المعمورة بالقَصْف والمقصودة بالتنزه والشرب ، وعيده أحسن عيد يجتمع نصارى بغداد به ، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلا تبعهم ، ويقيم الناس فيه الأيام ، ويطرُقونه في غير الأعياد ، ولأبى عبد الله ابن حمدون النديم فيه أبيات منها :

يادير دُرْمَالِس مَا أَحْسَنكَ ويا غزال الدَيْر مَا أَفْتَنَكَ
لَنْ سَكَنْتَ الدَيْرَ يَا سَيْدِي فَإِنْ فِي جَوْفِ الْحِشَا مَسْكَنَكَ^(١)

دير الثعالب :

فإذا استطردنا في قراءة الكتاب قابلكنا دير آخر هو دير الثعالب ويقول عنه الشابوشتى : إنه لا يخلو من أهل البطالات ، والتطرب ، واللذات ، فمواطنه أبداً معمورة ، وبقاعه بالمتنزهين مشحونة ، ويروى الشابوشتى كثيراً من الأشعار التي قيلت فيه ومنها نقتبس نموذجاً قصيراً هو

دير الثعالب مآلف الضلال ومحل كل غزاة وغزال
كم ليلة أحبيتها ومنادى فيها أبج مقطع الأوصال
سمح بوجود بروحه فإذا قضى ومضى سمحت له وجدت به إلى
ومنعم دين ابن مريم دينه غنج يشوب مجونه بدلال^(٢)

دير العذارى :

ولننتقل الى دير يحمل قصة خطيرة هو « دير العذارى » ويقول عنه الشابوشتى انه سُمِّيَ بدير العذارى إذ أقيم لبعض الجوارى المتبتلات العذارى فكن سكانه وقطانه ، فسُمِّيَ الدير بهن ، ويروى

(١) ص ٣ و ٤ .

(٢) ص ٢٤ ، ٢٥ .

الشابوشتى عن الجاحظ أنه قال : حدثنى ابن فرج الثعلبى أن قوماً من بنى ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان ، ولكن السلطان عرف ذلك فأتبعهم برجاله فاخفقوا فى دير العذارى ، فلما أمنوا خلا كل واحد منهم بجارية كان يظنها عذراء ولكنهم جميعاً تبينوا أن القس الذى كان موكلاً بحماية الدير قد اعتدى عليهن جميعاً . وقد قيل فى ذلك قصائد وأشعار طويلة منها ما قيل عن هذا الراهب وعن أفعاله :

إذا ما مشى غضب من طرفه وفى الدير فى الليل منه عرام (١)

دير مرمار :

وهناك دير آخر هو « دير مرمار » فى « شر من رأى » ويقول عنه الشابوشتى إنه من مواضع النزهة ، ويروى عنه قول الشاعر :

أمضيت فى « شر من رأى » خير لذتى

ونلت فيها منى نفسى وشهواتى

عمرت فيها باقاع اللهومغماً	فى القصف ما بين أنهار وجنات
بدير مرمار إذ نحى الصبوح به	ونعمل الكأس منه بالعشيات
بين النواقيس والتقدیس آونة	وتارة بين عيدان ونايات
وكم به من غزال أعيد عزل	يصيدنا باللاحاظ البابلیات (٢)

دير مریحنا :

ونجى الآن الى « دير مریحنا » الذى يقول فيه الشاعر :

أرى قلبى قد حننا	إلى دیر مریحنا
الى ظبى من الإنس	يصيد الإنس والجنا
إلى أحسن خلق الله	إن قدس أو غنا
فلما دارت الكأس	أدرنا بيننا لحننا
ولما هجع السمكار	نمنا وتعانقنا (٣)

(١) ص ١٠٧ و عرام معناها شراشة .

(٢) ص ١٦٢ و ١٦٤ .

(٣) ص ١٧١ و ١٧٢ .

ديير ماسرجيس :

وهناك دير كان واسع الشهرة على نهر الفرات هو «دير ماسرجيس» ويفهم مما قيل فيه من أشعار أن الذين يعيشون فيه لم يكونوا من النصارى أو الرهبان ، بل كان يفد للحياة به من لا يعتنق المسيحية ليجلب له الرواد من طلاب اللذة والمتعة ، ويؤخذ هذا من قول الشاعر :

وغزالٍ مكحلٍ ذى دلال	ساحر الطرف بأبلى عروس
دينه معلنٌ لدين النصارى	وإذا ما خلا فدين الجوس
قد خلونا بظبية نجتليها	يوم سبت الى صباح الخميس
بين ورد و نرجس وبهار	وسط بستان دير ماسرجيس (١)

ديرقنتى

وفي العراق كذلك دير يعرف بدير « قنتى » أو دير مارى السليح أى الرسول ، وفيه يقول الشاعر :

وكم وقفقة فى ديرقنتى وقفنتها	أغازل فيهفاتن الطرف أحورا
وكم فنكة لى فيهلم أنس طيبها	أمت بهاخير أو أحببت منكر (٢)

ديير القصير :

فإذا جئنا الى أديرة مصر قابلنا دير القصير ° فى أعلى جبل المقطم وكان به من المجون ما بأديرة بغداد ، وفيه يقول الشاعر :

كم لى بدير القصير من قصف	مع كل ذى صبوة وذى طرف
لهسوت فيه بشادن غنج	تقصر عنه بدائع الوصف (٣)

(١) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٢) ص ٢٣٦ .

(٣) ص ٢٨٠ .

دير مار يوحنا :

ونقابل في مصر كذلك « دير مارحنا » ويسمى أيضاً دير مار يوحنا ويقول عنه الشابوشتى إنه من مواضع اللعب ومواطن اللهو والطرب وكان يقع على شاطئ بركة الحبس بالقرب من نهر النيل ، وهي الآن تعرف بدار السلام ، وفي الدير والبركة يقول الشاعر :

واقترأ على دير مارحنا السلام فقد أبدى تذكّره منى صباباتى
وبركة الحبس اللاتى ببهجتها أدركت ماشئت من لهوى ولذاتى
منازلا كنت أغشاها وأطرقها وكن دوماً مواخيري وحاناتى^(١)

تلك هي الأديرة هنا وهناك كما تحدث عنها الشابوشتى وقد وضحت مجلة الحياة المسيحية في الأعداد التي أشرنا لها أننا أن الأديرة لا تزال في العصر الحديث تمارس ما مارسه في الماضي ، وقد أشارت الصحف حديثاً بأقلام مسيحية الى ما يحدث من انحرافات في الموالد المسيحية ، وكل هذا يدق ناقوس نحو هذا الخطر العظيم .

حركة الاصلاح الدينى

الحديث عن المذهب البروتستانتى أو عن حركة الاصلاح الدينى يحتاج أن نبدأ بذكر شىء من التفصيل لبيان حالة الكنيسة قبيل هذه الحركة الاصلاحية ، وفيما يلى أهم الأسباب التى دعت الى الثورة والتى أنتجت حركة الاصلاح .

١ - سلطة البابا :

وأول ما نبرزه هو السلطة التى حصل عليها البابا ، تلك السلطة التى منحها له الجامع أو التى منحها له الظروف وقد رأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ٨٦٩ قرر أن الفصل فى المسائل الدينية من اختصاص كنيسة روما ، وأن المسيحيين جميعاً يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة ، ورأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ١٢١٥ يقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء ، وطبيعى أن من يملك حق الغفران يملك حق الحرمان .

أما السلطة التى منحها الظروف للبابا فمرجعها الى الانقسام السياسى الذى حصل فى الدولة الرومانية والى الصراع الذى جاء عقب ذلك ، وفى وسط هذا الانقسام وذلك الصراع استقل البابا استقلالاً تاماً ولم يعد تابعاً لأى من الملوك والأمراء ، وقد اعترف الجميع له بالاستقلال تخلصاً من التنافس على السيطرة على الكنيسة ، ومن ثم صار تعيين البابوات بطريق الجامع لا بطريق الأباطرة وهذا أيضاً قووى سلطان البابا .

وفى الوقت الذى لم يعد البابا تابعاً لأى من الملوك كان الملوك بحكم أنهم مسيحيون تابعين للبابا وخاضعين له تبعاً لقرار المجمع آنف الذكر الذى جعل كل المسيحيين ملزمين بطاعة البابا وخاضعين له .

وكان المسيح كما يعتقدون قد أقام بطرس الرسول خليفة له ليرأس الحواريين ويدير شئون المسيحيين ، وقد أنشأ بطرس كنيسة روما ، والبابا خليفة لبطرس في رياسة هذه الكنيسة وفي إدارة شئون المسيحيين ، فالبابا على هذا خليفة للمسيح ، له سلطاته ومكانته •

وقد باشر رجال الدين هذه السلطات بكثير من التوسع بل النزق أحياناً ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرارات الحرمان حتى على الملوك والعظماء ، وأصبحت الكنيسة بذلك هي التي تفهم الكتاب المقدس ، وهي التي تصدر القرارات بناء على هذا الفهم وبناء على العلم الذي يدوّن والذي يتوارثه البابوات كما سبق • ولا معقب لما تقول الكنيسة ، و « وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول • وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبدأً دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع فعله أن يشك في العقل ولا يشك في قول البابا (١) •

٢ — الاستحالة :

ومن هذه الأشياء التي أعلنتها الكنيسة مسألتان لا أصل لهما في الإنجيل المعروفة ولا يستسيغها العقل ، وهاتان المسألتان هما :

١ — الاستحالة •

٢ — غفران الذنوب •

والاستحالة هي اعتقاد المسيحيين أنهم حينما يأكلون الخبز ويشربون الخمر يوم الفصح وهو المسمى عندهم بالعشاء الرباني يستحيل الخبز إلى لحم عيسى وتستحيل الخمر إلى دمه فمن أكل ذلك الخبز وشرب تلك الخمر فقد أدخل المسيح في جوفه وامترج به وبتعاليمه (٢) وقد سبق الحديث عن العشاء الرباني • *هو الإفخارستيا*

(١) ابو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٦٨ •

(٢) متى ٢٦ و ٢٧ لوقا ٢٢ : ١٨ مرقس ١٤ : ٢٢ •

٣ - غفران الذنوب :

وأما غفران الذنوب فقد أصبح بدعة عجيبة (١) فإذا أراد البابا أن يبنى كنيسة أو يجمع مالا لشيء ما ، طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب وبالصك فراغ " تَرَكَ لِيُكْتَبَ بِهِ اسْمُ الَّذِي سَيُغْفَرُ ذَنْبَهُ ، والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ماتقدم من الذنوب وما تأخر ، فهو بعبارة أخرى إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضُمِنَتْ الجنة لهذا المحظوظ ، وفيما يلي نص لصك غفران :

« رينا يسوع المسيح يرحمك يا (يكتب اسم الذي سَيُغْفَرُ لَهُ) وَيُحَلِّكُ بِاسْتِحْقَاقَاتِ آلامِهِ الْكَلِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ ، وَأَنَا بِالسُّلْطَانِ الرَّسُولِيِّ الْمَعْطَى لِي أَحَلِّكُ مِنْ جَمِيعِ الْقَصَاصَاتِ وَالْأَحْكَامِ وَالطَّائِلَاتِ الْكَنِيسِيَّةِ الَّتِي اسْتَوْحَيْتَهَا ، وَأَيْضاً مِنْ جَمِيعِ الْإِفْرَاطِ وَالْخَطَايَا وَالذَّنُوبِ الَّتِي ارْتَكَبْتَهَا مَهْمَا كَانَتْ عَظِيمَةً وَفَظِيحَةً ، وَمِنْ كُلِّ عِلَّةٍ ، وَإِنْ كَانَتْ مَحْفُوظَةً لِأَبِينَا الْأَقْدَسِ الْبَابَاةِ وَالْكُرْسِيِّ الرَّسُولِيِّ ، وَأَمْحُو جَمِيعَ أَقْدَرِ الذَّنُوبِ وَكُلِّ عِلْمَاتِ الْمَلَامَةِ الَّتِي رُبَّمَا جَلَبْتَهَا عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الْفُرْصَةِ ، وَأَرْفَعِ الْقَصَاصَاتِ الَّتِي تَلْتَزِمُ بِمَكَابِدَتِهَا فِي الْمَطْهَرِ وَأَرْدُنِكَ حَدِيثاً إِلَى الشَّرْكَةِ فِي أَسْرَارِ الْكَنِيسَةِ ، وَأَقْرُنْكَ فِي شَرْكَةِ الْقَدِيسِينَ ، وَأَرْدُنْكَ ثَانِيَةً إِلَى الطَّهَارَةِ وَالْبِرِّ لِلَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ مَعْمُودِيَّتِكَ ، حَتَّى أَنَّهُ فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ يُغْلَقُ أَمَامَكَ الْبَابُ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ الْخَطَاةُ إِلَى مَحَلِّ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ ، وَيُفْتَحُ الْبَابُ الَّذِي يُوْدِي إِلَى فِرْدُوسِ الرُّوحِ . وَإِنْ لَمْ تَمْتِ سَنِينَ مُسْتَطِيلَةً فَهَذِهِ النِّعْمَةُ تَبْقَى غَيْرَ مُتَغَيِّرَةٍ ، حَتَّى تَأْتِيَ سَاعَتُكَ الْآخِرَةَ ، بِاسْمِ الْأَبِ وَالابْنِ وَرُوحِ الْقُدْسِ » .

(١) انظر ارتباط هذه البدعة بالحروب الصليبية في الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، للمؤلف .

ذلك هو الوضع الذى آلت له حينذاك مسألة غفران الذنوب ، لقد كان جمع المال فى أول الأمر وسيلة للإعفاء من الاشتراك فى الحروب الصليبية ، ثم أصبح وسيلة لغفران ما مضى منها وما هو **موت** • دون حاجة إلى توبة أو **رد** ظلامه •

ولم تقف قضية غفران الذنوب عند هذه الصكوك ، بل **مع** ما دخلها عنصر جديد فاضح • ذلك ما يسمى « الاعتراف » فكان **علي** المذنب أن يعترف بذنبه فى خلوة مع قسيسه ، ليستطيع هذا القسيس أن يغفر له ذنبه ، وفى خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشع لها الوجدان ، ولست أجدنى فى حل من ذكر هذه الفضائح فى هذا الكتاب ، وإنما أشير إليها إشارة سريعة لعل قرارا حاسما يصدر بإيقاف هذا الزيف الذى يرتكب باسم الدين ، وقد نشرت المجلة المسيحية « رسالة الحياة » صوراً من ذلك يندى لها الجبين ، وذكرت أحداثاً محدّدة اعتدى فيها رجال الدين أو حاولوا العدوان على المعترفات (١) •

والأرثوذكس ينتقدون صكوك الغفران بقسوة ، ويبرزون ما فى قضية التطهر من انحراف (٢) •

٤ — الضرائب :

دفع المسيحيون الأموال ليشتروا الغفران ، ولكن الكنيسة لم تقنع بما جمعت من مال ، فقد أرادت أحياناً أن تأخذ مالا مرة أخرى ممن سبق أن اشترى صك الغفران ، أو ممن لم يقنع بهذه البدعة **وضن** بالمال على هذا الصك ، وعمدت الكنيسة لذلك إلى فرض **ضرائب** على أتباعها كانت باهظة أحياناً ، وكانت تشمل الفقير والغنى •

(١) رسالة الحياة : السنة الأولى — العدد الثانى عشر ص ٦ ، والسنة الثانية — العدد الثانى ص ٢٥ .
(٢) دلوar سنوده المنفلوطى : المطهر تحت المجهر ص ٣٠ وما بعدها .

٥ — الهرطقة ومحاربتها :

على أن أهم ما اشتهر به العهد الذي سبق حركة الإصلاح هو محاربة ما سُمّي بالهرطقة ، والحديث عن هذا الموضوع يحتاجنا أن نوضّح :

١ — ما الهرطقة ؟

٢ — كيف حوربت ؟

والإجابة عن السؤال الأول سهلة يسيرة ، فالهرطقة — كما فهمتها الكنيسة إذ ذاك — هي مخالفة رأى الكنيسة ، فرأى يراه عالم في العلوم الكونية هرطقة ، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسى هرطقة ، وانتقاد شيء يتصل بالكنيسة هرطقة ، ومساعدة واحد من هؤلاء أو الرضا على اتجاهه هرطقة ، على أن رؤساء الكنيسة طالما رمى بعضهم بعضا بالهرطقة خدمة لمطامعهم الخاصة •

وأما كيف حاربت الكنيسة الهرطقة فيتضح ذلك من قرار المجمع الذى عقد في سنة ١٢١٥ إذ تقرر فيه استئصال الهرطقة ، وقد نفذت الكنيسة هذا القرار أو هذا الاستئصال بكل قسوة ونشاط ، فاستعملت القتل والحرق ومحاكم التفتيش ، فأحرق يوحنا هوس وجيروم ، وأحرقت كتب ابييلارد وسجن حتى الوفاة ، وأوقعت محاكم التفتيش بالهرطقة والابرياء دون تمييز ، فقد كان الإيقاع بالناس دليل إخلاص إلى الكنيسة ، وقد سبق الحديث عن هذه الاضطهادات •

عهد النور

وأطل عهد النور على العالم ولكن الكنيسة لم تحس به ، فقبل ذلك ببضعة قرون كان هناك دين آخر قد ظهر ، ذلك هو الدين الإسلامى ، وذلك الدين لم يحارب العلوم بل غذّاها وحث عليها ، وفي ظل هذا (م ١٧ — المسيحية)

الدين استيقظت فلسفة الإغريق بعد سبات طويل ، واستيقظ الطب والفلك وعلوم الرياضة ، وقام العلماء المسلمون في هذه العلوم وفي سواها بنشاط كبير ، ورعا الخلفاء والكبراء هؤلاء العلماء وبنوا لهم المعاهد الشهيرة ، ومن أهمها بيت الحكمة حيث كان الخليفة المأمون يعطي المترجمين وزن ما يترجمونه من الذهب الخالص .

وَوَجِدَتْ هذه العلوم طريقها إلى أوروبا عن طريق الأندلس وصقلية وفلسطين ، والتحق كثير من المسيحيين بمعاهد قرطبة وإشبيلية ومبرص ، وبدأت اليقظة تدب في أوروبا نتيجة لذلك ونتيجة لسواه وهو ما يُسمى عصر النهضة «The Renaissance» . وحينئذ وجدت الكنيسة أن المهطقة (!!) كثرت وانتشرت ، فضاغت جهودها في الكفاح غير أن عهد النور كان قد قورى ، وقد استطاعت الكنيسة أن تحصل على سلطات ضخمة وأن تحافظ عليها وأن تقضى على كل خصومها في عهد الظلام . أما وقد بدأ عهد النور فلم يعد من السهل على الكنيسة أن تستمر في هذا الطريق ، ولكنها قاومت وناضلت ، وقاوم معارضوها وناضلوا أيضا ، وأخذوا من عهد النور قوة فلم ينفوا كما فنى أمثالهم من قبل ، ومن هنا بدأ صراع عنيف بين الكنيسة وبين المصلحين منسلم به إماما سريعا :

المصلحون :

بدأ المصلحون يرتفع صوتهم في القرن الخامس عشر ، ومن أشهر من قادوا الإصلاح في هذا القرن جيروم وهوس ، ولكن سلطان الكيسة كان أقوى منهما ، فأعدما حرقا بالنار ، بيد أن مصلحي هذا القرن على كل حال مهدوا الطريق لمن جاء بعدهم ، وحفل القرن السادس عشر بمجموعة من المصلحين المشاهير ، وبخاصة في إنجلترا التي كانت ترى سلطان الكنيسة تدخلا في شئونها ، وفي ألمانيا التي عانى بعض ملوكها قسوة البابوات حينما أصدروا ضدهم قرارات حرمان . ومن هنا يسر هؤلاء الملوك لرعاياهم القيام بحركات مناوئة للكنيسة ، وظهر في إنجلترا

توماس مور (١٤٧٨ - ١٥٣٥) ودعا إلى إصلاح الكنيسة بطريق سلمى ، ثم ظهر بعد ذلك (في نفس القرن) أشهر المصلحين وهو هارتن لوثر ، وكان ظهوره في ألمانيا موطن العقل الكبير والتفكير الحر ، وكان لوثر عالماً باللاهوت ولذلك نجد أنه تجمّع له ما لم يتجمع لسواه ، فحركته نابعة من قلبه وليست بتوجيه ملك أو إيعاز أمير وهو رجل ألماني مستقل العقل حر التفكير ، ثم هو من رجال اللاهوت ، فهو عليم بخبايا الكنيسة ، دارس لعلومها •

وكان لوثر — بالإضافة إلى دراسته للاهوت — شديد الورع يحصى على نفسه سيئاتها ويبالغ في تقديرها ، وتضطرب نفسه خوفاً منها ، ويحج إلى روما رجاء أن يزيده قرباً من الأماكن المقدسة صلاحاً ويبعده عن السيئات ، ولكنه هناك وجد ما أزعجه ، فإن هذه الذنوب التي أثقلته يستطيع الكاهن أن يعفيه منها بـك يشتريه ، يا الله ! كيف هذا ؟ كيف ينجو القائل من العذاب بـك يشتريه ؟ وكيف تمحى سيئات السارق وقاطع الطريق وأكل حقوق الناس إذا أراد الكاهن ذلك دون نظر إلى المعتدى عليهم ودون نظر إلى الله خالق الكون ، ورأى لوثر كذلك في روما ما قلل مكانة رجال الدين عنده ، وعاد إلى ألمانيا فلاحقته صكوك الغفران إذ كان البابا « ليو » يريد أن يعيد بناء كنيسة بطرس واحتجاج للمال فقرّر أن يحصل عليه من بيع هذه الصكوك ، فأرسل أحد حاملها فيمين أرسل إلى ألمانيا ، فثار لوثر لذلك وكتب احتجاجاً علّقه على باب الكنيسة • فطلبت الكنيسة لمحاكمته أمام محاكم التفتيش فلم يذعن فأصدرت قراراً بحرمانه ، وتبعاً لذلك أصدر الإمبراطور قراراً بحرمانه من الحقوق القانونية والمدنية ومعنى ذلك أنه أصبح مباح الدم فقَدَ كل ما يملك ، ولكن أحد الأمراء حماه •

وصادفت دعوة لوثر في القرن السادس عشر نجاحاً ، واعتنقها كثير من المصلحين الذين ساروا في طريق لوثر فأنكروا حق الغفران ، والاستحالة، وقَفَّ فهُم الكتاب المقدس على الكنيسة ، وما شابه ذلك •

نتائج الحركة الإصلاحية :

بقيت الكنيسة في واد ودعوة الإصلاح في واد آخر ، وعجزت الكنيسة عن القضاء على هذه الحركات ، ولكن هذه الحركات أيضا عجزت عن تحويل تفكير الكنيسة ، وكانت نتيجة ذلك أن أنشأت الحركة الجديدة كنائس لأتباعها ، سميت الكنائس البروتستانتية •

مبادئ الكنيسة البروتستانتية :

أهم مبادئ هذه الكنيسة هي :

١ — جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية ، ورد كل الأحكام التي لم ترد فيه كتلك التي تستند الى رأى البابوات أو الى العلم الخاص الذي قيل إنهم يتوارثونه الواحد عن الآخر •

٢ — من حق كل مسيحي قادر أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره •

٣ — ليس لكنائس البروتستانتية رئاسة عامة ، فلكل كنيسة رياستها ، وعمل الرئاسة هو الإرشاد وتوجيه من لا يستطيع أن يستقل وحده بفهم الكتاب المقدس •

٤ — ليس للكنيسة حق غفران السيئات •

٥ — ترجمة الكتاب المقدس للغات المختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها •

٦ — لا علاقة للعشاء الربانى بجسم المسيح ودمه وليس هو إلا للذكرى •

٧ — عدم الاعتراف بضرورة الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الدين •

٨ — عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس وعدم السجود لها فذلك للوثنية أقرب •

نقد الحركة الإصلاحية :

هل نجحت حركة الإصلاح هذه أو فشلت ؟

يرى كثير من الباحثين أن الحركة نجحت وأن من دلائل نجاحها نفاؤها
وكثرة أتباعها وانتشارها في عدة أقطار .

وقد قامت حركات إصلاحية من قبل كحركة أريوس ونسطور وغيرهما
ولكنها فشلت واندثرت ، ولم يبق لها إلا ظلال قليلة إن كانت لها ظلال
في ثنايا التاريخ أو تفكير الأذكىاء الموهوبين الشجعان .

أما حركة لوثر فقد ساعدها الزمن الذي كان قد تطور ، والحرية
التي كانت قد بدأت تنتعش ، ثم ساعد بعد ذلك على انتشارها أنها صادفت
اكتشاف أمريكا فدخلت إلى هذه البلاد مع أتباعها من الإنجليز وغيرهم ،
وهناك قوى عودها واستقرت ، فاتخذت لها في الدنيا الجديدة كما اتخذت
في الدنيا القديمة مراكز قوية .

ولكن إذا ذهبنا نتمعق في فهم هذه الحركة الإصلاحية نجد أنها
فشلت من ناحيتين :

أولا : لم تستطيع تقويم الكنائس التي كانت قائمة ، ولم تفلح في
التغلب على البابا وأفكاره وأتباعه ، فقنعت بإنشاء كنائس لها تظهر فيها
المبادئ الإصلاحية التي اعتنقتها ، وتركت آلاف الكنائس الأخرى تسير
على النحو الذي كانت تسير عليه من قبل .

ثانياً : كانت الحركة إصلاحاً للكنيسة لا إصلاحاً للمسيحية ، والفرق
بين الموضوعين كبير ، ومعنى هذا أن ما أثار لوثر ومعاصريه هو أفعال
الكنيسة في ذلك العهد ، أما البحث في الأشياء الهامة التي دخلت على
المسيحية الأصيلة فلم يكن موضوع إصلاح عند لوثر ومعاصريه ، لقد

تلقى لوثر ومعاذروه المسيحية من الأجيال السابقة ، واعتنقوها تقريبا
كما هي ، ولم يثوروا إلا على ما ابتدعته الكنيسة في عهدها الأخير ،
كغفران السيئات ، الاستحالة ، وحق تفسير الكتاب المقدس ، والتشريعات
غير المكتوبة التي يتوارثها البابوات •• ؟

وعلى هذا بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق لها الإصلاح وذلك
مثل :

- ١ - التثليث •
- ٢ - صلب المسيح للتكفير عن خطيئة الشر •
- ٣ - ما الكتاب المقدس ؟ ومن هم مؤلفوه ؟ وما الصلة بين الأناجيل
ومؤلفيها ؟ وأين إنجيل عيسى ؟
- ٤ - مدى سلطة المجمع في اتخاذ قرارات تتعلق بأستس الذين
وبهذا كان نجاح الحركة الإصلاحية - فيما أعتقد - محدوداً
ومحدوداً للغاية •

بقي أن نقول أن الكاثوليك يقولون إن « لوثر من أصحاب البدع
والاضاليل (١) وأنه هو وأمثاله زاغوا عن طريق الإيمان (٢) » •

(١) دكتور الخورى جرجس فرح : شرح رسالة القديس بولس الى اهل
زومية ص ١٠ - ١١ •
(٢) المرجع السابق ص ٦٧ •

المسيحية في ضوء النقد العلمى

هل يجوز لى أن أنقد رسالة المسيح وأنا أو من به وبرسالته ؟

صحيح أن الأديان تعرضت لنقدٍ شنته الفلاسفة والمفكرون الأحرار (Free Thinkers) الذين لا يتبعون ديناً معيناً • ويعطون أنفسهم الحرية الكاملة فى نقد أى دين كما ينقدون أية فكرة وأى اتجاه ، ولكن هل يستطيع اتباع الأديان أن يفعلوا ما فعله المفكرون الأحرار ؟

لقد حدث فى الإسلام حدث ذو بال فيما يتعلق بالتفكير الحر ، ذلك أن المسلمين قبلوا تحدى هؤلاء المفكرين الأحرار ، وراح المسلمون يناقشون معهم قواعد الإسلام فى ضوء النقد العلمى والتفكير الحر ، وراح هؤلاء المسلمون وبخاصة طائفة المعتزلة يشرحون للناس اتفاق الدين الإسلامى مع العقل ، كما ذهبوا يستخدمون العقل والبراهين المنطقية فى الدفاع عن الإسلام وشرح أسسه واتجاهاته ، وكان علماء الإسلام أولَ المتدينين الذين أجازوا أن يتدخل العقل فى فهم الأديان وأهدافها ، وانتهت طائفة المعتزلة ، ولكن اتجاهها هذا ظل حياً قوياً ، ولا شك أن اتجاه المعتزلة وغيرهم من المفكرين المسلمين كان صدى للتفكير الإسلامى نفسه فالقرآن الكريم مملوء بالآيات التى تحث على استعمال العقل وتدبّر الأمور •

وفى ضوء هذا الاتجاه ننقد المسيحية نقداً علمياً هادئاً قوامه الإنصاف والبحث عن الحق ولا شىء غير ذلك •

على أننا فى الحقيقة نستطيع أن ننقد المسيحية دون هذا التردد والحذر ، فقد اتضح لنا من الدراسة السابقة أن المسيحية التى تعلّمها الكنيسة ، أى مسيحية اليوم • مسيحية الأنجيل المعترف بها من الكنيسة ، هذه المسيحية لا تمثل المسيحية الحقيقية بحال ، ان هذه الديانة هى من

وضع بولس وليست الوحي الذي نزل من الله إلى المسيح ، ومن ثم ليس هناك أدنى حرج في نقدها وإخضاعها لمقياس الفكر حتى عند المحافظين الذين يرون أن الواجب أن نخضع للأديان السماوية دون أن نقيسها بمقياس العقل •

وهناك سبب آخر هام يبيح نقد المسيحية ، ذلك أن المسيحية جاءت لبنى إسرائيل لتصحح أوضاعا شاذة عندهم ، فقد تكالب اليهود مثلا على المال وحاولوا جمعه بمختلف الطرق ، فجاءت المسيحية تدعو للزهد لتكسر حدة هذا الجشع • وكان التحدى والانتقام طابع العلاقة بين طوائف اليهود (الكهنة والفرّيسيين والقراء وغيرهم) فجاءت المسيحية تقول بالتسامح • ولو بقيت المسيحية على وضعها هذا ، أى لو بقيت ديناً لبنى إسرائيل يدعوهم للزهد ليكسر حدة جشعهم ، ويدعوهم للتسامح ليكسر حدة التحدى عندهم لكان ذلك جميلاً ، لأنها ديانة جاءت في ظروف خاصة ولجماعة خاصة فتلونت بلون خاص ، ولكن بولس نقلها إلى العالمية وبقيت في أناجيلها تعاليم الزهد والتسامح فلم يستقم أمرها واضطربت وتعثرت ، فلم يكن من الممكن أن تعيش هذه التعاليم ، لم يكن من الممكن أن يعيش الزهد ومحاربة المال في الأحوال الاقتصادية المادية ، ولا كان من الممكن أن يظل العالم يقدم الخد الأيسر للمعتدى ليصفعه كما صفع الأيمن ومن أجل هذا انفض أتباع المسيحية عنها وإن بقى الكثيرون منهم يحملون اسمها • ؟

وفي ضوء هذا التقديم نبدأ بنقد المسيحية نقداً علمياً هادئاً ، وقد سبق لنا أن نقدناها خطوة خطوة فقد كان من الضروري عندما تكلمنا عن ألوهية المسيح أو الكتاب المقدس مثلا أن نستمر فنبدى الرأي في هذا القول ، ولكننا هنا نريد أن ننقد المسيحية جملة ، وهو ما نأخذ في إيرادة فنسأل السؤالين التاليين :

١ — ما الأسس الأصلية للديانة المسيحية ؟

٢ — إلى أين انتهت هذه الديانة ؟

وللاجابة على السؤال الأول نقرر أن الأناجيل تكاد تكون فكرة مكررة عن التسامح والحب وعدم الميل للشر حتى في دفع الشر ، وعن الصلة المباشرة بين الله والناس ، ولسنا نستطيع أن نعطي هنا نماذج لما في المسيحية من تسامح وحب لكثرة ما نعطي وكثرة ما ندع ، وحسبنا أن نقول إن الإنجيل كله حث على هذه الأخلاق ، فليفتح القارئ أى صفحة منه فإنه سيجد هذا الاتجاه لا محالة ، وعن الصلة المباشرة بين الله والناس يقول الاستاذ فريد وجدى : « إن النقد الدينى للديانة العيسوية يقول إن عيسى لم يجرى إلى الناس بأصل جديد من أصول الدين ، ولا بأمر من الأمور العبادية لم يكن معروفاً من قبل ، ولكنه امتاز بأمر واحد لم يوضحه رسول قبله مثل تجليته إياه وهو إعلان القرابة القريبة بين الله وعباده ، فجعل الله أباً لخالقه رحيماً بهم ، وهدم الحواجز بين الله والناس (١) » .

ويقول الكاتب المسيحي Alfred E. (٢) : وتعاليم المسيح تجمعها الأسس التالية :

- ١ - قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة
- ٢ - الله هو أبو البشر وهو الأمل الذى تهفو نحوه أرواح البشر جميعاً .
- ٣ - الكمال التام والحب الشامل .

تلك هى الديانة المسيحية لا أكثر ولا أقل ، أما سوى تلك من أسس دينية فقد اعتمدت الديانة المسيحية فيها على التوراة ، وقد صرح عيسى بقوله إنه جاء ليتم التوراة لا ليبدأ ديناً « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل (٣) » .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج٦ ص ٧٨٨ .
(٢) Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol. 3 p. 583 .
(٣) متى ٥ : ١٧ .

وهنا نجىء إلى السؤال الثانى وهو إلى أين انتهت هذه الديانة ؟ فتقاطنا فى الإجابة عنه حقيقة عجيبة هى أن الإنجيل أصبح منذ زمن طويل جسماً لا روح فيه وأن المسيحيين وفى مقدمتهم رجال الكنيسة أنفسهم كانوا أول من أهمل تعاليمه . فقد عاد القسس إلى ما كان عليه الكهنة اليهود من وضع أنفسهم بين الله وبين الناس ، فالتعميد والزواج والموت لابد فيها من حضور ممثل الكنيسة (١) . ويقول عبد الأحد داود إنه من تعاليم الكنيسة أنه مهما تكن أعمال المرء سليمة وتبدو مقبولة ، ومهما يكن الإيمان والصلاح مسلماً بهما عند الناس فكل المزايا والفضائل ستبقى بدون ثمرة ما لم تتدخل قدسية القسيس بين المرء وربّه ، وما لم تبارك يده القسيس هذه الأعمال (٢) ، أما الحب والتسامح فقد حل محلها البغض والانتقام بل الغيظ والعدوان ، وحسبنا ما ذكرناه من قبل عن اضطهاد المسيحيين بعضهم لبعض واضطهادهم لسنواهم من غير المسيحيين ، ومعنى ذلك أن أثر التعاليم المسيحية كان محدوداً فى نفوس المسيحيين أو كان معدوماً .

وكان التفكير الإسلامى فى مسألتى الحب والتسامح عملياً ، فقد أوصى الإسلام تابعة بالحب والتسامح ، وتكررت فى القرآن آيات الحب وآيات التسامح (٣) ، ولكن الإسلام لم يكتف بذلك بل فرض العدالة ، ووضع النظم ، فإذا عجز البشر عن اتّباع الحب كان عليهم أن يخضعوا للنظم والقوانين العادلة التى فرضها الإسلام ، ولكن المسيحية تركتهم للحب فقط ، فإذا عجزت النفس الإنسانية عن التخلق به - وكثيراً ما يحدث - لم تكن هناك قوانين تحدّ من طغيانها .

الإيمان بدون تفكير :

ولا يوافق النقاد على عقيدة المسيحية التى ترى أن الإيمان منحة

Pengadjaran Geredja Katolik H. 147-148. (١)

(٢) الإنجيل والصلب ص ١٢٦ .

(٣) أقرأ المجتمع الإسلامى ص ٨٩ .

لا دخل للعقل فيها ، وأن على المسيحي أن يؤمن بالعقائد المسيحية ، ثم يروض عقله على فهمها • وقد عبر عن ذلك القديس أنسليم بقوله « يجب أن تعتقد أولاً ما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » ويعلق استاذنا الإمام محمد عبده على ذلك بقوله : والويل كل الويل لطالب إذا ادّاه اجتهاده إلى شيء يخالف ما تعلق به إيمانه (١) •

سلطة واسعة للرؤساء الروحانيين :

وتعطي المسيحية للرؤساء الروحانيين سلطة شبه سلطة الآلهة ، وتجعل قولهم يلزم أن يتبعه الناس ، ويلزم أن يتبعه الله (!!!) فقد ورد في متى (٢) مانصه : الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلون على الأرض يكون محلولاً في السماء •

ويعلق الإمام محمد عبده على هذا بقوله : فإذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص إنه ليس بمسيحي صار كذلك ، وإذا قال أنه مسيحي فاز بها • فليس المعتقد حراً في اعتقاده ، يتصرف في معارفه كما يرشده عقله ، بل إنه مشدود بشفتي رئيسه الديني (٣) •

موضوع تفكك الأسرة :

ويرى النقاد كذلك أن مسيحية « العهد الجديد » تفكك الأسرة ، فقد نقل لوقا قول المسيح • إن كل أحد يأتي إلى ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وإخوته وأخواته لا يقدر أن يكون لي تلميذاً (٤) • ونقل متى عن المسيح قوله : لا تظنوا أنني جئت لألقى سلاماً على الأرض ،

(١) الإسلام والنصرانية ص ٢٩ •

(٢) الاصحاح ١٨ الفقرة ١٨ •

(٣) الإسلام والنصرانية ص ٢٧ •

(٤) لوقا ١٤ : ٢٦ •

ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فإنى جئت لأفترق الإنسان ضد أبيه ،
والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حمايتها ، أعداء الإنسان أهل بيته (١) .

محاربة العمران والمال :

ويرى النقاد أن تعاليم المسيحية كما صورها « العهد الجديد »
تحارب العمران لأنها تكره المال وتحاربه ، وقد جاء في متى ولوقا
ومرقس قصة الشاب الذى أراد أن يتعلم من عيسى فقال له عيسى :
لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تشهد الزور . . . فقال الشاب : حفظت
هذا كله وعملت به . قال عيسى : بع أملاكك وأعط ثمنها للفقراء وتعال
اتبعنى . فلم يقبل الشاب . فقال عيسى : يعسر أن يدخل غنى ملكوت
الله . . . ولدخول الجمل فى ثقب إبرة أيسر من دخول الأغنياء
ملكوت الله (٢) .

ولو ترك الناس أموالهم وأوقفوا استثمارها فماذا تكون النتيجة
غير خراب العالم وانتهاء العمران ؟ .

محاربة الأبدان :

وكما تحارب هذه المسيحية العمران فإنها تحارب الأبدان ، وقد جاء
في متى قول عيسى : لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض
الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدر أن
تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون
وما تشربون ، ولا لأجسامكم بما تلبسون (٣) .

الحث على الرضا بالضييم :

ويرى النقاد أن تلك المسيحية تحث على الرضا بالظلم والخضوع

(١) متى ١٠ : ٣٤ — ٣٨ .

(٢) متى ١٩ : ١٨ — ٢٣ ومرقس ١٠ : ١٧ — ٢٠ ولوقا ١٨ : ٢٠ — ٢٠ .

(٣) متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ .

له ، وقد ورد في لوقا قول المسيح : من ضريك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ، ومن أخذ رداك فلا تمنعه ثوبك ، ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه به (١) . وقد جاء في متى عند وصف القبض على المسيح أن أحد أتباع المسيح أخرج سيفه وحاول أن يدافع عن المسيح « فقال له يسوع : رده سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (٢) .

لا علم ولا مدنية ولا إصلاح :

ويرى النقاد حقيقة يدركها كل من يطالع الأناجيل ، تلك الحقيقة أن هذه الأناجيل تخلو خلواً تاماً من أية إثارة من علم أو إصلاح أو مدنية ، وحسبك أن تقرأ الأناجيل وأن تعيد قراءتها ، فلن تجد فيها ما يبنى مجتمعاً ، أو يبحث على علم ، أو يقود إلى إصلاح أو مدنية . قد يقال إن الغرب المسيحي نهض وحقق في سبيل التقدم والمدنية خطوات واسعة ، وهذا صحيح ، ولكن ربط التقدم بالمسيحية شيء لم يقل به أحد قط « فمدنية الغرب مدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بإفراط بعيد ، وما وصل الأوربيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد أن نبذوا التعاليم المسيحية ظهرياً ، ولو أن هذه المدنية من أثر التعليم المسيحي لنشأت عنه بقرب نشأته ، ولكنها لم تظهر إلا بعد بضعة قرون من ظهوره » (٣) .

الجهالة أم التقوى :

ويرتبط بهذا المبدأ ما عرف عن المسيحية من أنها تحارب الفكر وتقرر قاعدة هامة هي : « الجهالة أم التقوى » فمنعت الكنيسة — إبان نفوذها — أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الإصلاح

(١) لوقا ٦ : ٢٨ — ٢٩ .

(٢) مرقس ١٠ : ١٧ وما بعدها .

(٣) السيد محمد رشيد رضا : شبهات النصارى وحجج الإسلام ص ٧ .

وتقرير الإيمان على وجه ظاهر ، وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . وقد رأينا من قبل أحكام الكنيسة ضد كثير من المفكرين بالتجريد والحرمان والنفي . وقد عارضت الكنيسة القول بكروية الأرض وعارضت رحلة كريستوف كولب للكشف عن الدنيا الجديدة ، وعارضت الحقن تحت الجلد وعارضت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها وكل ذلك وسواه لسبب واحد هو أن هذه الأشياء لم ترد في الكتاب المقدس وليس لأحد أن يقترح شيئاً لم يرد في هذا الكتاب . فهذا الكتاب عندهم كل العلم وكل المعرفة ، ومرة أخرى لم تنضج أوربا نهضتها العلمية إلا بعد أن تحررت السلطة المدنية من سلطات الكنيسة .

تعطيل العلاقة الجنسية :

ومسيحية « العهد الجديد » تقضى بفناء الجنس البشري ، فمضى يروى عن عيسى قوله : يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل (١) .

ويزيد بولس هذا الموضوع شرحاً فيقول : حسن الرجل ألا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها . وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن الترويج أصلح من التحرق في النار بسبب الزنا (٢) .

وقد كتب الدكتور على عبد الواحد وافي موضوعاً طريفاً عن « موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من العزوبة » في مجلة الأزهر ونحن نقتبس منه بعض ما كتبه عن موقف المسيحية من العزوبة (٣) ، قال : ويعلق

(١) متى ١٩ : ٢٢ .

(٢) كورنتوس الأولى ٧ : ١ - ٣ و ٨ - ٩ .

(٣) عدد يوليو سنة ١٩٥٩ ص ٣٢ - ٣٣ .

تيرتوليان Tertullien على ما كتبه بولس بقوله : الزواج لمن لم يَمُتْ
على العفة أفضل من أن يحرق بنار جهنم • لكن الخير أن يتقى الإنسان
الأميرين معاً • فلا يتزوج ولا يعرض نفسه لعذاب النار ، وإن قصارى
ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة على حين أن التبتل يروض
المرء على أعمال القديسين ويذلل له السبل الى منزلة الإشراق ، ويتيح له أن
يأتى بالمعجزات ، فجسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء ، والقديس
يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والرسول بولس وجميع إخوانه الخواريين
الذين سجلت أسماءهم في سفر الخلود • آثروا التبتل وحثوا الناس
عليه ، وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى أن تعبر البحر هي وجميع
من كان يسرن خلفها من النساء ، فانشق لهن فيه طريق سهل، وانتهين إلى
الساحل الآخر سالمات ، والقديسة البتول تولا قد ألقى بها الكفار إلى
الأسد الجائعة فوجمت الأسد أمامها وخرت جاثية تحت قدميها ، وقد
فتح السيد المسيح للخصيان أبواب السماء ، لأن حالتهم قد باعدت بينهم
وبين قربان النساء ، ولو أن آدم لم يعص ربه لعاش طاهراً حصوراً
ولتكاثر النوع الإنساني بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ، ولعمرت
الجنة بفصيلة من الطاهرين الخالدين •

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقائق على أنها
من الأمور المسلمة في الدين بالضرورة ، أى التي لا يجوز إنكارها
ولا الشك فيها ، حتى أن مجمع مديو لاننس Mediolanense المسيحي قد
حكم في أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب جوفينيان بالطرده من
الكنيسة لأنه عارض المبدأ المسيحي الذى يقرر أن التبتل خير من الزواج ،
وينظر هؤلاء الفقهاء كذلك إلى الزواج على أنه مجرد ضرورة لبقاء النوع
الإنسانى ولصيانة الفرد من الفاحشة ، ومن ثم لا ينبغى فى نظرهم
للمسيحي أن يطلق لنفسه العنان فى إشباع شهواته بل ينبغى أن يقيد من
ذلك بقصد واعتدال وفى الحدود التى تحقق الذرية والنسل ، فيكرن شأنه
شأن الزارع الذى إذا بذر البذرة انتظر الحصاد بدون أن يلقى فى
الأرض بذوراً أخرى •

وقد ذهب فرقة المارسيونين Marsionies وهي مسيحية اعتنقت مذهب مارسيون (القرن الثاني الميلادى) إلى ما هو أبعد من ذلك فحرمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفراد نحلته كما فعلت فرقة الحسدبين من اليهود وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن صاحبه ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .

ومع أن الفرق المسيحية الباقية الى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب فإن نظرة المسيحية إلى التبتل على أنه الحالة المثلى ، وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة ، قد أدت بالتدرج إلى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وعلى القسيسين فى المذهب الكاثوليكي ، فمنذ العصور المسيحية الأولى كان يحظر على القسيس أن يتزوج امرأة متوفى عنها زوجها ، كما كان يحظر عليه أن يتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجته .

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى أصدر مجمع الفيرا Elvira فى أسبانيا قراراً بتحريم الزواج وبالابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة ، وفى أواخر القرن الحادى عشر أصدر البابا جريجورى السابع أمراً بوجود العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان ، كبارهم وصغارهم « حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجسدى » ومع أن هذا القرار قد لاقى فى مبدأ الأمر معارضة شديدة ، فى كثير من المناطق المسيحية فإنه لم يكذب ينتمى القرن الثالث عشر الميلادى حتى كان نظاماً مقرراً فى الكنيسة الكاثوليكية ومطبقاً على جميع القساوسة ، والرهبان من الرجال ، والراهبات من النساء .

الدعوة للرهبنة :

ومسيحية « العهد الجديد » تدفع للرهبنة ، والرهبنة هى الزهد فى متع الحياة الدنيا ، والبعد عن نعيمها واعتزال حياة المادة وقطع الصلة بين

ويروى متى أيضاً عن عيسى وأتباعه ما يلي : ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليه رجل جاثياً له وقال : يا سيد ارحم ابني فإنه يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء ، وأحضرتة الى تلاميذك فلم يقدرُوا أن يشفوه • فأجاب يسوع وقال : أيها الجيل غير المؤمن الملتوى ، الى متى أكون معكم ؟ الى متى أحتملكم ؟ قدموه الى هنا • فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام في تلك الساعة • ثم تقدم التلاميذ الى يسوع على انفراد وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم •

فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم (١) •

ويقول بولس : بالإيمان قهر أناس ممالك ، وسدوا أفواه أسود وأطفأوا قوة النار ، ونجوا من حد السيف (٢) •

المسيح انسان شرقي والمسيحية الحالية فكر غربي :

ويرى النقاد أن مسيحية روما دين غربي كما أشرنا من قبل ، وأن المسيح رجل شرقي ، ولد في الشرق ، ونشأ فيه ، وبعث به ، وظل بالشرق حتى نهايته على الأرض ، ولكن الغرب تلقى هذه الديانة وطبعها بطابعه ، وهذه حقيقة آمن بها المبشرون المسيحيون أنفسهم واعترف بها الكتاب المسيحيون ، يقول روبرت ديشان (٣) إن المبشرين المسيحيين في إفريقيا كانوا يعتقدون أن المدنية الغربية والدين المسيحي وحدة لا تتجزأ ، ولذلك أطلقوا عليهما تسمية مفردة هي « المدنية المسيحية » • وقدمت روما والفاتيكان هذا الدين الغربي الى الشرق مرة أخرى • ووصلت به أقصى

(١) متى ١٧ : ١٤ — ٢٠ •

(٢) عبرانيين ١١ : ٢٣ : ٢٤ •

(٣) الديانات في افريقية السوداء ص ١٧٢ •

بلاد الشرق فاقتحمت به تايلاند وفيتنام والفلبين والملايو واندونيسيا ،
ولكن العقل الشرقى لم يستطع أبداً أن يهضم هذه الديانة الغربية ،
ولذلك تعثّر هذا الدين في تلك البقاع وعجزت روما عجزاً تاماً — على
الرغم من النفقات الباهظة التى تسهم فيها كل دول الغرب — أن تجعل
هذا الدين يتعمق في نفوس الناس أو يجد منهم حماسة ظاهرة •

مقارنة :

وقد دخل هذا الدين اندونيسيا منذ أربعة قرون وتبعه عدد من
الإندونيسيين يبلغون المليونين تقريبا ، ولكن روما على الرغم من هذا
النجاح الظاهرى لم تستطع أن تدفع شخصاً واحداً من هذين المليونين
ليصبح عالماً بالمسيحية ، فلا تزال الكنائس في إندونيسيا يشرف عليها
الأوربيون ، ولا تزال الوجوه الغربية هى التى تقيم الاحتفالات الدينية
والصلوات ، ولو قسمنا ذلك بالإسلام لظهر العجز واضحاً في المسيحية ،
فإن الإسلام لما كان بطبيعته ديناً عالمياً برز فيه من غير العرب من يفوقين
العرب ، وحسبنا ان نذكر هنا أسماء أبى حنيفة والبخارى ومسلم والغزالى
وابن خلدون ، ونسأل هل تستطيع المسيحية الغربية أن تقدم لنا من غير
الغرب من لمع في المسيحية ممن يضاهاى هؤلاء الأعلام ؟ •

وفي إندونيسيا برز أعلام من المسلمين فبلغوا الغاية ، ولسنا ندرى
من نذكر منهم أو من ندع ، وليس دحلان وشكروامينرتو وأجوز
سالم وهاشم أشعري وحسن باندونج وهمكا ومحمد ناصر وحتى
وسوتان منصور وعبد الوهاب وحسبى ومختار يحيى ومحمود يونس
وبسظامى عبد الفنى •• إلا نماذج لمئات أو آلاف من المفكرين المسلمين
الممتازين الذين انتجتهم هذه البلاد •

تناقض :

وهناك في « العهد الجديد » تناقض ظاهر يحار العقل في فهمه ،
ومن صور التناقض البارزة ما سبق أن أوردناه في هذا المبحث الأخير

وهو قول هذه الأناجيل بالحب والتسامح ، حتى وصلت إلى القول بحب من يكرهك والتسامح مع من يعتدى عليك ، ثم قولها بأن عيسى قال إنه لم يجيء ليملأ الأرض سلاماً بل حرباً ، ومن لم يكره أباه وولده فلن يكون تلميذاً للمسيح •

ومن صور التناقض كذلك ما سبق أن أوردناه بشأن ضرورة إهمال الجسد وعدم العناية به لأنه فان (١) ، فذلك يتناقض مع قول بولس موصياً بالجسد : أستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من الله ، فإنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله في أجسامكم (٢) •

ومن صور التناقض ما أوردناه آنفاً من الاهتمام بالإيمان وأنه يفعل الأعاجيب ، مع أن يعقوب في رسالته يشيد بالأعمال ويقل من شأن الإيمان إذا خلا من الأعمال ، يقول يعقوب : ما المنفعة يا إخواني إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال ، هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ ••••• إن الجسد بدون روح ميت • وهكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت (٣) •

قد يحاول البعض التحوير والتفسير ليلتئم بين هذا التناقض الظاهر ، ولكنها كانت دائماً وستكون دائماً محاولة فاشلة ، أما الإجابة الصحيحة فمرجعها أن هذه الأناجيل ليست من مصدر واحد ، إن مصدرها هم قائلوها ، وهم وحدهم أو الذين حرفوها من بعدهم هم المسئولون عن هذا التناقض والمسئولون عن سواه مما سبق أن أوردناه •

(١) متى ٦ : ٢٤ - ٢٥ •
(٢) كورنثوس ٦ : ١٩ - ٢٠ •
(٣) يعقوب ٢ : ١٤ - ٢١ •

وبعد فهذه دراسة عن المسيحية التزمت فيها روح الإنصاف وبيان الحقيقة جهد الطاقة ، وقصّدت أن يكون بحثاً علمياً يخضع للعقل والمنطق لا للعاطفة والشعور ، والمرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ، وقد اتضح لنا من هذه الدراسة أن المسيحية بعدت عن صفائها ، ودخلتها عناصر غريبة عجيبة حتى نقلتها عن طبيعتها وطبيعة الأديان السماوية كلها ، وكان ذلك إيذاناً بإرسال نبي جديد برسالة جديدة، ينقذ العالم مما نزل به من خطوب وويلات ، ويضع أسسا صالحة شاملة لأمر الدين وأمر الدنيا ، وبهذا جاء محمد ، وبهذا جاءت رسالة الإسلام، التي خصصنا لها الحلقة الثالثة من هذه السلسلة « سلسلة مقارنة الأديان » .

قضية الألوهية

« نموذج للمقارنة بين قضايا الأديان »

مقدمة :

طرق البحث في مقارنة الأديان

دراسة مقارنة الأديان لها طريقتان :

١ — الطريق الأول أن تكون المباحث الكبرى بالأديان هي عناوين للدراسات ، كأن نكتب كتاباً عن « الله » ، وندرس به مختلف الاتجاهات عن الإله ، ونكتب كتاباً آخر عن « النبوة » وثالثاً عن « التشريع » ... وهكذا ... وقد سار على ذلك المنوال بعض الباحثين مثل Max Mueller في كتابه Essay on Comparative Mythology ومثل الأستاذ العقاد في

كتابه « الله » .

ولكن يؤخذ على هذه الطريقة بعض ماخذ أهمها :

أولاً — أن مباحث الأديان ليست متشابهة ، فمثلاً :

— تاريخ اليهود له أثر كبير في عقيدتهم ، ومن ثمّ يجب أن يكون مبحثاً مهماً عند دراسة « اليهودية » ، ولكن التاريخ الإسلامي ليس ذا أثر في العقيدة الإسلامية ، ومن ثمّ فليس ضرورياً أن يكون ضمن مباحث كتاب عن « الإسلام » .

— لم يتكلم بوذا عن الإله ، ولكن محمداً تكلم عنه وأفانص .

— وفي البوذية موضوع النرفانا ، وفي الجينية موضوع الفجاة ، وليس في الأديان السماوية ما يماثل هذه المباحث .

— في أديان الهند موضوع التناسخ ، وليست كذلك الأديان السماوية .

— يهتم الإسلام بالتشريع ، ولا تهتم المسيحية به ... وهكذا .
وإذا لم تتشابه المباحث كانت المقارنة غير دقيقة ، وكانت المباحث
التي توجد في دين واحد من الأديان قلقة الموضوع في هذه الدراسة ، إذ
لا توجد مقارنة بين الأديان عنها .

ثانياً — دراسة مقارنة الأديان على هذا النحو لا تعطى فكرة متكاملة
عن كل دين ، إذ سترِدُّ مباحث كل دين متناثرة هنا وهناك .

على أن دراسة مقارنة الأديان على هذا النحو ينبغي أن تجيء بعد
دراسة الأديان نفسها ، فإن طبيعة المقارنة أن تتأخر عن استيعاب الأصل ،
ففى الأدب المقارن يلزم أن ندرس الآداب المختلفة ثم نقارن بينها ، وفى
الفقه المقارن يلزم أن ندرس التشريعات المختلفة ثم نقارن بينها ، وفى
مقارنة الأديان يلزم أن ندرس الأديان ثم نعقد المقارنة بين مباحثها .

ويمكن القول — إنه — سبب هذه المآخذ — لم يسر أحد الى آخر
الشوط في دراسة مقارنة الأديان متبعاً هذا الطريق .

٢ — الطريق الثانى : هو أن يُخصَّصَ كتاب لكل دين ، نُدْرَسُ
فيه مباحثه العقائدية والتشريعية المختلفة مشفوعة بالمقارنة كلما وجد لها
مجال وهذا الطريق هو الذى يسير عليه أغلب الكتاب ، وهو ما اتبعته فى
سلسلة « مقارنة الأديان » وبه نتحاشى المآخذ التى سبق أن أوردناها على
للطريق الأول .

ونحن ، بعد أن استكملنا دراستنا طبقاً لهذه الطريقة ، نجدنا فى
و"نضع" يجعل من اليسير علينا أن نقننيس بعض ما كتبناه عن مبحث
أهم مباحث الأديان وهو « قضية الكوهمية » ونضع ما اقتبسناه بعضه
بجانب بعض حتى تتكوهن لنا صورة واضحة للاتجاهات حول هذه القضية
التي هى أساس الأديان ، وبهذا نكون قد عرضنا الطريقين معا فى هذه
القضية كنموذج لدراسة القضايا الدينية الأخرى دراسة مقارنة . وقد

خصصنا « قضية الألوهية » بهذه الدراسة لأنها قمة المشكلات الدينية وعلى هدى دراستنا فيها يمكن للقارىء أن يكوّن فكرة عن المقارنة بين كثير من قضايا الأديان التي احتوتها هذه السلسلة .

ونقطة أخرى يتحتم عرضها في هذه المقدمة ، وهى أننا فى دراستنا لمقارنة الأديان اهتمنا بالأديان السماوية لأن صراعاً عنيفاً يدور بينها ، وكان من الطبيعى أن يكون بينها وئام ، فأردنا أن نتعرّف على ألوان الانحرافات التى وُضعتْ الشقاق مكان الوفاق ، والكراهية مكان الحب ، أما اهتمامنا بأديان الهند فيرجع لسببين :

أولهما : أن أديان الهند كانت معيّنات تسربت منه ألوان من الأفكار فوجدت طريقها بين معتقدات المسيحيين والمسلمين ، فالشمار المسيحي « تثليث فى وحدة ووحدة فى تثليث » منحدر من الهندوسية ، وكانت البوذية أهم مصدر اقتبست منه المسيحية كثيراً من مبادئها كما ذكرنا من قبل ، وقال بعض المسلمين بالتناسخ ووحدة الوجود تأثراً بثقافة الهند .

والسبب الثانى : أن البوذية تعتبر من أديان الدعوة ، أى من الأديان التى لها دعاة ينشرونها ويحاولون جذب الأتباع لها . ومن هنا تدخل البوذية فى صراع مع الإسلام فى منطقة الشرق الأقصى ولا بد من التعرف على عناصر هذا الصراع ليتمكن تقدير نتائجه .

وفى ترتيب الأديان التى درسناها فى هذه السلسلة ابتدأنا بالأديان السماوية بترتيبها التاريخى ، لأنها الأصل فى الدراسة ، ثم درسنا أديان الهند فى الجزء الرابع ، ولكننا فى عرضنا لقضية الألوهية سنبدأ بأديان الهند ، لأن منها تسربت بعض الأفكار — كما قلنا — لمعتقدات المسيحيين وقلة من المسلمين .

وفى ضوء هذا التقديم نبدأ عرض قضية الألوهية :

قضية الألوهية

الله في الفكر الهندوسى :

ينتج التفكير الهندوسى فيما يختص بالإله إلى نزعة التعدد غالباً وقد بلغ التعدد عند الهنود مبلغاً كبيراً ، فقد كان عندهم لكل قوة طبيعية إله يعبدونه ويستنصرون به في الشدائد كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها ، وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم في ذريتهم وأموالهم من المواشى والغلات والثمار وتنصرهم على أعدائهم .

ويقول غوستاف لوبون : وهيئات أن تجد هندوسيا لا يعبد عدداً من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها حتى أنه يصلى للنمر الذى يفترس أنعامه . ولجسر الخط الحديدي الذى يصنعه الأوربى ، وللأوربى نفسه عند الاقتضاء (١) .

ولكن بعض الهنود في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحياناً للتوحيد أو اتجاه قريب منه ، فقد كانوا إذا دعوا إلهاً من آلهتهم أو أثنوا عليه أو تقربوا إليه بقربان ، أقبلوا عليه بكل عواطفهم وجلّ ميولهم حتى يغيب عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب (٢) ، ويصير إليهم هو الإله لا غير ، فيسمونه بكل اسم حسن ويصفونه بكل صفة كمالية ، ويخاطبونه برب الأرباب وإله الآلهة ، تعظيماً وإجلالاً لا تحقيقاً وإيقاناً . وإذا عطفوا إلى غيره أقاموه مقام الأول وجعلوه رب الأرباب وإله الآلهة ، وهذا التعبير « رب الأرباب أو إله الآلهة » كان أولاً يدل على العظمة والجلال ، فلما مضت القرون على هذا النحو أصبح هذا التعبير ثابت المعنى ، أى أنهم اعتقدوا فعلاً أن في صف الآلهة رئيساً ومرعوسين ، وأمرأ ومأمورين ، وأن

(١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ٣٦٨ .
Hinduism, Ed. by Lewis Renan p. 6. (٢)

الرئيس والآمر هو وحده رب الأرباب وإله الآلهة ، وهذا وصف ثابت له لا ينتقل الى سواه والكائنات كلها تحت يده وسائر الالهة تحت أمره (١) .

التثليث في الفكر الهندي :

وحوالى القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود الى رأى تشبهه عقيدة التثليث الحالية عند المسيحيين ، فقد جمعوا الالهة فى إله واحد ، وقالوا إنه هو الذى أخرج العالم من ذاته ، وهو الذى يحفظه الى أن يهلكه ويرده اليه ، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء ، فهو « براهما » من حيث هو مؤجد ، وهو « فنسو » من حيث هو حافظ ، وهو « سيفا » من حيث هو مهلك (٢) . وفتح الكهنة الهنود الباب للمسيحيين فيما يسمى : تثليث فى وحدة ووحدة فى تثليث .

عبادة البقر :

ومن بين المعبودات المتعددة عند الهنود حظيت البقرة بأسمى مكانة ، وهى من المعبودات الهندية التى لم تضعف قداستها مع كثر السنين وتوالى القرون ، ففى الويدا حديث عن قداستها والصلاة لها ، ولا تزال البقرة حتى الآن تستمتع بهذه القدسية ، ففى الأدب المنسوب للمهاتما غاندى تفسير لما حظيت به البقرة قديما وحديثا من نفوذ دينى ، وفى عدد نوفمبر (سنة ١٩٦٣) من مجلة Bhavan's Journal التى تصدر فى بومباى بالهند ، عدة مقالات عن عبادة البقر ، وسنقتبس هنا خلاصة هذه المقالات ، وأول ما نقتبسه نشيد من « ساما ويدا » (٣) نشرته المجلة فى صفحة مستقلة داخل رسم تخطيطى للبقرة (٤) والترجمة العربية للنشيد هى :

(١) محمد ميد السلام الراجبورى . فلسفة الهند القديمة .

(٢) دكتور ابراهيم مذكور ودكتور يوسف كرم : دروس فى تاريخ

الفلسفة ص ١٢ .

(٣) نسيم من اتسلم الويدا وهو كتاب الهندوس المقدس .

(٤) نظير كتاب اديان الهند الكبرى ص ٣١ من الطبعة الرابعة .

صلاة الى البقرة :

أيتها البقرة المقدسة ، لك التمجيد والدعاء ، في كل مظهر تظهري به : أنثى تدرّين اللبن في الفجر وعند الغسق ، أو عجلا صغيراً ، أو ثورا كبيرا فلنُعِدَّ لك مكاناً واسعاً نظيفاً يليق بك ، وماء نقياً تشربينه ، لعلك تتعمن هنا بالسعادة •

أما رأى مهاتما غاندى في عبادة البقرة فقد أثبتته مفصلاً في المجلة السابقة واقتبسناه في كتابنا عن « أديان الهند الكبرى » (١) وفيما يلي لمحات منه :

« عندما أرى بقرة لا أجدنى أرى حيواناً ، لأنى أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ••• وإن ملايين الهنود يتجهون لها بالعبادة والإجلال وأنا أعد نفسى واحداً من هؤلاء الملايين » •

الله في الفكر الجينى :

كانت الجينية نوعاً من المقاومة للهندوسية وثورة على سلطان البراهمة ، ومن هنا لم يعترف مهاويرا بالآلهة فالاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد طبقة براهمة أو كهنة يَعدُّون أنفسهم صلة بين الناس والآلهة، وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون ، ومن هنا سُمى هذا الدين دين إلحاد •

غير أن العقل البشرى يميل الى الاعتراف بإله • ويحتاج الإلحاد الى أدلة أكثر من الأدلة التى يحتاجها إثبات الآلهة ، ومن هنا وجد فراغ كبير فى الجينية بسبب عدم اعتراف مهاويرا بإله يكْمِلُ به صورة الدين الذى دعا اليه ، وكان من نتيجة ذلك أن اعتبروه إلهاً • بل عدوا الجينوات الأربعة والعشرين آلهة لهم ، ولعلمهم بذلك كانوا متأثرين بالفكر الهندى الذين يميل فى الأكثر الى تعدد الآلهة •

الله في الفكر البوذي :

لم يعن بوذا بالحديث عن الإله ، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً ، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية ، وما وراء الطبيعة ، وما يتحدث عن القضايا الدقيقة في الكون ، وكان ينهى أصحابه وزواره أن يخوضوا في هذه الأبحاث ويوبخهم على سؤالهم عن مثل هذه القضايا .

ولكن بوذا اتجه أحياناً الى جانب الإنكار أكثر من اتجاهاه الى جانب الإثبات فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقول بوجود الإله ، وكان مما قاله في ذلك : إن المشايخ الذين يتكلمون عن الله ، ولم يروه وجهاً لوجهه ، كالعاشق الذي يذوب كمدأ وهو لا يعرف من هي حبيبته ، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أين يوجد القصر ، أو كالذي يريد أن يعبر نهراً فينادى الشاطيء الآخر ليقدم له (١) .

ومن أجل إهمال الإله أو الاتجاه الى نكرانه أحياناً ، اتجه براهمة عصره الى أن يصموه بوصمة الإلحاد .

والإيمان بإله ، اتجاه نفسي قوى لا يقل عن قوة الغرائز في البشر ، وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكاً واضطراباً ، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله ، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه ، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خالياً ، فقد لعبت بهم الأهواء فأتجه بعضهم الى الاعتقاد أن بوذا ليس إنساناً محضاً ، بل إن روح الله قد حلت به ، وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها بعض المسيحيين في السيد المسيح فيقولون إن شخصيته ثنائية : لاهوتية وناسوتية ، وإن الشخصية اللاهوتية حلت بالناسوت . وتسربت هذه العقيدة أيضاً الى « مدعى التسبع » فقالوا بها فيما يتعلق بعلي بن أبي

(١) العلامة رادها كرشنن (انظر اديان الهند للمؤلف ص ١٧٢) .

طالب • وعاقبهم رضى الله عنه بما يستحقون ، بل ذهب بعض البوذيين الى القول بأن بوذا كائن لاهوتى هبط الى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور (١) • وقد تسربت هذه العقيدة كذلك لبعض الطوائف المسيحية •

الله عند اليهود :

لم يستطع بنو إسرائيل في أى فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم ، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وكثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي تجدد الحاجة الى أنبياء يجددون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال ، فظهروا للتاريخ بدائين يعبدون الأرواح والأحجار ، وأحياناً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود • ويقول J. Shotwell (٢) إن اليهود كانوا في مطلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رحلاً تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين ، والاعتقاد فى الأرواح ، كانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار ، ويقول Reinach إن اليهود اتخذوا فى بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها ويتنقلون بها من مكان الى مكان (٣) ، وقد ظل بنو إسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر •

ولكن بنى إسرائيل كما يقول ول ديورانت (٤) لم يتخالفوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلههم ، وتقرر التوراة قصة العجل الذى عمله لهم هارون

(١) حامد عبد القادر • بوذا الاكبر ص ٩٦ ، ١٣٠ •

(٢) The Religious Revolution of today p. 30.

(٣) History of Religions p. 176.

(٤) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٨ •

فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة اليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن (١) ، وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بنى إسرائيل من حين الى حين ، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلى* ذهب ليعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا الى الذهاب الى الهيكل (٢) ، وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد (٣) .

وهكذا كان اتجاه اليهود مادياً في الغالب ولم تجد الاتبهاات الروحية عندهم أرضاً خصبة في أكثر الأوقات ، وقد عبرت يائيل ديان ابنة القائد العسكري موسى ديان عن ذلك بقولها — على لسان أحد أبطال روايتها « طوبى للخائفين » — ما يلي :

أيام زمان كنا يهوداً في روسيا وغيرها ، وكان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ، ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونزود عنا الردي ، أما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم ، هو الأرض ، أنت الآن إسرائيلى ، ولست مجرد يهودى إنى قد تركت في روسيا كل شيء ملابسى ، ومتاعى وأقاربى وإلهى ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال (٤) .

وحتى عندما ظهرت الوجدانية عند بنى اسرائيل كان معناها أن هناك إلهاً واحداً لبنى اسرائيل ، ولغير بنى اسرائيل آلهتهم ، فالتعدد كان موجوداً .

(١) خروج ٣٢ : ١٨ — ٢٦ والقرآن الكريم يقرر أن السامرى هو الذى

عمل العجل .

(٢) الملوك الاول ٢٢ : ٢٦ — ٢٨ .

(٣) ول ديورانت ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٤) يائيل ديان : طوبى للخائفين (انظر القصة كاملة بكتاب اليهودية

ص ١٧٦ — ١٧٧) .

الله في الفكر المسيحي :

عندما نصل الى الحديث عن الله في التفكير المسيحي نحتاج الى مزيد من الصبر لنرى التحول الخطير الذي أصاب الفكر المسيحي في هذه القضية الهامة :

تقرر الأناجيل المسيحية وأعمال الرسل ثلاث قضايا مهمة :

اولاها : أن الله واحد لا شريك له

والثانية : أن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول

والثالثة : أن عيسى رسول لبني إسرائيل فقط

وعن القضية الأولى نورد النصوص التالية من هذه الأناجيل :

— يروى متى عن عيسى قوله : أن أباكم واحد الذي في السموات

• (إصحاح ٢٣ الفقرة ٨)

— ويروى مرقس : قول عيسى : الرب إلهنا إله واحد وليس آخر

• سواء (١٢ : ٣٠ - ٣١)

— ويروى يوحنا عن عيسى قوله : إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي

• وإلهكم (٢٠ : ١٨)

وعن القضية الثانية نورد من الأناجيل النصوص التالية :

— جاء في انجيل متى قوله : هذا يسوع النبي الذي من ناصرة

• الجليل (٢١ : ١١)

— وجاء في لوقا : قد خرج نبي عظيم (٧ : ١٦)

— ويروى يوحنا : إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم

• (٦ : ١٤ و ٧ : ٤٠)

— ويروى يوحنا كذلك عن عيسى قوله : وأنا إنسان قد كلمكم بالحق
الذى سمعه من الله (٨ : ٤٠) •

— ويروى لوقا عن عيسى قوله عندما أحسَّ بقرب نهايته بسبب
مؤامرات اليهود عليه :

ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج
أورشليم ، يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين •
وعن القضية الثالثة نورد النصوص التالية :

— جاء في متى ما نصه : ثم خرج يسوع من هناك ، وانصرف الى
نواحي صور وصيدا واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم
صرخت قائلة : ارحمنى يا سيد يا ابن داود ، ابنتى مجنونة جداً
فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها
لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلا الى خراف
بني إسرائيل الضالة (متى ١٥ : ٢١ - ٢٤) •

— وفي متى كذلك أن عيسى عندما حدد الحوارين الاثنى عشر
أوصاهم قائلاً : الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة
للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بني
اسرائيل الضالة (١٠ : ٥ - ٦) •

وقد خصم اليهود بطرس لانه دخل على غير اليهود وتكلم معهم •
(أعمال الرسل ١١ الفقرة الأولى) •

وورد في عبارات بطرس قوله لغير اليهود : أنتم تعلمون كيف هو
محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتى إليه (أعمال
الرسل ١٠ : ٢٨) •

والقرآن الكريم يقرر هذه الاتجاهات الثلاث في المسيحية ،
قال تعالى :

— وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم (سورة
المائدة الآية ٧٢) •

— لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد
(سورة المائدة الآية ٧٣) •

— ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (سورة
المائدة الآية ٧٥) •

— ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت
عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب
عليهم (سورة المائدة الآية ١٧) •

— ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى
إسرائيل (سورة آل عمران الآيات ٤٨ — ٤٩) •

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية الى التثليث ، ونقل
عيسى من رسول الى إله ، والقول بان المسيحية رسالة عامة ، والقول بان
عيسى هو ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وأنه
عاد مرة أخرى الى السماء ليجلس على يمين ابيه ، كان هذا كله عملاً
جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى •

كيف انتقلت المسيحية من حال الى حال ، ومَن الذى قام بذلك ؟
ومتى ؟ • هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى :

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية ، هى شخصية شاعول
(بولس) ، ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه
العناصر الجديدة هى من صنع هذا الرجل ، ويقول Berry (١) إن بولس
هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية ، ويقول Wells (٢) إن كثيراً من الثقافات

(١) رأى Berry فى كتاب « المسيحية » ص ٩١ — ١٠١ .

(٢) Outline of History Vol. 3 p. 695 .

العصريين يعدونه المؤسس الحقيقي للمسيحية •

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسى ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات) (أعمال الرسل ٢٣ : ٦) وكان عدواً للمسيحيين ، وهو في ذلك يقول : سمعتم بسيرتى قبلا في الديانة اليه-ودية ، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسى ، إذ كنت أوفر غيرَةً في تقاليدات آبائي « (غلاطية ١ : ١٣ - ١٤) •

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة ، ووضع اذلك طريقة تكفل له الوقوف في وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة ، فادعى شاعول أن السيد المسيح — بعد نهايته على الأرض — ظهر له وصاح فيه وهو في طريقه الى دمشق : لماذا تضطهدنى ؟ فخاف شاعول وصرخ : من أنت يا سيد ؟ قال : أنا يسوع الذى تضطهده • قال شاعول : ماذا تريد أن أفعل ؟ قال يسوع : قم وكرز بالمسيحية •

ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى : « ولوقت جعل يكرز في الجامع بالمسيح أنه ابن الله » (أعمال ٩ : ٣ - ٣٠) •

ادعاءات بولس :

وهكذا وضع بولس لنفسه سياجا يحتمى به لأنه كان يدرك أن معارضة قوية ستهبط في وجهه وتترك هذه المعتقدات الجديدة التي جاء بها ، وهى القول بتعدد الآلهة وأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وأنه عاد مرة أخرى الى السماء ليجلس على يمين أبيه ، فأعلن أنه تلقى المعتقدات الجديدة من عيسى مباشرة ، وأنه

الوحيد الذى أوّتمن عليها وفى ذلك يقول : وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علّمته ، بل بإعلان يسوع المسيح (غلاطية ١ : ١١ - ١٢) ، ويقول كذلك : إنه الوحيد الذى أوّتمن على المسيحية الصحيحة (تيطس ١ : ٣) وعلى انجيل مجد الله المبارك (تيموثاوس الأولى ١ : ١١) .

معارضة الحوارين لبولس واستغاثته :

وقد عارضه الحواريون معارضة شديدة ، وهبّثوا فى وجهه يصارعونه فى عناد طويل مرير ، وحققوا عليه كل نصر ، فانفض الناس من حوله تماماً ، ولم يبق معه إلا قلة قليلة جداً ، وهو يقرر ذلك بقوله الى تلاميذه :

— أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى (تيموثاوس الثانية ١ : ١٥) .

— بادر أن تجيء الى سريعا لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب الى تسالونيكى ، وكريسكيس الى غلاطية ، وتيطس الى دلماطية ، لوقا وحده معى ، اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة لئيجازره الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضاً ، لأنه قاوم أقوالنا جداً فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى ، بل الجميع تركونى (تيموثاوس الثانية ٤ : ٩ - ١٦) .

وراح بولس يهاجم معارضيه مهاجمة قاسية ، ويصفهم بأنهم انحرفوا الى كلام باطل ، وأنهم يميلون للحقد والحسد ، ويتجهون للباطل والرياء ، والعلم الكاذب والباحثات الغبية السخيفة . . . (تيموثاوس الأولى الإصحاح السادس) .

وقد سار يوحنا فى رسائله فى الطريق الذى فتحه أستاذه بولس ، وأخذ يدافع عن المعتقدات التى ابتكرها فكر بولس ويهاجم المعارضين

بألفاظ قاسية لا تليق بالمفكرين فهو في أسلوبه وفي فكره يحذو حذو
أستاذه ، ومن ذلك قوله في رسالته الأولى :

كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً ، ومن يعترف بالابن فله الأب
أيضاً ، احذروا الذين يضلونكم (١) .

وفي رسالته الثانية يقول :

قد دخل الى العالم مضلّون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح
أتياً في الجسد ، هذا هو المضل وال ضد للمسيح ، انظروا الى أنفسكم لئلا
يضيع ما عملناه ، كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله
ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الأب والابن جميعاً ، إن كان أحد
يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ، ولا تقولوا له سلام ،
لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة (٢) .

وفي رسالته الثالثة يقول :

كتبت الى الكنيسة ولكن ديوتريفس لا يقبلنا ومن أجل ذلك
إذا جئت فسأذكره بأعماله التي يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة ، وهو
غير مكثف بهذه الأقوال بل لا يقبل أتباعنا ، ويمنعهم ويطردهم من
الكنيسة (٣) .

ولم تجد أفكار بولس ولا أفكار يوحنا أرضاً خصبة في آسيا ، كما
اقتبسنا من كلامهما آنفاً ، فلما عبرت هذه الأفكار الى أوروبا وجدت هناك
أرضاً خصبة ، فالتثليث ونزول الإله من السماء تضحية بنفسه وتكفيراً
عن خطيئة البشر ، وصعوده الى السماء مرة أخرى ، كل هذا كان له

(١) يوحنا الاولى ٦ : ١٨ — وما بعدها .

(٢) يوحنا الثانية ٧ — ١٩ .

(٣) يوحنا الثالثة ٩ — ١٠ .

جذور قديمة في الأساطير الأوروبية ، وام يكن التوحيد عميق الجذور
بأوروبا .

دينان مسيحيان ومؤتمر نيقية :

ومر الزمن جيلا بعد جيل والمذهبان يعيشان ، ففي آسيا تعيش
المسيحية التي جاء بها عيسى ويعتنتها علماء المسيحية ، وغيرهم ، وفي
أوروبا تعيش آراء بولس ، حتى جاء القرن الرابع الميلادى وجاء عهد
قسطنطين (توفى سنة ٣٣٧ م) الذى أصدر سنة ٣١٣ قانون التسامح ،
وأراد بعد ذلك أن يضع حداً حول حقيقة المسيح ، فدعا لمؤتمر نيقية سنة
٣٢٥ وحضره جلة العلماء المسيحيين من كل البقاع ومعهم الأسانيد التي
يستندون عليها في معتقداتهم ، وكان عدد الحاضرين ٢٠٤٨ ، وقد اتضح
من أول لحظة أن الجمهرة العظمى من الحاضرين تدين بالمسيحية الحقيقية،
وكان معهم من الأنجيل ما يعضد آراءهم ، ولكن حاشية الامبراطور
وهى أوروبية لم تكن تعرف من المسيحية إلا تلك المعلومات السائدة في
أوروبا ، والتي كانت من تراث بولس ، ولذلك رأت هذه الحاشية أن اتجاه
الأغلبية من حاضري المؤتمر يتعارض مع الاتجاه الرسمي ومع معلوماتهم
عن المسيحية وعدوا ذلك انحرافا ، وأثاروا الامبراطور ، الذى كان
طبعاً كالحاشية في اعتقاده ، وقد أثاره كذلك « بابا » روما الذى يمثل
هذا الاعتقاد من الناحية الدينية فأصدر الإمبراطور بناء على ذلك أمره
بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفى الكثيرين منهم . وقتل
العالم المصرى أريوس الذى كان يتخذ التوحيد عقيدة له ، ثم أمر بعقد
المؤتمر من جديد . فحضره الأعضاء الذين يعتنقون مذهب بولس أو
الخائفون والمترددون ، وكان عددهم ٣١٨ ، واتخذ هؤلاء قراراً بألوهية
المسيح ، وكان هذا أساساً للمعتقدات الأخرى التي قال بها بولس ،

واتخذ المؤتمر كذلك قراراً بتدمير كل الوثائق التي تخالف هذا الرأي ، وإنزال العقوبات الشديدة بمن يخفى مثل تلك الوثائق ، وتبدأ لذلك اختفت المسيحية الحقيقية رويداً رويداً واختفت الأناجيل الصحيحة ، وحلت المسيحية البوليسية محل مسيحية عيسى •

وهكذا صنع هؤلاء الإله وأخفوا إنجيل عيسى ، والأناجيل الحقيقية التي أخذت عنه ، ولم يُبْقُوا من المصادر المسيحية إلا ما يؤيد اتجاههم أو ما يقف موقفاً سلبياً ، ولعل ذلك يوضح قصة التفكير المسيحي في قضية الألوهية •

الله في الفكر الاسلامي

لا يحتاج الحديث عن « الله في التفكير الإسلامي » الى جهد كبير ، فعندما يذكر الله في الإسلام تتجلى الوحدانية الخالصة وصفات الكمال المطلق ، ولذلك فنحن هنا نكتفٍ بهذا ونحيل من يريد التفصيل الى كتاب « الاسلام » من هذه السلسلة ليرى دراسة واضحة حول وجود الله ووحدانيته وصفاته ، وليتأكد أن محاولات الانحراف في الاسلام باءت بالفشل •

نتيجة المقارنة

إن المقارنة السابقة توضح حقيقتين مهمتين :

الحقيقة الأولى أن جهود الانحراف اتجهت بكل قواها وشرورها الى الله سبحانه وتعالى ، وحققت — للأسف — في هذا المجال ما أرادته من نجاح ، والقارىء يرى اتجاه التعدد في الهندوسية وتأليه البقرة ، ويرى كذلك تأليه جينا ، وتأليه بوذا ، وتأليه العجل ، وتأليه المسيح ، وقد اتجهت المحاولة كذلك للإسلام ، فقال قوم من مدعى التشيع بتأليه

على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح وحاربها على بقسوة (١) ، وحاربها بعده كل المسلمين ، فنجا الإسلام وحده من محاولات التحريف فى عقيدة الألوهية •

الحقيقة الثانية : ان الانحراف بالاديان هو الذى سبب الصراع بين معتقبيها • ولو سارت الأديان سيرها الطبيعى كرسالات من عند الله دون تحريف لالتقت جميعا فى أهدافها وفى كثير من وسائلها •

إن الدعوة التى ننادى بها هى أن نعود للحق ، وأن نخلص معتقدات البشرية مما تسرب لها من أخطاء وما قادها للانحراف ، ليحلّ الوفاق محل الخلاف ، والوئام محل الصراع ، ونحن نعتقد أن العقيدة الصحيحة معروفة لكثيرين من قادة الأديان ، ولكن الاحتراف وحب الدنيا وزينتها يزيّجان الباطل ويدفعان لتأييد الانحراف •

فاللهم اهدنا سواء السبيل

(١) انظر هذه المسألة فى « اديان الهند الكبرى » ص ٧٢ — ٧٣ •

مراجع الكتاب

محوظتان :

١ - المصادر المذكورة هنا هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب ووردت في ذيل صفحاته ، أما المصادر الأخرى التي أسهمت فيه بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة .

٢ - الطريقة التي اتبعت في تنظيم هذه القائمة بنيت على الترتيب الأبجدي لاسم المؤلف الذي اشتهر به ، مع عدم اعتبار الملحقات (ابن - ال) .

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفسير البيضاوى .
- ٣ - « الأستاذ الامام محمد عبده .
- ٤ - « أبى السعود .
- ٥ - « المنار .
- ٦ - « الفخر الرازى .
- ٧ - « الألوسى .
- ٨ - « فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب .
- ٩ - كتب الأحاديث الستة .
- ١٠ - مجموعة من كتب الفقه الإسلامى .
- ١١ - عدة أبحاث فى مجالات علمية .
- ١٢ - وثائق وسجلات .
- ١٣ - العهد القديم .
- ١٤ - العهد الجديد (الانجيل الأربعة والرسائل) .
- ١٥ - انجيل برنابا .
- ١٦ - Encyclopadia of Islam ,
- ١٧ - Encyclopadia Britannica
- ١٨ - Encyclopaedia of Religions and Ethics
- ١٩ - دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى .

- ٢٠ — دائرة المعارف الفرنسية .
٢١ — مجلة رسالة الحياة المسيحية .
Islamic Review — ٢٢
٢٣ — مجلة الوثائق الكاثوليكية ،
٢٤ — المسيحية عقيدة وعمل (نشر الكنيسة)
Pengadjaran Geredjla Katolik — ٢٥
٢٦ — ابراهيم سعيد تفسير بشارة لوقا
٢٧ — دكتور ابراهيم مذكور تاريخ الفلسفة
Edward Smith — ٢٨ The life of Bnddha
٢٩ — دكتور أحمد شلبي موسوعة التاريخ الاسلامى
(عشرة اجزاء)
٣٠ — » » » المجتمع الاسلامى
٣١ — » » » الاسلام
٣٢ — » » » اليهودية
٣٣ — » » » آديان الهند الكبرى
Berry — ٣٤ Raligions of the World
Bury — ٣٥ A History of Freedom of thought
٣٦ — الأنبا ناسيليوس بحث عن الأديرة بكتاب
(صوت الحق)
٣٧ — القس بوطر رسالة الأصول والفروع
٣٨ — بولس الياس يسوع المسيح
٣٩ — القس بولس شباط المشرع
Pfladero — ٤٠ The Early Christian Conception
of Christ
٤١ — T. W. Doane Bible Mythology
٤٢ — دكتور توفيق الطويل الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام
٤٣ — Justin Martyr The Christianity
٤٤ — جرجس فرج (الخورى) شرح رسالة القديس بولس

- ٤٥ — ابن حزم
الفصل في الملل والأهواء والنحل
- ٤٦ — حبيب جرجس
كتاب القسطاس البروتستنتى
- ٤٧ — » »
كتاب الصخرة الأرثوذكسى
- ٤٨ — دالور شنودة المنفلوطى
المطهر تحت المجر
- ٤٩ — رشيد رضا
شبهات النصارى وحجج المسلمين
- ٥٠ — Roland Binton
The Church From the Bigning
up to the 20th Century.
- ٥١ — رعوفا حبيب
كنائس القاهرة القبطية
- ٥٢ — روبر ديشان
الديانات فى افريقية السوداء
- ٥٣ — زكى شنودة
تاريخ الأقباط
- ٥٤ — دكتور سامى جبرة
فى رحاب المعبود توت
- ٥٥ — السيوطى
الفتاوى
- ٥٦ — الشابوشتى
الديارات
- ٥٧ — الشهرستانى
الملل والنحل
- ٥٨ — Shotwell
The Religious Revolution of today
- ٥٩ — صابر جبرة
مجد الكتاب المقدس
- ٦٠ — طه المدور
بين الديانات والحضارات
- ٦١ — عباس محمود العقاد
عقائد المفكرين فى القرن العشرين
- ٦٢ — عبد الأحد داود
الانجيل والصليب
- ٦٣ — دكتور عبد العزيز عبدالمجيد
هداه الانسانية فى الشرق
- ٦٤ — عبد الوهاب النجار
قصص الأنبياء
- ٦٥ — Otto Meinardus
Christian Egypt : Faith and life
- ٦٦ — عمر عنایت
العقائد
- ٦٧ — غوستاف لوبون
حضارة الهند
- ٦٨ — كارليل
الأبطال وعبادة البطولة
- ٦٩ — Khwaja Kamalud-D'in
The Sources of Christianity
- ٧٠ — KOITHEFF
Der Bremer Radikalismus
- ٧١ — ليون جوتيه
المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية
(الترجمة العربية)

- ٧٢ - محمد أبو زهرة
٧٣ - دكتور محمد حماد
٧٤ - محمد طاهر التنير
٧٥ - الامام محمد عبده
٧٦ - محمد فؤاد الهاشمى
٧٧ - محمود أبو الفضل
٧٨ - محمود ثلثوت (الامام)
٧٩ - ميخائيل فكس
٨٠ - Harnack
٨١ - Hirth
٨٢ - ابن هشام
٨٣ - We'ls
٨٤ - We'ls
٨٥ - وليم باركلى
٨٦ - William Patoun
٨٧ - ول ديورانت
٨٨ - وهيب عطا (القس)
٨٩ - يوسف الدببس
٩٠ - دكتور يوسف بوست
- محاضرات في النصرانية
الفنون والطرز القبطية
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية
الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية
الاديان في كفة الميزان
وحدة الدين والفلسفة والعلم
الفتاوى
القدس عبر التاريخ
What is Christianity
The Ancient History of China
سيرة ابن هشام
A Short History of the world
Outline of History
انجيل مرقس
اديان العالم الكبرى (ترجمة
حبيب سعيد)
قصة الحضارة
طبيعة السيد المسيح
من تحفة الجيل
قاموس الكتاب المقدس

COMPARATIVE RELIGIONS

2

CHRISTIANITY

BY

AHMED SHALABY

B.A. (Hon.) Cairo University,

Ph. D. Cambridge University,

Professor of Islamic History and
Civilization

Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

Published by:

THE RENAISSANCE BOOKSHOP

9 Adly Street, Cairo.



الدكتور أحمد شلبي

لقى دراساته في الأزهر و في كلية دار العلوم
جامعة القاهرة) و في جامعة لندن وجامعة كمبردج.
والولايات المتحدة الأمريكية كما زار أكثر دول أوروبا
وأفريقيا، ومثل مصر في عدة مؤتمرات دولية.
يس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الإنجليزية
الاندونيسية.

تغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى
درجة استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامي
الحضارة الاسلامية، وقد حاضر -مئذبا واثرا
عراق- في جامعة الرهر، وعين شمس واندونيسيا،
سودان، وماليزيا، والمملكة العربية السعودية،
نييا و في معهد الدراسات الاسلامية ومعهد البحوث
الدراسات العربية، ومعهد الدراسات الدبلوماسية.
مؤلفات تزيد عن خمسين كتابا واهم هذه المؤلفات :
- موسوعة التاريخ الاسلامي في عشرة مجلدات.
- موسوعة الحضارة الاسلامية في عشرة اجزاء.
- مقارنة الاديان في اربعة اجزاء.

- كيف تكتب بحثا او رسالة.

- المكتبة الاسلامية لكل الاعمار (١٠٠ جزء من
السير والتاريخ و قصص القرآن للاولاد والشبان
والسيدات والرجال).

ISLAM: BELIEF , LEGISLATION, MORALS
HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

كتب بعض كتبه بالانجليزية و الاندونيسية،
وترجمت اكثر مؤلفاته الى الاوردية، والتركية،
والاندونيسية والماليزية، والفرنسية، والفارسية.